



عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

أثر الفكر الإرجائي في واقع الأمة المعاصر
دراسة تحليلية

أحمد حسن محمد العواودة

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1437هـ - 2016م

أثر الفكر الإرجائي في واقع الأمة المعاصر
دراسة تحليلية

إعداد:

أحمد حسن محمد العواودة

بكالوريوس أساليب تدريس التربية الإسلامية-جامعة القدس

المفتوحة/فلسطين

إشراف الدكتور: سعيد القيق

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين

من كلية الدعوة وأصول الدين/عمادة الدراسات العليا / جامعة القدس

1437 هـ - 2016 م



جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
برنامج ماجستير أصول الدين

إجازة الرسالة




أثر الفكر الإرجائي في واقع الأمة المعاصر
دراسة تحليلية

اسم الطالب : أحمد حسن محمد العواودة

الرقم الجامعي: (21311923)

المشرف : الدكتور سعيد القيق

نوقشت هذه الرسالة واجيزت بتاريخ 25 / 5 / 2016 من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

التوقيع: 
التوقيع: 
التوقيع: 

1. رئيس لجنة المناقشة : د. سعيد القيق

2. ممتحنا داخليا : د. أحمد فواقة

3. ممتحنا خارجيا: د. ابراهيم بويداين

القدس - فلسطين

1437 هـ / 2016 م

الإهداء

إلى العلماء العاملين ورثة خاتم النبيين محمد ﷺ مشاعل العلم وحرّاس العقيدة، أساتذتي ومشايخي الكرام.

إلى روح والدي وأمي الحنونة وزوجتي الصابرة وأبنائي الكرام

إلى جميع المسلمين.

أهدى ثمرة هذا الجهد المتواضع.

إقرار

أقر أنا معد الرسالة بأنها أعدت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الرسالة أو أي جزءٍ منها لم يُقدم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

التوقيع:

الاسم: أحمد حسن محمد العواودة

التاريخ : 2016/5/25

الشكر والتقدير

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله محمد خاتم النبيين، ورسول الله إلى العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

أتوجه إلى الله العلي القدير بالحمد الذي هو أهله، فما من نعمةٍ إلا من فضلة ولا توفيق إلا به - عز وجل-، فله الأمر من قبل ومن بعد، ولا حول ولا قوة إلا به تبارك وتعالى.

عرفاناً مني لأهل الفضل بفضلهم، أتقدم بجزيل الشكر والعرفان، لأستاذي الدكتور سعيد القيق - حفظه الله تعالى- الذي أولاني عظيم الاهتمام، وحكمة التوجيه، والذي كان له بالغ الأثر في انجاز هذه الرسالة، كما وأتقدم بالشكر إلى السيدين عضوي لجنة المناقشة، اللذين تلطفا بقبول هذه الرسالة، وهما:

1- د. أحمد فواقه

2- د. ابراهيم بويداين.

3- كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أعضاء الهيئة التدريسية دون استثناء، وأخص

بالذكر عميد كلية الدعوة وأصول الدين، أستاذي أ. د مصطفى أبو صوي.

المُلخَص

هدفت هذه الدراسة الى توضيح غربة الدين عند من ينتسبون إليه، وإظهار البون الواسع، بين المفهوم السليم للإيمان، والمفهوم السقيم في الفكر الإرجائي، وبيان آثار الفكر الإرجائي في واقع الأمة المعاصر.

وتكمن أهمية البحث في هذا الموضوع في تشخيص المرض العضال الذي أصاب الأمة الإسلامية في المجالات الفكرية منها والاجتماعية والسياسية، ووصف العلاج الناجع للتعافي منه بإذن الله تعالى.

وقد كان الباعث على اختيار هذا الموضوع، هو التفكير الدائم في البحث عن السبب الرئيس في تفرُّق هذه الأمة، وذهاب ريحها.

وتكمن مشكلة هذه الدراسة في ماهية الفكر الإرجائي وكيفية نشوئه، ودور الاستشراق والعلمانية، والفكر الصوفي، في نشره، واختلاف مفهوم الإيمان بين المسلمين، ودور العلماء في الرد على أصحاب الفكر الإرجائي، وبيان آثاره السلبية في واقع الأمة المعاصر.

وقد اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي، حيث أقوم بجمع المعلومات في الموضوع الواحد، ومن ثم أحرر القول فيها، ثم أخلص إلى النتيجة التي تُمثِّلُ نتاج جهدي، حاديًّا في ذلك الموضوعية، وأمانة النقل العلمي، والبحث المجرد عن النتائج المسبقة.

وقد قسّمت هذه الدراسة إلى فصلين، تضمن الفصل الأول منها، التعريف بالفكر الإرجائي ونشوؤه، وأسباب انتشاره، واختلاف مفهوم الإيمان بين السلف وبين المتكلمين، ومناهج العلماء في تعريف الإيمان، وتحرير القول فيما نُسِبَ لأبي حنيفة من القول بالإرجاء، وتضمن الفصل الثاني، الرد على الفكر الإرجائي من حيث قصر الإيمان على مجرد المعرفة، ومن حيث الفصل بين الإيمان والعمل، وهل القول بالإرجاء ينقض الإيمان أم لا، وبيان آثار الفكر الإرجائي في واقع الأمة المعاصر، من حيث آثاره في الإيمان والعمل والسلوك، ونهوض الأمة وتقدمها. وأظهرت نتائج الدراسة أن الفكر الإرجائي فكر دخيل على عقيدة المسلمين، وأنه لم يأخذ طابع الإطّار، وقد ظهر بعد عهد الصحابة- رضي الله عنهم-، وأنه ميراث خبيث من أحبار يهود

وقساوسة النصارى، وأن الإيمان بمفهومه المطلق عند سلف الأمة يعني السماع والانقياد، وبمفهومه الخاص، فيعني ما انعقد عليه القلب وظهرت آثاره على الجوارح، وأن مفهوم الإيمان عند المتكلمين، بالإطلاق يشمل كل مأمورٍ به، وكل منهيٍّ عنه بأمر الشارع، وحينما يخصصونه يحصرونه في التصديق وحسب ، وأن المتكلمين يجعلون العمل شرطاً في تمام وكمال الإيمان، بينما المرجئة لا يعتبرون العمل ركناً ولا شرطاً لتحقيق الإيمان، وأن برد اليقين ليس سبيله المنطق، ولا علم الكلام والجدل، وأن أثر الفكر الإرجائي تعدى في آثاره السلبية من الفرد إلى الأمة، فوطأ إلى قبول (اللا دينية) العلمانية، وأن الفكر الإرجائي المائع المميّع، لا يمكنه أن يكون مبعث تقدمٍ أو نهوض للأمة الإسلامية، مما يقتضي أن تحقيق المفهوم الشرعي لكلمة التوحيد قولاً وعملاً وشروطاً واقتضاءً، هو سبيل الخلاص للأمة الإسلامية من كبوتها.

وقد أوصيت في ختام البحث بما يأتي:

إيلاء التخصص العلمي في مجالات العقيدة والفكر الإسلامي اهتماماً أكثر من قبَل العلماء المختصين في علم العقيدة، وبذل المزيد من الجهد لتشجيع الطلبة للتخصص في هذا المجال العلمي الشريف، فشرف العلم بشرف المعلوم، وعلم العقيدة أولى من غيره من التخصصات، على عظيم أهميتها، وذلك لشدة الحاجة إليه في مواجهة الهجمة الشرسة والتخطيط الماكر في الليل والنهار من قبَل أعداء الأمة الإسلامية من أجل النيل من عقيدتها ونفسي الجهل بمسائل الاعتقاد عند المسلمين، وللأمر الأهم وهو أن تصحيح الاعتقاد وتصفيته مما علق به من الشوائب، وتنوير العقل بالفكر الإسلامي السليم، هما مَعولُ التغيير وفق السنّة الإلهية الكونية في التغيير، والله ولي التوفيق.

Impact of suspension thought on the contemporary (current) reality of the Islamic nation

Analytical Study

Prepared by: Ahmad Hassan Al-Awawdeh

Supervisor : Dr. Saed Al-Qeeq

Abstract

This study aimed at explaining the fact that Islam has become alien among Muslims, and showing the large gap between the right concept of faith and the faulty concept of the suspension thought and its effects on the current reality of the Islamic nation.

The importance of this research lies in diagnosing the serious malady affecting the Islamic nation in its thought in the social and political fields, and recommending the effective remedy.

The constant thinking of the main reason that caused the partition of this nation was the motive of choosing this topic.

The issue of this study is the arise of the suspension thought and its definition, the role of orientalism, secularism and mysticism in spreading it, the role of Muslim scholars in refuting suspension thought and its disadvantages to the contemporary nation and how to dispose of the effects of suspension thought.

The study is based on the descriptive approach, and the inductive one in which the researcher gathers information on a topic and decides the outweighing opinion in order to objectively conclude the results with integrity away from abstract results in advance.

The researcher has divided his study into two sections. The first includes the arise and definition of the suspension thought and the causes of its wide spread, and the difference in the concept of faith between predecessors and logicians, and the scholars' approach in defining faith, and outweighing what is attributed to Abu Hanifa of talking about suspension speech. The second section includes refuting the suspension thought as regards confining faith to mere knowledge, and the separation between faith and deeds, and whether suspension speech invalidates faith or not, and the manifestation of the effects of suspension thought on the reality of the contemporary nation, including its effects on faith, action and behavior; and illustrating the salvation of the nation and its progress through understanding monotheism.

The study concluded that the suspension though is an obtrusive one which has not become a framework yet. It appeared after the era of prophet's companions, and that it is a malignant legacy of the Jewish rabbis and Christian priests. Faith in its absolute connotation according to the nation's ancestors means obedience. But in its special connotation it means what is implied in the heart and reflected on the emotions. According to logicians, faith includes whatever urged or forbidden by the public. While predecessors restrict faith to mere confirmation, logicians insist that faith won't

be perfect without action. Unlike pro suspension thought who do not consider action as a condition for achieving faith, and that neither logic nor controversy lead to tranquility. The negative influences of suspension thought surpassed the individual to the whole nation, which paved the way to the acceptance of secularism. It is impossible for the ridiculous suspension thought to motivate the progress and the renaissance of the Islamic nation. Achieving the legitimate concept of monotheism in word and deed with all its conditions and requirements is the way of salvation for the Islamic nation from its stumble.

The researcher's recommendations :

Paying more attention to the specialization in the fields of Islamic thought and doctrine by specialized scholars in Islamic doctrine. Paying more efforts to encourage students to specialize in this noble field of study. The privilege of what is being studied causes the honor of the study. The science of doctrine is more important than other specializations for its great importance. That is because of the vicious attack and the constant cunning planning from the nation's opponents to undermine its doctrine. The most important issue is that the correction of the belief by filtrating it from stains, and the enlightenment of the mind with pure Islamic thought are what we count on for change according to nature of the universe.

Allah grants success.

المقدمة

الحمد لله الملك الحق المبين، والصلاة والسلام على عبده ونبيه محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد.

فهذه مقدمةٌ أخطها بين يدي كتابة هذه الرسالة العلمية بعنوان (أثر الفكر الإرجائي في واقع الأمة المعاصر) وقد تضمنت عنوان البحث، والغاية من البحث، وأهمية البحث، ومشكلة البحث، ومنهج الباحث، والدراسات السابقة.

الغاية من هذا البحث.

إن الغاية من كتابة هذا البحث، تكمن في توضيح غربة الدين عند من ينتسبون إليه، وإظهار البون الواسع، بين المفهوم السليم للإيمان عند السلف الصالح، وبين المفهوم السقيم في الفكر الإرجائي، وبيان آثار الفكر الإرجائي السلبية في واقع الأمة المعاصر.

أهمية هذا البحث.

إن التردّي في حال الأمة الإسلامية في المجالات الفكرية منها والاجتماعية والسياسية والسلوكية، مرده إلى الاعتقاد والفكر، لذا كان البحث في تنقية الاعتقاد وتصحيح الفكر مما شابهما هو أمرٌ من الأهمية بمكان، بل هو أولى وأهم ما يُدبّلُ الجهد في بحثه في هذا العصر، وذلك لأجل تشخيص المرض الذي حاق بالاعتقاد والفكر، والوقوف على أسبابه، وبيان آثاره السلبية، في واقع الأمة المعاصر، كي يسلم الاعتقاد، ويصحّ الفكر، اللذان بهما قوام الأمة ونهوضها، لذا كان هذا البحث في آثار الفكر الإرجائي.

مشكلة هذا البحث.

تتمثل مشكلة البحث فيما يأتي من نقاط:

- أ- ما هو مفهوم الفكر الإرجائي؟
- ب- ما هي أسباب ظهور الفكر الإرجائي؟

- ج- هل مفهوم الإيمان واحد عند الجميع؟
د- ما هي ردود العلماء على أصحاب الفكر الإرجائي؟
هـ- ما هو دور الاستشراق، والعلمانية، والفكر الصوفي، في نشر هذا الفكر؟
و- هل من آثارٍ سلبية للفكر الإرجائي في واقع الأمة المعاصر؟

منهج الباحث.

لقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي، حيث أقوم بجمع المعلومات في الموضوع الواحد، ومن ثمّ أحرر القول فيها، ثم أخلص إلى النتيجة التي تُمثّل نتاج جهدي، واضعاً نصب عينيّ تقوى الله-تعالى- متجرداً من كل ما من شأنه التأثير في النتائج، ومستحضراً للأمانة العلمية في النقل والتوثيق، وبيان رقم الآية القرآنية من السورة التي وردت فيها، وقد رمزت لكل اقتباس برقم أترجم لصاحبه في هامش الصفحة، فإن تكرر اسم المؤلف أكتفي باسم الشهرة، وقد عزوت الأحاديث النبوية إلى مصادرها الأصلية في الهامش، ورمزت بعلامة النجمة للأعلام ثم أقوم بالترجمة لهم في الهامش، وقد قسّمت البحث إلى فصلين، تضمن كل فصل مباحث، وتضمن كل مبحثٍ مطالب، وتفرع عن كل مطلب مسائل حسبما يقتضى البحث، وختمت البحث بخاتمة حوت الخلاصة والتوصيات، وتلتها الفهارس للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والأعلام المترجم لهم، وقائمة بالمصادر والمراجع، وفهزُس للمحتويات.

الدراسات السابقة.

لقد شغل الفكر الإرجائي العلماء منذ نشوئه، وقد انبرى للرد عليه وتقنيده حجج القائلين به الكثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين، غير أن تلك الردود لم تأخذ أكثر من نقضٍ لمفهومٍ أو أكثر من مفاهيم الفكر الإرجائي، بعيداً عن الآثار السلبية لتداعيات هذا المفهوم على الأمة من حيث النهوض والتقدم، أو اقتصار على التعريف والتأريخ، أو ذكرٍ للنشأة والمبادئ وحسب.

وأما من المتأخرين فمن مقدّمٍ لمحاضرة مسجلة مصوّرة، أو كاتبٍ لموضوعٍ في مجلةٍ، أو كاتبٍ لمقالةٍ في صحيفةٍ، أو ملقٍ لكلمة أمام جمع، غير أن هنالك من كتب في الفكر الإرجائي كتاباً أو رسالة جامعية، مما تيسّر لي الاطلاع عليها، وهي:

1- ظاهرة الإرجاء⁽¹⁾، وهو رسالة دكتوراه للدكتور سفر الحوالي، بين فيه الكاتب، النشأة للفكر الإرجائي، وركز على محور فصل العمل عن الاعتقاد، فأجاد وأفاد، غير أنني لم أجد فيه ضالتي، المتمثلة في آثار الفكر الإرجائي السلبية في واقع الأمة المعاصر، من حيث نهوضها وتقديمها وإخلاقها وسلوكها.

2- قراءة نقدية لبعض ما جاء في كتاب " ظاهرة الإرجاء"⁽²⁾، يرد فيه مؤلفه على (كتاب ظاهرة الإرجاء)، غير أنه لم يصمد أمام النقد العلمي المنهجي لما ورد فيه من تدليس، وانعدام أمانة النقل العلمي.

3- الأقوال الخفية للمرجئة المعاصرة⁽³⁾، غير أن هذا الكتاب واجه انتقادات شديدة من بعض العلماء، فقد حذر منه الشيخ الفوزان في بيان صدر عنه قال فيه:

" بسم الله الرحمن الرحيم "

إذ يعلم به من يراه بأن الأخ - سالم بن محمد بن مطرف العرجاني - قد أطلعني على مسودة كتابه (الأقوال الخفية للمرجئة المعاصرة) فلم أرتض كتابه على وضعه الذي أطلعني عليه وأشرت عليه أن يغيره تغييراً جذرياً من حيث الأسلوب ومن حيث عزو النقول إلى أصحابها وإلى مصادرها بعد ما يفهم كلامهم على حقيقته ويرد عليه ردًا علمياً لكنه بادر وطبع الكتاب ولم آذن له أن ينسب لي شيئاً حوله لأنني لا أقره على وضعه الذي أظهره به ولأجل البيان جرى نشره⁽⁴⁾.

وقد تصفحت الكتاب - القول لي - فلم أجد فيه غير التشخيص للمرض دون وضع منه لخطة منهجية للعلاج، وأشير هنا إلى أنني لم أقف - فيما تيسر لي - على رسالة علمية في هذا الموضوع، سوى رسالة الدكتور سفر الحوالي (ظاهرة الإرجاء)، وكتاب البرهامي في نقده لكتاب (ظاهرة الإرجاء)، وكتاب (الأقوال الخفية للمرجئة)، حتى كتابة هذه السطور.

¹ - الحوالي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، كاتب ومؤلف سعودي معاصر، له عدة مؤلفات، ظاهرة الإرجاء.

² - البرهامي، ياسر حسين محمود برهامي، قراءة نقدية لكتاب ظاهرة الإرجاء، نوع الملف: وورد، أعده للنشر: منتدى البراحة، التحميل/ http://www.geocities.com/abou_elfarag/reading/ :

³ - العرجاني، سالم بن محمد بن مطرف العرجاني، الأقوال الخفية للمرجئة المعاصرة، الطبعة الأولى 1432هـ.

⁴ - الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الموقع الرسمي للشيخ الفوزان على الشبكة العنكبوتية.

وبما أنني أتوق للوقوف على أسباب التردّي التي ابتليت بها الأمة الإسلامية، وتوضيح الآثار للفكر الإرجائي على الأمة الإسلامية؛ ودوره الأساس فيما حل عليها ونزل بها من تردّي وخذلان، أجدني متحمساً جداً للكتابة تحت عنوان (أثر الفكر الإرجائي في واقع الأمة المعاصر) راجياً من الله التوفيق والسداد.

ما تضيفه هذه الرسالة إلى ما قدمته الدراسات السابقة.

إن مجمل ما تضيفه هذه الرسالة إلى ما سبق من الدراسات السابقة، هو البحث بشكلٍ مُفصّلٍ في تحرير الأقوال في الفكر الإرجائي، من حيث نشأتهم، ورؤوسهم، وأقوالهم، وبيان عوار ما ذهبوا إليه، واثبات دور اليهود والنصارى في نشر الفكر الإرجائي، وتحرير القول في فهم الإيمان عند مَنْ أطلق عليهم العلماء مسمى (مرجئة الفقهاء)، وبيان آثار الفكر الإرجائي في واقع الأمة المعاصر، من حيث آثاره في إيمان وأعمال وسلوك الفرد المسلم، وآثاره السلبية واقع في الأمة الإسلامية من حيث التقدم والنهوض، وتسليط الضوء على دور اليهود والنصارى والاستشراق والعلمانية والفكر الصوفي في نشر الفكر الإرجائي بين أبناء الأمة الإسلامية.

التمهيد

فالإسلام العظيم دين كلمة التوحيد، ودين وحدة الكلمة، فلا مكان للخلاف في أصوله، وإن وسعت رحابته الخلاف في الفروع، وذلك لتفاوت الأفهام، بناءً على تفاوت مستويات العقول ومستويات إحاطتها خبراً ودراية، وبهذا نجد أن الخلاف في الفروع؛ والمبني على الدليل أو شبهته، لا يُفسد للود قضية بين ذوي الأفهام، وأصحاب العقول، رغم أن الصواب لا يتعدد في نفسه، ولكن حسمه والقطع به لا يكون إلا بالدليل الصحيح الصريح، فإن توفر فيها، وإلا فكلُّ وما ركن إليه قلبه من دليل، تحت سقف الأصول والقواعد الفقهية العامة، والإخلاص والنصح لكتاب الله، وسنة رسوله، هذا في مجال الفقه والتشريع، أما في مجال العقيدة؛ والتي مَعولها الخبر اليقيني، فلا مجال فيها للخلاف، وذلك لخروجها إلى مجالٍ لا دور للعقل فيه غير الإقرار والتسليم بالنتيجة، ودور العقل فيها ينحصر في التحقق من مصدر الخبر وحسب.

ومن هنا كان الصحابة- رضوان الله عليهم- يتحاجون في المسائل الفقهية، غير أنه لم يُذكر عن أحدهم أنه حاجٌّ آخر في مسائل الأصول العقائدية، ومن كان يجد في نفسه شيئاً كان يسأل النبي ﷺ فينتقى الإجابة الشافية، كسؤال الصحابة - رضي الله عنهم- عن العمل وقد جف القلم بما هو كائن، كما جاء في الحديث الصحيح (...عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَعَهُ مِنْ النَّارِ، وَمَعَهُ مِنْ الْجَنَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) } [الليل: 92، أرقام الآيات: 5-6] (1).

وبقي الحال الإيماني السليم على منهاج النبوة، إلى أن رفعت الفتنة رأسها؛ باستشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان- رضي الله عنه - وتولي عليٍّ - رضي الله عنه- الخلافة، وما جرى من فتنة واقتتال بين الصحابة الكرام، وانحيازٍ ومشايعةٍ وانقسام، وأخذ الناس يفاضلون بين أناسٍ مقطوع لهم بالجنة، مثل علي وعثمان وطلحة والزبير- رضي الله عنهم أجمعين- والولاء لبعضهم والبراء من بعضهم، فظهر (الفكر الإرجائي) الذي يعني التأخير أو الإهمال، التأخير الذي أخذ منحنيين، منحاً يُرادُ به تأخير عليٍّ - رضي الله عنه - عن مكانته وتقديم غيره عليه، " .. وقيل:

¹ - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن برزبه الجعفي، محدث سلفي، من أصحاب الكتب الستة، من شيوخه: الإمام أحمد وعلي بن المديني والحميدي والذهلي، من تلاميذه: مسلم بن الحجاج والترمذي، توفي 256 هـ، صحيح البخاري، باب (فسيئره للعسرى)، جزء 171/6.

الإرجاء تأخير على رضي الله عنه عن الدرجة الأولى إلى الرابعة .. (1) " ومنحاً آخر يُراد به تأخيرهم فلا ولاء ولا براء، "...يذكر العلماء أن الحسن بن محمد بن محمد بن الحنفية² هو أول من ذكر الإرجاء في المدينة بخصوص علي وعثمان وطلحة والزبير، حينما خاض الناس فيهم وهو ساكت ثم قال: قد سمعت مقالتم ولم أر شيئاً أمثل من أن يربحاً علي وعثمان وطلحة والزبير، فلا يتولوا ولا يتبرأ منهم .."(3)، وإلى هذا الحد بقي الفكر الإرجائي لا يتعدى حدود حكم صاحب الكبيرة، بين قائلٍ بالحكم، وبين حائرٍ مرجئٍ الحكم إلى الله في يوم الحساب والذي لا يبلغ إلى أصول الإيمان والعقيدة، إلى أن أخذ الفكر الإرجائي، منحاً عقدياً تمثل في حقيقة الإيمان وتعريفه، بأنه مجرد المعرفة كما قال الجهم بن صفوان⁽⁴⁾ "...أن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسوله وبجميع ما جاء من عند الله فقط، وإن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب، والمحبة لله ولرسوله والتعظيم لهما والخوف منهما "كذا" والعمل بالجوارح فليس بإيمان ... قال: وهذا قول يحكى عن الجهم بن صفوان ."(5)

فهذا الفكر الإرجائي - والذي قال به الجهم بن صفوان - هو ما سأعرض له في هذه الرسالة بالدراسة والتحليل، إن شاء الله - عز وجل - من حيث نشأته ومفاهيمه وآثاره في واقع الأمة المعاصر، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وبه أستعين وأتأيد، فهو حسبي ونعم الوكيل.

¹ - الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، الملل والنحل 139/1.

² - الحسن، والحسن هو ابن محمد بن علي بن أبي طالب ثقة فقيه قال عمرو بن دينار: "ما كان الزهري إلا من غلمان الحسن بن محمد". انظر: التقريب ص 72 والتهذيب 320/2 وروى ابن سعد في الطبقات بسنده أن زاذان وميسرة دخلا على الحسن بن محمد بن علي فلاماه على الكتاب الذي وضع في الإرجاء فقال لزاذان يا أبا عمر لوددت أنني كنت مت ولم أكتبه، الطبقات الكبرى ، الطبعة العلمية، باب الحسن ابن محمد، 252/5.

³ - الحوالي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، صفحة 237.

⁴ - الجهم بن صفوان: أبو محرز السمرقندي، وقيل: الترمذي، إليه تنسب (الجهمية)، قال بخلق القرآن وتعطيل الأسماء والصفات والجبر وفناء الجنة والنار، من شيوخه: الجعد بن درهم، قُتل على يد سلم بن أحوز المازني بمرور في سنة 128هـ، الوفيات والأحداث (ص: 43، بترقيم الشاملة آليا).

⁵ - الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ) مقالات الإسلاميين (1 / 132) عنى بتصحيحه: هلموت ريتز.

الفصل الأول

الفكر الإرجائي

المبحث الأول: تعريف الفكر الإرجائي ونشوؤه.

المطلب الأول: تعريف الفكر الإرجائي.

المسألة الأولى: الإرجاء لغةً.

الإرجاء : يعني التأخير، وقد يعني الإمهال، " .. وأرجأتُ الأمرَ إرجاءً، إذا أخَّرته.."(1).
" .. وأرجَى الأمرَ: أخَّره، لُغَةً فِي أَرْجَاهُ. ابْنُ السَّكَيْتِ: أَرْجَأْتُ الْأَمْرَ وَأَرْجَيْتُهُ إِذَا أَخَّرْتَهُ، يُهْمَزُ وَلَا يُهْمَزُ، وَقَدْ فُرئ: وَأَخْرُونَ مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ"(2).
الإرجاءُ: من قولِكَ أَرْجَأْتُ الشَّيْءَ: أَي أَخَّرْتَهُ، وَفِي الْقُرْآنِ: " وَأَخْرُونَ مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ".
وَأَرْجَأْتُ النَّاقَةَ: إِذَا دَنَا نِتَاجُهَا؛ فَهِيَ تَرْجَى إِرجَاءً، وَنَاقَةٌ مُرَجَى"(3).
"..الإملاء: هو الإمهال والتأخير.."(4)، وهنا يبدو أن الإمهال من مرادفات التأخير الذي هو الإرجاء.

المسألة الثانية: الإرجاء اصطلاحاً.

من المعلوم أن كلَّ أهلٍ في من فنون العلوم لهم اصطلاحاتهم الخاصة بهم، فأهل اللغة وأهل الفقه وأهل الحديث وأهل الأصول وأهل العقائد، كلُّ له اصطلاحاته الخاصة بفن علمه، وهذا ما يلزمنا بتحرير القول في معنى الإرجاء في اصطلاح أهل العقائد.

لقد تعددت الأقوال في معنى الإرجاء في مفاهيم أهل العقائد على أقوال هي:

1- الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(المتوفى: 321هـ)، **جمهرة اللغة**، 2/ 1086.

2- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المتوفى: 711هـ، **لسان العرب**، 14/ 311.

3- **الصاحب**، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد المتوفى 385هـ **المحيط في اللغة**، 2/ 135، بترقيم الشاملة آليا.

4- **العسكري**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، المتوفى: نحو 395هـ، **معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية**، بترتيب وزيادة، ص: 72.

1- الوقف والإمهال.

"..وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِرْجَاءَ هُوَ الْوُقُوفُ فِي الْجَوَابِ وَالْإِمْهَالُ لِلنَّظَرِ.."⁽¹⁾، والوقف في الجواب يعني الحيرة، وعدم القطع بحكم، وهذا ما حدا بقائله إلى إرجاء الحكم فيه أو القطع بحكم عليه.

2- التأخير وإعطاء الرجاء.

"..الإرجاء على معنيين:

أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} [سورة الأعراف:7، الآية : 111] أي أمهله وأخره.

والثاني: إعطاء الرجاء.

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد.

وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا؛ من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار...⁽²⁾.

فالمعنى الأول في هذا التعريف وهو الإمهال، فهذا قولٌ محتمل، يُحتمل أن المقصود به الحيرة في الأمر؛ وأن هذا الأمر مُرجى حكمه إلى الله - تعالى - في يوم الحساب، ولا سبيل لنا لمعرفة،

ويُحتمل أن المقصود به أنه لا علم لنا بالخواتيم، فيُمهل حتى يُعرف ما تؤول إليه حاله كي لا نُقدِّم بين يدي الله - عز وجل - بحكم، والذي يُرجح أحد الاحتمالين هي القرينة من اللغة في سياق الحديث.

أما المعنى الثاني في هذا التعريف بإعطاء الرجاء، فالمقصود به واضح وغير محتمل، فهم يقطعون بأن الذنوب لا تضر مع توفر (الإيمان) والذي قد يريد به بعضهم مجرد المعرفة، وقد يريد به بعضهم مجرد التصديق، وهذا في الشطر الأول من التعريف، غير أن الناظر في الشطر

¹ - الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المتوفى: 333هـ، التوحيد للماتريدي، ص: 385.

² - الشهرستاني، الملل والنحل، 1/ 139.

الثاني قد ينطلي عليه الأمر، ويعتقد صحة المعنى ، فيقول لا قبول للأعمال مع الكفر، ظناً منه أن المقصود بالكفر، هو عين المعنى الشرعي للكفر، لعدم درايته بتعريفهم للكفر، فالكفر عندهم هو عدم المعرفة بالله، كما أن الإيمان عندهم هو مجرد المعرفة بالله، وعلى أصلهم هذا يكون إبليس عارفاً بالله ليس كافراً!!

3- المعرفة بالله فقط.

"...من المرجئة[من] يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل به فقط فلا إيمان بالله إلا بالمعرفة به ولا الكفر بالله إلا الجهل به وأن قول القائل إن الله ثالث ثلاثة ليس بكفر ولكنه لا يظهر إلا من كافر وذلك أن الله تعالى أكفر من قال ذلك وأجمع المسلمون انه لا يقول إلا كافر.."⁽¹⁾، والذي يفسر هذا التعريف منهم للإيمان، ما قاله الإمام ابن القيم- رحمه الله تعالى- في نونيته:

"..واشتم جميع المرسلين ومن أتوا... من عنده جهرا بلا كتمان
وإذا رأيت حجارة فاسجد لها ... بل خر للأصنام والأوثان
وأقر أن الله جل جلاله ... هو وحده الباري لذي الأكوان
وأقر أن رسوله حقا أتى... من عنده بالوحي والقرآن
فتكون حقا مؤمنا وجميع ذا... وزر عليك وليس بالكفران
هذا هو الإرجاء عند غلاتهم ... من كل جهمي أخي الشيطان"⁽²⁾.

4- نفي دخول العمل في حقيقة الإيمان.

"..الإرجاء معناه: نفي دخول العمل في حقيقة الإيمان، ويعتقدون أن الإيمان هو تصديق القلب، فيخرجون عمل القلب وعمل الجوارح.."⁽³⁾.

¹-ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المتوفى: 728هـ، بيان تلبیس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، 344 /5.

²-ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، المتوفى: 751هـ، نونية ابن القيم = الكافية الشافية، ص: 167.

³-السلمي، عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي، دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، 19/15.

وهذا التعريف يُلخص أبيات النونية السابقة للإمام ابن القيم، ويؤكد أصلهم لا يضر مع الإيمان ذنب.

5- الإيمان مجرد التصديق.

".. وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَغْتَرُّ بِمَسْأَلَةِ الْإِرْجَاءِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ مُجَرَّدُ النَّصْدِيقِ، وَالْأَعْمَالُ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ إِيْمَانَ أَفْسَقَ النَّاسِ كإِيمَانِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ...".⁽¹⁾

وهذا تعريفٌ للإرجاء بمجرد التصديق المنفصم عن العمل والذي لا يؤثر في مستوى الإيمان!

6- القول بلا عمل.

".. والمرجئة القائلون بأن الإيمان هو المعرفة، والقول بلا عمل من أعمال القلب، من أنه- أي من شأن عمل القلب- إنما ينافيه- أي ينافي الإيمان- في الظاهر وقد يجمعه في الباطن..".⁽²⁾

أما قولهم .. بأن الإيمان هو المعرفة والقول بلا عمل من أعمال القلب...، هو فصلٌ جليٌّ منهم لأعمال القلب، عن حقائق الإيمان، فمجرد التلفظ بكلمة الإيمان الفاقدة لأي رصيدٍ من الإيمان في القلب، يعدون ذلك إيماناً، فمجرد المعرفة، هي (الإيمان) الذي لا يضر معه ذنب!!

ويبدو للناظر فيما سبق من تعريفاتٍ لمصطلح الإرجاء، أنه فكر يقوم على حصر مفهوم الإيمان في مجرد المعرفة البحتة، أو التصديق المنفصم عن الأعمال، ويتوفره لا ضرر من ذنب، وبعدمه لا تنفع طاعة، ويبنى على هذا الفهم، أن اليهود، والنصارى، والمجوس، وكافة المشركين، وفرعون، وإبليس، هم (مؤمنون)، لأن جميعهم يعرف الله على حد زعمهم المتهافت!!

فتراهم يتشبثون ويديمون الاحتجاج بالحديث الشريف (...عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (نَادِ فِي النَّاسِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)⁽³⁾.

¹-ابن القيم، الدواع الشافي= الداء والدواء، ص: 22.

²-ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، صفحة 370.

³-ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي المتوفى: 354هـ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، باب فضل الإيمان 1/ 363، الترمذي، محمد بن عيسى بن سُوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المتوفى: 279هـ، سنن الترمذي، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله من 23/5. الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، المتوفى: 1420هـ، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم 2638، 6/ 138، حققه الألباني وقال: حديث حسن.

فقد توقفوا عند التلطف بها مجردة عن أي عمل قلبي، أو عمل ظاهر، وحصروا الإيمان في قول لا إله إلا الله، وهذا بائن التهافت والسقوط أمام البيان النبوي الواضح الدلالة في أن بعض الأعمال موجبة لدخول الجنة أيضاً، مما ينسف حصرهم الإيمان في مجرد قول لا إله إلا الله !
 (..عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»⁽¹⁾).

"... قال ابن خزيمة : هذا الخبر من الجنس الذي بيئتُ في كتاب الإيمان, فلو كان في قوله ﷺ من قال لا إله إلا الله دخل الجنة دلالة على أن جميع الإيمان قول لا إله إلا الله , لكان في هذا الخبر دلالة على أن جميع الإيمان صوم يوم وإطعام مسكين وشهود جنازة وعبادة المريض, لكن هذه فضائل لهذه الأعمال , لا كما يدعي من لا يفهم العلم ولا يُحسنه"⁽²⁾.

وقال رحمه الله - تعالى - في موضع آخر، " بابُ إِيْجَابِ الْجَنَّةِ بِسُقْيِ الْمَاءِ مَنْ لَا يَجِدُ الْمَاءَ إِلَّا غَبًا " والدليل على أن قوله: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي قَدْ بَيَّنَّهُ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ أَنَّ هَذَا مِنْ فَضَائِلِ الْقَوْلِ وَالْأَعْمَالِ، لَا أَنَّهُ جَمِيعُ الْإِيمَانِ، إِذِ الْعُلْمُ مُحِيطٌ أُنَّ الْإِسْتِقَاءَ عَلَى بَعِيْرِهِ الْمَاءِ، وَسُقْيَهُ مَنْ لَا يَجِدُ الْمَاءَ إِلَّا غَبًا لَيْسَ بِجَمِيعِ الْإِيمَانِ"⁽³⁾.

الخلاصة في معاني الإرجاء.

والخلاصة مما سبق، أن معنى الإرجاء اصطلاحاً، هو فصلُ الإيمان عن العمل، الذي تقول به المرجئة⁽⁴⁾، أو التوقف في حكم مسألة، أو إرجاء حكمها إلى الله - تعالى - يحكم بها يوم الفصل

¹ - مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى: 261هـ، صحيح مسلم ، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، 2 / 713. وأورده في باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، 4 / 1857.

² - ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري ، المتوفى: 311هـ، صحيح ابن خزيمة ، باب إيجاب الله عز وجل الجنة للصائم، 3 / 304.

³ - ابن خزيمة، (م. ن.) باب إيجاب الجنة بسقي الماء من لا يجد الماء، 4 / 125.

⁴ - المرجئة : قال الإمام أحمد: "المرجئة: هم الذين يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل، وأن الإيمان قول والأعمال شرائع، وأن الإيمان مجرد، وأن الناس لا يتفاضلون في إيمانهم، وأن إيمانهم وإيمان الملائكة والأنبياء واحد، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن الإيمان ليس فيه استثناء، وأن من آمن بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن حقاً، هذا كله قول المرجئة وهو أخبث الأقاويل وأضله وأبعده من الهدى" الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، المتوفى: 324 هـ ، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، هامش ص: 175.

والحساب، كما نُقِلَ عن الحسن بن محمد (ابن الحنفية) في مسألة عدم الولاء وعدم البراء من عثمانٍ وعليٍّ وطلحةَ والزبير - رضي الله عنهم أجمعين - وإرجاء أمرهم إلى الله - عز وجل - في يوم الدين⁽¹⁾.

والذي يعنينا من هذه التعريفات، هو تعريفات المرجئة، والتي مُعَوَّلُها فصل العمل عن حقيقة الإيمان، فهو مدار بحثنا في هذه الرسالة.

المطلب الثاني: نشأة الفكر الإرجائي وأسباب انتشاره.

المسألة الأولى: الإرجاء عند أهل الكتاب [اليهود والنصارى].

لقد ورد فيما يسمي بالكتاب المُقدَّس، ما يسمونه آية في الإنجيل (أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)⁽²⁾، ففسرها الأحرار بمعنى أعطِ كلَّ ذي حقِّ حقه، وفسرها اللادينيون (فصل الدين عن الحياة) الذي هو عماد الفكر الإرجائي، الذي يفرق بين الاعتقاد والقول والعمل، وإذا ما قرأنا الكلام والسلوك والتطلعات للعلمانيين، نجد أنه لا علاقة بين الاعتقاد من جهة، وبين القول والعمل والتطلعات من جهة أخرى، فتمام التطابق واضحٌ بيِّنٌ، بين الفريقين في مفهوم الفصل بين الدين والدنيا، ولا غرابة أن تجد الغالبية العظمى من شعوب الأمم التي تدين بالنصرانية - في الغرب والشرق - لا علاقة بين معاملاتها وسلوكها وتطلعاتها، وبين دينها وإيمانها، وكذلك توأمتها اليهودية، فهي ديانة عرقية لا تقبل في إطارها من كان من أم غير يهودية، وذلك في التعريف الديني لليهودية، ولكنها فتحت الباب أمام من (يتهود)!! ولو كان غير متدين، بل علماني، حتى يُحسب الإنسان من (الشعب المختار) فالعرق وحده هو المؤهل لا غيره!

"...أما مسألة (الشعب المختار) فإنها قضية (عرقية) تتصل بالدم والعرق، لا مجال فيها للعلم والاجتهاد، بل ولا لفضيلة مكتسبة وإنما هي تفضيل بالعرق والميلاد، فهي عندهم من مسائل الاعتقاد، والخبر المنصوص عليه بالنص القاطع الدلالة في رأيهم"⁽³⁾، بدليل أن رفض المتدينين

¹ - انظر، الحوالي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، صفحة 237.

² - إنجيل مرقس، 12 : 12-17، إنجيل متى 21/22، إنجيل لوقا، 20/25.

³ - صبح، عبد المجيد حامد صبح، الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص: 172.

من اليهود التعاريف اللادينية "... فاليهود أمة مقدّسة وكيان منعزل غريب مقدّس يكتسب هويته من علاقته الخاصة مع الرب، ومن رسالته الخالدة بين الشعوب الأخرى"⁽¹⁾.

وهنا تجد اليهودية تتماها مع النصارى- استثنى رجال الكنسية ورهبان الأديرة - وأهل الفكر الإرجائي، بأنها أسم دون معنى وشكل من غير مضمون ورسم مُفرغ من الجوهر، قال الحق - تبارك وتعالى- { فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيْهِ } [طه:20، الآية : 88].

فالمؤمن إذن عند أهل الفكر الإرجائي ومن شاكلهم، مسمى بلا مضمون، بل مضمونٌ مناقضٌ لمسامه، فهو هوية، وعنوان ذاتية لا أكثر من ذلك، فلا يتعدى للعقيدة والقيم والأخلاق والسلوك. "...لا إيماناً بعقيدة دينية أو قيمة أخلاقية وإنما تعبيراً عن الهوية. وبالتالي، تُفرِّغ الشعائر من مضمونها بل تكتسب مضموناً مناقضاً لمعناها الديني الأصلي"⁽²⁾.

المسألة الثانية: نشأة الفكر الإرجائي عند المسلمين.

يبدو لي بعد استقراء لما تيسر لي من أقوال العلماء، أن منشأ بدعة القول بالإرجاء، ليس ما ورد عن الحسن بن محمد بن علي(ابن الحنفية) في إرجائه الأمر لله - تعالى- في عثمان وعلي، وطلحة والزبير، وأن لا يتبرأ منهم ولا يُوالوا، فهذا إرجاءٌ توقف في حكم مسألة، بعيداً عن الإصابة، أو عدم الإصابة فيها، فهذا اجتهاد منه، لاسيما أنه تراجع عنه. وإنما نشأة الإرجاء المذموم في اصطلاح علماء الفرق والعقائد، كانت في الكوفة، .. قلت:- الكلام لابن تيمية- ذكر من الكوفيين من قال ذلك أكثر مما ذكر من غيرهم، لأن الإرجاء في أهل الكوفة كان أولاً فيهم أكثر، وكان أول من قاله حماد بن أبي سليمان، فاحتاج علماؤها أن يظهروا إنكار ذلك فكثر منهم من قال ذلك..⁽³⁾، والذي يُؤيد قول الإمام ابن تيمية - رحمه الله- أن أهل الكوفة كانوا على جوار مع الفرس؛ أهل حضارة وفكر، فليس بمستغرب أن تتمازج الثقافات، وتتلاقح الأفكار، ويتوحد المفهوم فيما بين أهل الجوار، والاحتكاك عن قرب، حتى أخرج ذلك المفهوم المذموم (للإيمان)، الذي يضيف شبه اليهود على مُعتنقيه وحامله، بعلم منهم، أو بغير علم، وذلك لتفريغه الإيمان من حقيقته ومضمونه، وإبقائه على الآمال والتمنيات، دون رصيدٍ من طاعةٍ وانقياد، والذي حذر منه السلف، وشنعوا على القائلين به، .. وقال ابن

¹-المسيري، دكتور عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (32/4)، بترقيم الشاملة آليا).

²- المسيري، (م . ن)، 46/14.

³- ابن تيمية، الإيمان، 243/1.

عباس: اتقوا الإرجاء فإنه شعبة من النصرانية"⁽¹⁾، وقال مجاهد: "يبدؤون فيكونون مرجئة ثم يكونون قدرية ثم يكونون مجوساً"⁽²⁾، وقال محمد بن علي بن الحسين: "ما ليل بليل ولا نهار بنهار أشبه من المرجئة باليهود"⁽³⁾. ذلك لأن اليهود الذين أخبرنا الله - تعالى - عنهم { وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [سورة البقرة: 2، الآية: 80]، وقال - عز وجل - { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } [سورة آل عمران: 3، الآية: 24]، أجل .. لقد غلبوا الأمل، وعطلوا العمل، وركنوا لما افتروا من عقائد، فباءوا بالخيبة في الدارين، وحقيقٌ بمن شابههم في الاعتقاد أن يشاطروهم في المصير والمآل.

وهنا تكون إحدى أخطر البدع التي ظهرت في الإسلام، قد رفعت رأسها، بعد البدعة الأولى التي سبقتها، والبدع التالية، التي لحقت بها، " .. أَوَّلُ بِدْعَةٍ ظَهَرَتْ بِدَعَاةِ الْقَدْرِ، وَبِدْعَاةِ الْإِرْجَاءِ، وَبِدْعَاةِ التَّشْبِيعِ وَالْحَوَارِجِ، وَهَذِهِ الْبِدْعُ ظَهَرَتْ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي، وَالصَّحَابَةُ مَوْجُودُونَ، وَقَدْ أَنْكَرُوا عَلَى أَهْلِهَا كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ، ثُمَّ ظَهَرَتْ بِدْعَاةُ الْإِعْتِرَالِ، وَلَمْ يَزَلِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى النَّهْجِ الْأَوَّلِ، وَلُزُومِ ظَاهِرِ السُّنَّةِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - إِلَى أَنْ حَدَثَتِ الْفِتْنُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْبُعْثُ عَلَى أُمَّةِ الدِّينِ، وَظَهَرَ اخْتِلَافُ الْأَرَاءِ، وَالْمَيْلُ إِلَى الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَكَثُرَتْ الْمَسَائِلُ وَالْوَأَقِيعَاتُ، وَالرُّجُوعُ إِلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْمُهَمَّاتِ، فَاسْتَعْلَوْا بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، وَاسْتَنْبَطَ النَّتَاجَ، وَتَمَهَّدَ الْقَوَاعِدَ، وَإِنْتِجَ الْقَضَايَا وَالْفَوَائِدَ، وَأَخَذُوا فِي التَّبْوِيبِ وَالتَّقْصِيلِ، وَالتَّنْزِيبِ وَالتَّاصِيلِ .."⁽⁴⁾.

ويبدو للباحث أن الفكر الإرجائي لم يأخذ صبغة الكتلة، أو التجمّع الذي يحتويه إطار من القواعد والأصول، كما هي الفرق، وإنما هي فكرة لمفهوم (الإيمان) عند ثلثة من أهل الزيغ والأهواء ، تدخل في أطر فكرية متباينة الأفكار، ومختلفة في المفاهيم، " .. وإن كان الإرجاء كالقدر ليس فرقة بعينها، وإنما في طوائف متعددة .."⁽⁵⁾، وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: "بدعة القدر أدركت آخر عصر الصحابة، فأنكرها من كان منهم حياً كعبد الله بن عمر وابن عباس وأمثالهما

¹ - اللالكلائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللاكلائي، المتوفى: 418هـ،

أصول اعتقاد أهل السنة، باب ذم الصحابة للمرجئة، 5/ 51.

² - اللالكلائي، (م . ن)، باب تدرج البدع من الإرجاء إلى المجوسية، 6/51.

³ - اللالكلائي، (م . ن)، باب تشبيه العلماء للمرجئة باليهود، 5/ 13.

⁴ - السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، المتوفى: 1188هـ، لواعج الأنوار البهية، 71/1.

⁵ - الألويسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي التثاء الألويسي، المتوفى: 1270هـ، فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، تحقيق، السعيد، يوسف بن محمد السعيد، ص 184.

- رضي الله عنهم- ثم حدثت بدعة الإرجاء بعد انقراض عصر الصحابة، فتكلم فيها كبار التابعين الذين أدركوها، ثم حدثت بدعة التجهم بعد انقراض عصر التابعين واستقل أمرها واستطار شرها في زمن الأئمة كالإمام أحمد وذويه، ثم حدثت بعد ذلك بدعة الحلول وظهر أمرها في زمن الحسين الحلاج، وكلما أظهر الشيطان بدعة من هذه البدع وغيرها أقام الله لها من حربه وجنده من يردّها، ويحذر المسلمون منها نصيحة الله، وكتابته، ولرسوله ولأهل الإسلام..⁽¹⁾. وبهذا يتحرر القول في أن بدعة الإرجاء، كانت بعد عهد الصحابة - رضي الله عنهم- وقد تصدى لها كبار التابعين، ولكن من الذي تولى كبره في اختلاق هذه البدعة يا ثرى؟! هنالك عدة أقوال في أول من قال بالإرجاء:

1- الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب.

وهذا قول لا قوام له، لأنه خارج نطاق البحث، فقله بالإرجاء، لا يتعدى التوقف والحيرة؛ في حكم مسألة عدم الولاء أو البراء في أربعة صحابة كرام مشهود لهم بالجنة، وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير- رضي الله عنهم- بسب حداث سياسي؛ أو حكم مرتكب الكبيرة، وهذا لا علاقة له بالعقيدة والإيمان، من التحقق أو البطلان، لذا كان هذا القول غير معتبر.

2- ذر بن عبد الله المرهبي الهمداني، توفي قيل المائة هـ.

وهذا القول ورد بصيغة التضعيف، والتمريض. "... وقيل: إن أول من قال بالإرجاء على طريقة الغلو فيه هو رجل يسمى ذر بن عبد الله الهمداني وهو تابعي، وقد ذمه علماء عصره من أهل السنة، بل كان بعضهم- مثل إبراهيم النخعي- لا يرد عليه إذا سلم، وكذلك سعيد بن جبير. والجمع بين هذا القول والذي قبله يتضح باختلاف حقيقة الإرجاء عند الحسن وعند ذر بن عبد الله؛ إذ الإرجاء عند الحسن ترك الحكم على أولئك الأشخاص. وأما الإرجاء عند ذر فهو إخراج العمل عن مسمى الإيمان"⁽²⁾.

¹ - ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المتوفى: 1421هـ، تقريب التدمرية، ص9.

² - عواجي، د. غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، 3/

3- قيس بن عمرو الماصر.

" قال الأوزاعي: أول من تكلم في الإرجاء رجل من أهل الكوفة يقال له: قيس الماصر " جاء عنه في تقريب التهذيب، " عمر ابن قيس الماصر بكسر المهملة وتخفيف الراء أبو الصباح بمهملة وموحدة شديدة الكوفي مولى ثقيف صدوق ربما وهم ورمي بالإرجاء .."(1)، وهذا القول لا قوام له في نظري، لأن مستنده مجرد الرمي بالإرجاء، مما يوحي للناقد أنه ليس رأساً في بدعة الإرجاء، وإن بدا منه ما يسوّغ رميه بالإرجاء، فلو كان رأساً في الإرجاء، لما توقف الأمر فيه على مجرد الرمي والاتهام.

4- حماد بن أبي سليمان (2).

".. وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن حماد بن أبي سليمان ، ت120هـ، هو أول من قال (بالإرجاء) وكانت بدعة الإرجاء مقتصرة في بدايتها على إرجاء الفقهاء ولذلك كانت هذه البدعة أخف البدع، فإن كثيراً من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ دون الحكم، إذ كان الفقهاء الذين يضاف إليهم هذا القول مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما مع سائر أهل السنة متفقين على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة، وعلى أنه لا بد في الإيمان أن يتكلم بلسانه، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب. فكان الخلاف معهم في الأعمال هل هي من الإيمان؟، وفي الاستثناء ونحو ذلك عامته نزاع لفظي. " (3)، ولكن يبدو لي أن الخلاف غير مقتصر على نزاع لفظي كما يقول (التميمي) في اقتباسي السابق عنه، بل هو أعمق من ذلك، بين من جعل الأعمال من الإيمان، كأهل الحديث والأثر، وبين من جعل الأعمال خارج نطاق الإيمان مع لزومها، ممن أطلق عليهم (مرجئة الفقهاء) ، " ... وَمَنْ قَالَ: بِحُصُولِ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ بِدُونِ فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ الْوَاجِبَاتِ سَوَاءً جَعَلَ

¹ - العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) تقريب التهذيب، ص: 416.

² - حماد بن أبي سليمان، هو الفقيه الكوفي مولى الأشعريين أحد الأعلام، أصله من أصبهان روى عن أنس وابن المسيب ويزيد بن وهب وأبي وائل والشعبي وطبقتهم وكان سخياً جواداً يفتّر كل ليلة في رمضان خمس مائة نفس ويعطيهم ليلة العيد مائة وقيل خمسين نفساً قال النسائي ثقة إلا أنه مرجئ خرج له مسلم مفزونا برجل آخر وأهل السنن الأربعة وقال ابن عدي يقع في حديثه الأفراد والغرائب وهو متمسك في الحديث لا بأس به وثقفي في قول سنة تسع عشرة ومائة، الوافي بالوفيات، 13 / 84.85.

³ - التميمي، محمد بن خليفة بن علي التميمي، مقالة التعطيل والجعد بن درهم، ص 70.

فَعَلَ تِلْكَ الْوَاجِبَاتِ لَازِمًا لَهُ؛ أَوْ جُزْءًا مِنْهُ فَهَذَا نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ كَانَ مُخْطِئًا خَطَأً بَيِّنًا وَهَذِهِ بَدْعَةٌ
الْإِرْجَاءِ الَّتِي أَعْظَمَ السَّلْفُ وَالْأَيْمَةُ الْكَلَامَ فِي أَهْلِهَا وَقَالُوا فِيهَا مِنْ الْمَقَالَاتِ الْعَلِيظَةِ مَا هُوَ
مَعْرُوفٌ وَالصَّلَاةُ هِيَ أَعْظَمُهَا وَأَعْمُهَا وَأَوْلَاهَا وَأَجْلُهَا..⁽¹⁾، فالأعمال تصديقٌ للإيمان والأقوال.

5- الجهم بن صفوان.

".. وإذا تجاوزنا مرجئة الفقهاء قليلاً نجد أن الجهم بن صفوان الذي قتله سلم بن أحوز والي
خراسان كان قد ابتدع الإرجاء، وكان كما يقول بعض المؤرخين: أول من ابتدع الإرجاء، وقيل:
إن أول من ابتدع الإرجاء هو غيلان الدمشقي القدري الذي سبق أن تحدثنا عنه، المهم أن
مذهب الإرجاء ظهر باسم جهم بن صفوان، فلما ظهر الإرجاء باسم جهم بن صفوان كان حقيقة
مذهب جهم بن صفوان في المسألة هو أن الإيمان مجرد المعرفة، يعني: أن يعرف الله ويعرف
الرسول، فمن عرف ذلك يصبح مؤمناً كامل الإيمان حتى لو لم يعمل شيئاً من أعمال القلب ولا
أعمال الجوارح ولا نطق اللسان ولا شيء من هذه الأمور، بل مجرد أن يعرف، وإذا عرف حصل
منه الإيمان وكفى، هكذا كان يقول جهم، وقد كفره السلف الصالح رضوان الله عليهم في قوله في
الإيمان وفي قوله في الأسماء والصفات، ولهذا يقول عبد الله بن المبارك⁽²⁾ رحمه الله تعالى:
لئن أحكى كلام اليهود والنصارى خير لي من أن أحكى كلام الجهمية.⁽³⁾ وبهذا يتحرر القول
في أن رأس الإرجاء، وأول من قال به كمفهوم يقوم على فصل العمل عن الإيمان، هو الجهم
بن صفوان، فنرى أنه أصلٌ وقعدٌ على أن (الإيمان) هو مجرد المعرفة وحسب!!

المسألة الثالثة: أسباب انتشار الفكر الإرجائي.

فالسابر لأفكار وأحوال من قالوا بالإرجاء أو رُموا به، يجد أن الباعث على قولهم بالإرجاء
أمران هما:

¹ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 621/7.

² - ابن المُبارك (118 - 181 هـ = 736 - 797 م) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ بالولاء، التميمي،
المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في
الأسفار، حاجاً ومجاهداً وتاجراً. وجمع الحديث والفقهِ والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان
خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفاً من غزو الروم. له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه،
الأعلام للزركلي (4/ 115).

³ - السلمي، عبد الرحيم السلمي، شرح الطحاوية (4/ 7)، بترقيم الشاملة آليا.

الأول: الحيرة وعدم الجزم في حكم مسألة، كما كان من الحسن بن محمد (بن الحنفية) ومن قلده وتابعه فيما ذهب إليه من اجتهاد، والتي بقيت محصورة في إطار فقهي وحسب، غير أن هذا القول بالإرجاء قد أسهم - ولو بغير قصد أو سوء نية - في التمهيد والتهيئة للأذهان في الوسط الإسلامي، لاستقبال فكر الإرجاء بالمفهوم البدعي الممجوج، والله أعلم.

الثاني: التأثير بجرثومة الأفكار الفلسفية الدخيلة على الإسلام من بلاد فارس والروم، والتي أخذت المنحى العقدي في حقيقة الإيمان ومضمونه، والذي مثل مبدأ الزيف والانحراف، ومنتشاً البدعة والضلالة في الفكر الإسلامي، والتي تجدها وتذكي جذوتها حملة الاستشراق المسعورة في هذه الأيام، وليس أدل على ذلك من تتبّع أحوال بعض السابقين والمعاصرين ممن تأثروا بالأفكار الدخيلة، والمفاهيم المستوردة، وحملوا لواء نشرها من الآتية أسماؤهم.

1- معبد الجهني (تلميذ سوسن)!

"... وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ: أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ فِي الْقَدَرِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، يُقَالُ لَهُ سَوْسَنٌ، كَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، ثُمَّ تَنَصَّرَ، فَأَخَذَ عَنْهُ مَعْبَدُ الْجُهَيْيِّ، وَأَخَذَ غِيْلَانُ عَنْ مَعْبَدٍ.. " (1)، فهذا الرجل (معبد) قد تأثر من رجل كان نصرانياً (سوسن)، ثم أسلم، ثم رجع لنصرانيته، بعد أن حقن سم أفكاره في الوسط الإسلامي، والتي قوامها الفلسفة الإغريقية، فتوابع عليها من قبل (معبد)، وهذا ما يوضع أيدينا على مصدر الأقوال البدعية، كالقول ببدعة القدر، والقول ببدعة الإرجاء وغيرهما - تلك الأفكار الوافدة والدخيلة على الإسلام - أنها من صنيع كيد وتدبير الكفار، وما قام به (سوسن) من دخول في الإسلام وارتداد عنه، ما هو إلا أسلوب صد عن الإسلام، وإعمال معول هدم فيه، مصداقاً لقول الله - تعالى - { وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [سورة آل عمران: 3، الآية: 72]، فهذا ديدن الكفار في أساليب التخريب والهدم، والصد عن دين الإسلام الحنيف، فهم يختلقون فكرة هدامة، ويصنعون رجالاً على أعينهم من المسلمين يحملون لواء نشرها وترويجها، والمدبرون يلتزمون (الحياد) مكرراً منهم، كي يُبعدوا عن أنفسهم شبهة المشاركة فيها، لتجنب ردة الفعل المعاكسة من أبناء الأمة - ولو بدافع الحمية لمعتقداتهم - التي يمكرون بها، ويكيّدون لدينها، وأفكارها، فهذا (معبد الجهني) يقوم بالدور الذي رُسم على يد (سوسن)، وسوسن عاد

¹ - ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المتوفى: 571هـ.

تاريخ دمشق، 319/59.

لنصرانيته، وكأن ما يجري في الفكر الإسلامي أمرٌ داخلي، وتفاعل طبيعي، لا شأن للنصارى فيه من قريب أو بعيد!! فما أشبه اليوم بالبارحة.

2- غيلان الدمشقي (القبطي المقتول) 105هـ.

كان قبطيًا، قدريًا، لم يتكلم أحد في القدر قبله ودعا إليه إلا (معبد الجهني)، وكان (غيلان) يكنى: أبا مروان. وأخذ «هشام بن عبد الملك» فصلبه بباب «دمشق». وكانوا يرون أن ذلك بدعوة (عمر بن عبد العزيز) عليه⁽¹⁾، "... غيلان الدمشقي هو الرجل الثاني بعد معبد الجهني من رؤوس بدعة القدرية، وقد ظهرت مقولته بالشام وافتتن بها خلق .."⁽²⁾، "لم يقتصر غيلان على مقولات معبد، بل تكلم في الصفات فنفي بعض الصفات، كالاستواء.."⁽³⁾، "ونسب إليه كذلك: القول بأن الإيمان هو المعرفة، وأن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان والقول بخلق القرآن.."⁽⁴⁾، "ظهر في العراق في فترة مبكرة معبد الجهني الذي كان من أوائل القدرية في الإسلام وهم منكرو القدر، وقد جاء بهذه الأفكار - فيما يبدو من مصادر نصرانية، ثم ما لبث أن ثار على الأمويين مع ابن الأشعث فلما فشلت هذه الثورة ألقى الحجاج القبض عليه وقتله .."⁽⁵⁾، وهذا ما يؤكد لنا أن بذرة مقولة الإرجاء دخيلة، وأن مبدؤها من رجال نصارى، دخلوا الإسلام بما معهم من عقائد تتأقض عقائد دين الإسلام وأصوله.

3- جهم بن صفوان (تلميذ الجعد بن درهم)!

زنديق مارق، وشيطانٌ مارد، ومبتدع شرير، لم يُرى مثله في الفتنة، أعمل معول الهدم في دين الإسلام، وسخر ذكاؤه الحاد في إفساد العقيدة، وبلبلة الفكر، والتشكيك في الإسلام، وهو رأس فرقة (الجهمية) المارقة، نفات الصفات، ومعطلة الأسماء، للباري - عز وجل -، فقيل فيها، ".... الجهمية هي فرقة سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها جهم بن صفوان، وهي على رأس الفرق الضالة الهالكة؛ لأنها خالفت أهل الإسلام في أصول معتقدتهم، وأصل هذه البدعة يعود

¹ - الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، المعارف، 1/ 484.

² - العقل، ناصر بن عبد الكريم العلي العقل، أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام، القدرية والمرجئة، ص 32.

³ - العقل، دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ص 251.

⁴ - العقل، (م . ن) ص 250.

⁵ - الصلابي، علي محمد محمد الصلابي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 2/ 413.

إلى اليهود، وهذا شأن أكثر البدع أنها تعود إلى أمم الكفر من اليهود والنصارى والمجوس؛ الذين لم يستطيعوا مواجهة الإسلام بالسيف، فبنوا فيه الأفكار الضالة، والمعتقدات المنحرفة لإفساده" (1).

قال فيه الذهبي - رحمه الله- " جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ: أَبُو مُحَرِّزِ الرَّاسِبِيِّ مَوْلَاهُمْ، السَّمَرْقَنْدِيُّ، الْكَاتِبُ، الْمُتَكَلِّمُ، أَسُّ الصَّلَاةِ، وَرَأْسُ الْجَهْمِيَّةِ. كَانَ صَاحِبَ ذَكَاءٍ وَجِدَالٍ. كَتَبَ لِلْأَمِيرِ حَارِثِ بْنِ سُرَيْجِ النَّسِيمِيِّ وَكَانَ يُنْكِرُ الصِّفَاتِ وَيُنْزِعُ الْبَارِي عَنْهَا بِزَعْمِهِ وَيَقُولُ: بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ فِي الْأَمَكِنَةِ كُلِّهَا. قَالَ ابْنُ حَرْمٍ: كَانَ يُخَالِفُ مُقَاتِلًا فِي النَّجْسِيمِ. وَكَانَ يَقُولُ: الْإِيمَانُ عَقْدٌ بِالْقَلْبِ، وَإِنْ تَلَفَّظَ بِالْكَفْرِ" (2)، وقال فيه الذهبي أيضاً " أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً" (3) ، وقد أورد الذهبي في كتابه(مناقب الإمام أبو حنيفة) والخطيب البغدادي في كتابه(تاريخ بغداد) تصريح الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- بكفر الجهم بن صفوان"... يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحِمَانِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، سَمِعَ أَبَا حَنِيفَةَ، يَقُولُ: «جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ الْخُرَّاسَانِيُّ كَافِرٌ» (4) " ونقل الخطيب البغدادي"...حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَفَّانَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ، سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ يَقُولُ: جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ كَافِرٌ" (5) وأكد الذهبي تتلمذ الجهم على يد الجعد بن درهم ". جهم بن صفوان، تلميذ الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري سنة 124هـ" (6) قال إسحاق بن راهويه" أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير، يعني: في البدعة والكذب: جهم بن صفوان، وعمر بن الصباح، ومقاتل بن سليمان" (7)، وقال بن مخلد : "... وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْلَدٍ، وَكَانَ مِنَ الْحَفَاطِ الْمُتَّقِينَ يَقُولُ: " وَقُتِلَ بِأَصْبَهَانَ جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ لَعْنَهُ اللَّهُ، تَرَكَ الصَّلَاةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، زَعَمَ أَنَّهُ

¹ - آل مندوه، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري ، شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة ، (61/ 1 مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، <http://www.islamweb.net> ، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 66 درسا]، بتريقيم الشاملة آليا).

² - الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المتوفى: 748هـ، سير سير أعلام النبلاء، ط الحديث، 6/ 204.

³ - الذهبي، ميزان الاعتدال، 1/ 426.

⁴ - الذهبي، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، ص: 44.

⁵ - الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المتوفى: 463هـ، تاريخ بغداد وذيوله، ط العلمية، 13/ 373.

⁶ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط الرسالة، 14/ 381.

⁷ - المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبى المزي، المتوفى: 742هـ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 21/ 397.

يَرْتَادُ دِينًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ شَكََّ فِي الْإِسْلَامِ، قَتَلَهُ سَلْمُ بْنُ أَحْوَزَ عَامِلٌ كَانَ بِأَصْبَهَانَ مِنْ قَبْلِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِ: بَلَّغْنِي أَنَّ قَبْلَكَ رَجُلًا مِنَ الدَّهْرِيَّةِ يُقَالُ لَهُ: جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ فَاقْتُلْهُ، فَقَتَلَهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ..(1).

وأراني أكتفي بهذه الشواهد من جهاذة علم الرجال، التي جلّت لنا شخصيته، وأبانت لنا فعلته ، لنخرج بخلاصة مفادها، بأن هذه الشخصية الخبيثة متّلت امتداداً للفكر الدخيل؛ الذي تلقته من الجعد بن درهم، فمن هو هذا الجعد يا ترى؟! وما هي تلك الفرقة المارقة التي أسّسها.

4- الجعدُ بن درهم (تلميذُ أبان)!

"...أصله من خراسان، ويقال إنه من موالي بني مروان، سكن الجعد دمشق، كانت له بها دار بالقرب من القلانسيين إلى جانب الكنيسة، أول من قال بخلق القرآن. كان يسكن دمشق، وله بها دار، وهو الذي ينسب إليه مروان ابن محمد، لأنه كان معلمه. وقيل إنه كان من أهل حرّان، هو الذي قتله خالد بن عبد الله القسري بالكوفة يوم الأضحى، وكان أول من أظهر القول بخلق القرآن في أمة محمد ﷺ فطلبه بنو أمية فهرب من دمشق وسكن الكوفة، ومنه تعلم الجهم بن صفوان بالكوفة القول بخلق القرآن، وهو الذي تنسب الجهمية إليه، وقتله سلم بن أحوز بأصبهان. سئل أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الغسيلي: من أين كان جهم؟ قال: من ترمذ، وكان يذهب في بدء أمره، ثم صار صاحب جيش الحارث بن سريح بمرور، فقتله سلم بن أحوز في المعركة وقبره بمرور. وسئل: ممن أخذ ابن أبي دؤاد؟ فقال: من بشر المريسي، وبشر المريسي أخذه من جهم بن صفوان، وأخذه جهم من الجعد بن درهم، وأخذه جعد بن درهم من أبان بن سمعان، وأخذه أبان من طالوت ابن أخت لبيد وختته، وأخذه طالوت من لبيد بن أعصم، اليهودي الذي سحر النبي ﷺ . وكان لبيد يقرأ القرآن، وكان يقول بخلق التوراة، وأول من صنّف في ذلك طالوت، وكان طالوت زنديقا وأفسى الزندقة، ثم أظهره جعد بن درهم، فقتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بالكوفة، وكان خالد واليا عليها، أتى به في الوثاق حتى صلى وخطب، ثم قال في آخر خطبته: انصرفوا وضحوا تقبل الله منا ومنكم، فإني أريد أن أضحى اليوم بالجعد بن درهم، فإنه يقول ما كَلَّمَ الله موسى تكليما، ولا اتخذ إبراهيم خليلا، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علوا

¹ - أبو نعيم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، المتوفى: 43هـ، تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان، (1/ 67).

كبيراً، ثم نزل وحز رأسه بيده بالسكين⁽¹⁾ وبهذا نضع أيدينا على مصدر هذه الأفكار الخبيثة، إنها الكنيسة وكهنتها من عباد الصليب!! والتي ورثتها بدورها عن أحبار يهود. وقد أورد الإمام المزي في تهذيب الكمال "... شهدت خالد بن عبد الله القسري وخطبهم بواسطة، فقال: يا أيها الناس ضحوا تقبل الله منكم فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه"⁽²⁾، فنعم العلاج هذا لمثل من فعل هذا، وقد أثنى الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - على فعل خالد بن عبد الله القسري فقال :

" ولأجل ذا ضحى بجعد خالد ال... قسري يوم ذبائح القران
 إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني
 شكر الضحية كل صاحب سنة... الله درك من أخي قران"⁽³⁾.

وقد أورد الإمام ابن كثير "... قال غير واحد من الائمة:؟ الجعد بن درهم من أهل الشام، وهو مؤدب مروان الحمار، ولهذا يقال له مروان الجعدي، فنسب إليه، وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي نُسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون إن الله في كل مكان بذاته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وكان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له أبان بن سمعان، وأخذه أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم، عن خاله لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر له، وتحت راعوفة بيئر ذي أروان كان ماؤها نقاعة الجناء"⁽⁴⁾.

وهنا، وبعد تتبع مصادر هذه الأفكار الخبيثة، يثبت لنا بالبحث العلمي المجرد، وتتجلى شمس الحقيقة ساطعة في كبد السماء، لا يحول دونها سحب، تتطرق بملء فيها، بأن هذه الأفكار مصدرها ومنبعها يهودي صليبي، وأن مروجيها، ورافعي لواء الدعوة لها هم صنيعة أهل النجمة والصليب، وأن الأفكار الدخيلة، ومروجيها من الزنادقة المصنوعين على أعين الكفار هي السبب الرئيس في انتشار بدعة الإرجاء، والقول بخلق القرآن، والقول بالنفي والتعطيل لصفات الله تعالى - وأسمائه في عبر التاريخ الإسلامي!

أما في العصر الحاضر فالصورة أوضح من الشمس في رابعة النهار، فالعلمانية، والاستشراق، يصنعان في كل يوم شخصية، تضي على نفسها التدين، وحمل لواء (التجديد) أو

¹ - ابن عساک، تاریخ دمشق، 72/ 99، 100.

² - المزي، تهذيب الكمال، 8/ 118.

³ - ابن القيم، نونية ابن القيم = كافية الشافية - ص: 7، 8.

⁴ - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المتوفى: 774هـ،

البداية والنهاية، ط دار إحياء التراث العربي، 10/ 21.

لواء (النهضة) أو (الحدائثة) أو (العصرنة)، ثم تأتي بما هو أقرب للمفاهيم التوراتية والإنجيلية منه إلى مفاهيم القرآن الكريم، بمسحة وصبغة إسلامية، موغلة في بعدها عن تعاليم الإسلام الحنيف ، والله وحده المستعان.

ومن الأمثلة على ما سبق ما نسب إلى أحد (مشايخ) الجامع الأزهر في مصر (أرض الكنانة)، حينما كان في حفلٍ شارك فيه أحد قساوسة النصارى في مصر، فقام هذا (الشيخ) ونزع عمامته البيضاء ووضعها على رأس القسيس النصراني، بعد أن نزع قلنسوة القسيس السوداء ثم وضعها على رأسه ثم أنشد:

الشيخ والقسيس قسيسان وإن شئت قل هما شيخاني⁽¹⁾.

نعم...!! قل هما شيخاني، ولكن أيُّ شيخان هما؟

شيخان تجمعهم (اللا دينية) العلمانية، التي هي إحدى ثمار الفكر الإرجائي للعين. وبعد هذا الشاهد أقول:

فأية غاية تسعى إليها الماسونية⁽²⁾ والتبشير والاستشراق أعظم من هذه الغاية؟ التي هي منتهى ما يصبون إليه من نيلٍ من دين الإسلام الحنيف، والتي تفصل الدين عن الحياة، وتجسد

¹ - كشك، عبد الحميد كشك، 1933-1996- عالم وداعي مصري كفيف، يلقب بفارس المنابر ومحامي الحركة الإسلامية، ويعد من أشهر خطباء القرن العشرين في العالم العربي والإسلامي. له أكثر من 2000 خطبة مسجلة. خطب مدة أربعين سنة دون أن يخطئ مرة واحدة في اللغة العربية ، من إحدى خطب الشيخ، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

² - الماسونية، جمعية سرية يهودية يسمونها بالقوة الخفية أسسها بادئ الأمر ضد النصارى لتعمل على تحريف إنجيلهم أو أنجيلهم وإفساد عقائدهم وأفكارهم ونشئت أمرهم بأنواع الخلاف والشقاق وقد سلكوا شتى الأساليب الدقيقة لتحقيق ذلك. فلما جاء الإسلام وسعوا دائرتها ليحيطوه بأشراكها، واليهودية العالمية تمد الجمعيات الماسونية برجال الفكر والدهاء والمكر ويلبسون لكل عصر لبوسه الملائم بل يلبسون لكل أمة وشعب وبلد لبوسها الملائم، بل يدخلون إلى كل رجل من مداخله وأذواقه الخاصة حتى يستطيعوا فتنته، وقد حصلت اعترافات كثيرة في أوقات متفرقة على أن الماسونية أوجدت لخدمة أهداف اليهود الشريرة وتسهيل عملية استيلائهم على عقول القادة وتحطيم نفوسهم وتحويلهم إلى عبيد يؤمنون بالماسونية ويكفرون بالله ويخونون أوطانهم ويبيعون أمتهم لصالح اليهود، وذلك لقوة انطواء المكر الماسوني وشدة تأثيره على القلوب، بحيث كسبت أعظم وأكثر القادة من الشرق والغرب، وتغلغت الماسونية في الأسر المالكة والطبقات الحاكمة في أوروبا ومن دار في فلكها الثقافي في البلاد العربية، ولهم طرق في خداع الشعوب إذا لمسوا فيهم الإحساس بخطر الماسونية أو الامتناع من حكاهم المتهمين بها فإنهم حينئذ يوعزون إليهم بإغلاق أي مؤسسة افتضحت بالماسونية ليقبوا على أنقاضها مؤسسة تحمل اسماً آخر وهي في الباطن عين الماسونية، ليبرئ المسئول نفسه من وصمتها ويكسب سمعة جديدة يقلب بها صفحة من نوع آخر لخدمة اليهود. الدوسري، عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الدوسري ، المتوفى: 1399هـ ، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة ، ص: 174،175.

الانفصام بين الإيمان والعمل ، وتجعل من الإسلام أسماً خاوياً من المضمون، ليكون الفرق بين المسلم، واليهودي، والنصراني، المسمى في البطاقة الشخصية وحسب، ولا علاقة بين المعتقد والسلوك، وهل مفهوم الإيمان عند أهل الفكر الإرجائي يتعدا لغير هذا الفهم؟! وهل بعد هذا الإنجاز - نشر مفهوم الفكر الإرجائي - يرومون غاية؟! وهل بعد تحقيق هذه الوحدة في المفهوم مع الكفار ، تطمح الماسونية لهدفٍ وإنجازٍ أعظم؟!

وصدق الله -تعالى- إذ يقول في إخوانهم المنافقين { وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } [سورة النساء:4، الآية: 89].

فمعظم يهود اليوم لا يؤمنون باليهودية كدين، وإنما يؤمنون بها كرابطة فقط، وذلك لعدم انسجامها مع الفطرة والعقل، ولا أدل على ذلك من متابعة سير بناء كيانه الممسوخ أو ما يسمى (اسرائيل) فكلهم (علمانيون) ، ومعظم نصارى اليوم على اختلاف طوائفهم لا يؤمنون بالنصرانية كدين بل ويسخرون من متدينيهم، وهي الأخرى أبعد عن موافقة الفطرة والعقل، وبما أنهم كذلك، تراهم يجهدون في مكرهم وكيدهم، وينفقون المليارات لشراء الأفلام والذمم، وتوفير المنح الجامعية ، وتوجيه دور النشر، وتمويل الفضائيات الموجهة ، والهيمنة على الصحف ووسائل الإعلام، كي يوجدوا من أبناء المسلمين من ينظر إلي الإسلام، كمنظرتهم إلى أديانهم المحرفة، المبدلة، والمفتراة، وقد نجحوا إلى حدٍ ما في شراء النفوس الدنيئة، ممن اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، ممن ينتسبون إلى دين الإسلام، غير أن القوة الذاتية للإسلام هزمت ما صنعوا، وإرادة الله -تعالى- لحفظ هذا الدين ضمننت رد كيدهم وتديبيرهم إلى نحورهم، قال -عز وجل- {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ } [سورة الأنفال:8، الآية: 36].

والدليل على تحقق هذا الوعد الإلهي هو الحال من الواقع، فما نحن نشاهد الإسلام الحنيف، يقتحم عليهم نفوسهم، ويدخل عليهم بيوتهم، ويستهوهم من بقي منهم على سلامة فطرةٍ ورجاحة عقل، فيأخذ بيده إلى جادة الصواب، ويخرجه من الظلمات إلى النور، بإذن ربه، {لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [سورة النور:24، الآية:46].

المبحث الثاني: مناهج العلماء في تعريف الإيمان.

المطلب الأول: الإيمان عند السلف.

قبل الولوج في تعريف معنى الإيمان، لا بد لنا أن نعلم، أن كلَّ أهلٍ في من فنون العلوم لهم اصطلاحاتهم الخاصة بهم، فأهل اللغة وأهل الفقه وأهل الحديث وأهل الأصول وأهل العقائد، كلُّ له اصطلاحاته الخاصة بفن علمه، وهذا ما يلزمنا بتحرير القول في معنى الإيمان في لغة العرب، وفي اصطلاح أهل العقائد، وفي اصطلاح الشرع الحنيف.

معنى الإيمان في اللغة.

المعنى المجرد للإيمان في اللغة، هو التصديق، وأراه معنىً يسع تصديق كلِّ مُصدِّقٍ بما صدَّق ، أيًّا كان المُصدِّق ومهما كان المُصدَّق به، فالنتيجة تصديق ليس إلا، لأن اكتساب صفة التصديق، بُنيت على تصديقٍ بشيءٍ مُعيّن، وظهور الخلاف في معناه بين علماء اللغة، أرى- بكل تواضع- أن مرجعه يعود إلي عدم حصر التصديق في مُعيّن، فحينما يُطلق معنى التصديق ، أمام مُقيّدٍ له في معنى مُعيّن، يُحتم وقوع الخلاف بالضرورة، وهنا لا بد من الحصر والتعيين لمعنى التصديق في مُعيّن، كي يتحقق المراد.

".. قال أهل اللغة: بأنّ معنى الإيمان في اللغة: التصديق.

وقد ردّ هذا المعنى اللغوي شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- مبيناً فسادَهُ من ستة عشر وجهاً. وحقّق أنّ معنى الإيمان في اللغة: الإقرار⁽¹⁾.

أما الشيخ الأمين الشنقيطي- رحمه الله- فالظاهر من كلامه في معنى الإيمان لغة أنه التصديق، إذ يقول "....أما الإيمان اللغوي: فهو يشمل كل تصديق، فتصديق الكافر بأن الله، هو الخالق الرازق يصدق عليه اسم الإيمان لغة مع كفره بالله ولا يصدق عليه اسم الإيمان شرعاً. وإذا حققت ذلك علمت أن الإيمان اللغوي يجمع الشرك فلا إشكال في تقييده به"⁽²⁾.

¹- انظر، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 7/122-131.

²- الطويان، عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان، جهود الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، 2/569.

معنى الإيمان اصطلاحاً.

الخلاصة في اصطلاح أهل العقائد من جميع الملل والنحل، هي أن الإيمان هو التصديق بمَعِين، وتحكيمه في النظر للحياة بدءاً ونهايةً، فترى كل مؤمنٍ بملةٍ أو نِحلةٍ يؤمن بها، يقرب روحه فداءً لها، وليس أدل على ذلك من تعصّب كل صاحب ملةٍ أو نِحلةٍ لِمَا يؤمن به، بغض النظر عن صمودها أمام الدليل النقلي أو العقلي، أو المنطقي، والواقع خير شاهد.

معنى الإيمان شرعاً.

الإيمان في مفهوم الشرع هو: التصديق والانقياد لأمر الله، فالإيمان بالله- عز وجل- مبدؤه التصديق، والتصديق يُحْتَمُّ وَيُلْزَمُ التحكيم، والانقياد للتحكيم يُصَدِّقُ ذلك أو يكذبه، وبهذا يخرج من هذه الدائرة المستريب في التصديق، والِرَادُّ للحكم، وغير الملتزم بالحكم بعد بلوغه، بدليل قول الله -تعالى- { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [سورة النساء: 4، الآية: 65].

وبعد أن قدمنا معاني الإيمان في اللغة، والاصطلاح، والشرع، نستطيع أن نقف على مفهوم الإيمان عند سلفنا الصالح، "... قَالَ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ وَحَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُشُورِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّزَّاقِ وَسُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ أَدْرَكْتُ أَصْحَابَنَا سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ وَابْنَ جُرَيْجٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ وَمَعْمَرَ (بْنَ رَاشِدٍ) وَالْأَوْزَاعِيَّ وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُونَ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ فَمَا تَقُولُ أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ قَالَ إِنْ خَالَفْتَهُمْ فَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ قَالَ أَحْمَدُ وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ كَانَ مَعْمَرٌ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَكْرَهُونَ أَنْ يَقُولُوا أَنَا مُسْتَكْمَلُ الْإِيمَانِ عَلَى إِيْمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ قَاسِمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْوَرْدِ حَدَّثَنَا عَبْدُوسُ بْنُ ذِي رَقِيْبَةَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عَيْسَى قَالَ سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْرُورٍ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ مَسْكِينٍ حَدَّثَنَا ابْنُ سَنَجَرٍ حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ سَأَلْتُ عَشْرَةَ مِنَ الْفُقَهَاءِ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالُوا قَوْلٌ وَعَمَلٌ سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ وَابْنَ جُرَيْجٍ وَهَشَامَ بْنَ حَسَّانٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ عُثْمَانَ وَفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ

وَمُحَمَّدَ بْنَ سَالِمِ الطَّائِفِيِّ وَالْمُنْتَى بْنَ الصَّبَّاحِ وَنَافِعَ بْنَ عُمَرَ الْجَمَحِيِّ فَكُلُّهُمْ قَالَ لِي الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ " (1).

وقال ابن عبد البر: "...أجمع أهل الحديث والفقهاء على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا.."(2).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - " معلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار يتضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد"(3).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ: " إِذَا أُفْرِدَ كُلُّ مَنِ الْإِسْلَامَ، وَالْإِيمَانَ بِالذِّكْرِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا حَيْثُ وَإِنْ فُرِنَ الْإِسْمَانِ كَانَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ، وَالتَّحْقِيقُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ تَصَدِيقُ الْقَلْبِ وَإِفْرَازُهُ وَمَعْرِفَتُهُ، وَالْإِسْلَامَ هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ وَالْخُضُوعُ وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ، وَذَلِكَ يَكُونُ بِالْعَمَلِ وَهُوَ الدِّينُ، كَمَا سَمَّى اللَّهُ - تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ الْإِسْلَامَ دِينًا .."(4).

وقال العلامة الألوسي " .. وأن الإيمان هو قول باللسان، وإخلاص بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالأوزار، وأن محمداً ﷺ خاتم النبيين، وأفضل المرسلين، وأمه خير الأمم أجمعين.."(5).

وقال محمد رشيد رضا في الإيمان " الإيمان هو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها، وآيته العمل..."(6).

وقال الشيخ سيد سابق (7) من العلماء المعاصرين " .. وليس الإيمان هو مجرد النطق باللسان، واعتقاد بالجنان، إنما هو عقيدة تملأ القلب، وتصدر عنها آثارها، كما تصدر عن الشمس أشعتها، وكما يصدر عن الورد شذاه.

1- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المتوفى: 463هـ، التمهيد، 252/9، 253.

2- ابن عبد البر (م . ن)، 238/9.

3- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 638/7.

4- ابن رجب، الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلمي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، جامع العلوم والحكم، ص 107.

5- الألوسي، غاية الأمان في الرد على النبهاني، 104/2.

6- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ) تفسير المنار، 107/1.

7- سيد سابق، من فقهاء العصر، والعلماء العاملين، له مؤلفات في الفقه والعقائد، حصل على جائزة الملك فيصل حينما كان أستاذاً في جامعة أم القرى، (المتوفى: 1420هـ).

ومن آثاره أن يكون الله ورسوله أحب إلى المرء من كل شيء، وأن يظهر ذلك في الأقوال، والأفعال، والتصرفات؛ فإن كان ثمة شيء أحب إلى المرء من الله ورسوله فالإيمان مدخول، والعقيدة مهزوزة.

{ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [سورة التوبة:9، الآية:24] (1).

وأختم بقول الشيخ عبد الرزاق عفيفي- رحمه الله- في تعريفه للإيمان " قول أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وتصديق بالجنان" (2).

خلاصة القول في الإيمان عند السلف.

يتمثل فهم السلف في أن الإيمان بمفهومه العام، يعني السماع والانقياد، وتلقي الوحي للتطبيق، وعيشه حياةً في الواقع، بشكل عام، وأما إذا أخذ الإيمان مفهوم الخصوصية، فيعني ما انعقد عليه القلب وبانت آثاره على الجوارح ظاهرةً جليةً ولا بد.

ولله در الدكتور سفر الحوالي، ما أجمل عبارته في تعريفه للإيمان عند السلف إذ يقول:.. إن الإيمان عند السلف حقيقة شرعية في غاية الوضوح، فهي ترادف وتساوي كلمة "الدين" حتى إن كثيراً منهم كان نص عبارته: "الدين قول وعمل"، وليس في معنى الدين خفاء يحتاج معه أي مسلم إلى تكلفات منطقية وسفسطة كلامية، بل لم يكن هنالك حاجة إلى تعريفه أو بيان معناه أصلاً، وكيف يعرفون أمراً يعيشونه ويعملونه ويقرؤون حقائقه كل حين" (3).

¹ - سيد سابق، العقائد الإسلامية، ص 80.

² - عسيري، أحمد بن علي الزاملي عسيري، منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، ص553.

³ - الحوالي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، ص: 148.

المطلب الثاني: الإيمان عند المتكلمين.

المسألة الأولى: من هم المتكلمون؟

من المعلوم بالضرورة أن الكلام هو وسيلة الاتصال بين البشر، وإذا استحال بسبب البكم أو اختلاف اللغة استعيص عنه بلغة الجسد، من إشارات وإيماءات، لذا كان كل بني الإنسان متكلمين، فهل المقصود بالمتكلمين (أهل الكلام) غير هؤلاء؟
والجواب نعم.

فالمتكلمون هم أولئك العلماء الذي تعلموا علم المنطق (علم الكلام) الذي دخل علينا من ثقافات وافدة، من اليونان والأعاجم، وجعلوا منه أصولاً وقواعد عقلية محضة، تُمَثَّل مرجعيةً للتفكير يُتَحَاكَمُ إليها، فالعقل المجرد هو المقدم وهو الحَكْمُ، فما وافقه فهو المقبول، وما لم يوافقه فهو المُوَوَّلُ أو المردود ولا بد.

ومما قيل فيهم "المتكلمون هم الذين يقررون مسائل العقيدة أو بعضها عن طريق الأدلة العقلية ومنهجهم في ذلك هو: تقديم العقل على النقل.

فتقديم العقل على النقل سمة ومنهج واضح ظاهر لدى الفلاسفة والمتكلمين، سواء كانوا جهمية أو معتزلة أو أشعرية أو ماتريدية، فكل هؤلاء في أبواب ضلالهم وانحرافهم عن الحق قدموا العقل على النقل بل كثير منهم لا يعتبر إمكانية الوصول إلى الحق إلا عن طريق العقل"⁽¹⁾.

وقيل فيهم أيضاً "المتكلمون هم الذين صار دينهم الكلام، وكثرت المجادلات فيما بينهم، كل يجادل الآخر في أمور يدعونها، وكل يدعي أن العقل معه؛ فلهذا كثر بينهم الكلام والنزاع والخصام فسموا أهل الكلام، بخلاف أهل الوحي الذين يعتصمون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإنهم لا اختلاف بينهم، ولا يجوز شرعاً أن يقع بينهم اختلاف؛ لأن الله نهاهم عن ذلك، والشرع يمنع أن يقع الخلاف بينهم، لأن الله جل وعلا يقول: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران:3، الآية: 103].

ومن الشيء المسلم به في العقائد وغيرها أن أتباع النبي ﷺ يسمون أهل السنة والجماعة، فالجماعة وصف لهم؛ لأن الاجتماع ملازم لهم، فيجب أن يجتمعوا ولا يتفرقوا، أما هؤلاء فهم أهل كلام وأهل تنافر وأهل خصام، تأتي فرقة جديدة ثم لا يمضي عليها وقت إلا وقد افتترقت

¹ - الخلف، سعود بن عبد العزيز الخلف، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، 1/ 20.

إلى فرق متعددة، بسبب ما يسمونه عقليات، ولا سيما إذا كانت الأمور في صفات الله جل وعلا، ومبدؤهم أنهم يقولون: الذي دلنا على صدق الرسول ﷺ هو العقل، يعني: عرفنا صدقه بالعقل، فعندهم أن العقل هو الأصل الذي دل على صدق الرسول، ولا يكون محكوماً عليه، بل لا بد أن يكون هو الحاكم، لأننا نرجع إليه، فمبدأ قولهم من هنا.

ثم صاروا يبنون على هذا من باب القياس العقلي، والقياسات وإن لم تكن بارزة متلفظاً بها فهي كامنة في الأنفس، فلماذا نفوا صفات الله جل وعلا على هذا القياس، مثال ذلك: أنهم قالوا: لو وصفنا الله جل وعلا بأنه يتكلم للزم من ذلك أن يكون له فم، وله لسان، وله شفطان، وله لهوات، وله حبال صوتية إلخ.

ما معنى هذا؟

معنى هذا أنهم ما عرفوا من الكلام إلا ما عرفوه من أنفسهم، فصار التشبيه عندهم مستكناً أولاً، ثم صاروا ينفون هذا التشبيه المستكن في أنفسهم، فقالوا: إن الله لا يتكلم لئلا يلزم التشبيه الذي كان في أنفسهم، والله جل وعلا يقول: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى: 42] ، الآية: 11] فلما قال: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: 42 الآية: 11] صار هذا نفيًا عاماً مطلقاً يدل على عدم وجود شيء من الأشياء تماثله.

ثم أخبرنا جل وعلا أن هذا النفي العام المطلق لا يدعوكم إلى أن تنفوا عن الله جل وعلا صفاته التي اتصف بها فقال: { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى: 42 الآية: 11]، فنص على السمع والبصر؛ لأن السمع والبصر يوصف بهما المخلوق، فكون المخلوق يوصف بأشياء لا يمنع أن الله جل وعلا يوصف بها، ولكن صفات المخلوق خاصة به لا يشاركه الله جل وعلا فيها، وصفات الله جل وعلا خاصة به لا يشاركه المخلوق فيها، تعالى الله وتقدس، ليس كمثل شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله⁽¹⁾.

مفهوم الإيمان عند المتكلمين.

يرى المتكلمون أن الإيمان بشكل عام، هو اعتقاد بالقلب، وتصديق باللسان، وعمل بالجوارح، غير أنهم في تقديمهم للعقل المجرد، على النص جنح بهم مركبهم، وحرار بهم دليلهم، فأدى ذلك بهم إلى اختلاف غير منقطع، وجدال ليس له منتهى، وتفرق لا إجماع له، فمنهم من نفي الإيمان عن صاحب الكبائر من الذنوب ولم يكفره، ومنهم من كفره بالكبيرة من الذنوب. .. يرى المعتزلة أن الإيمان الشرعي المعتبر مركب من أجزاء ثلاثة: اعتقاد بالقلب، وتصديق باللسان،

¹ - الغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان، شرح فتح المجيد للغنيمان، (58/ 14، بترقيم الشاملة آليا).

وعمل بالجوارح. وهم بهذا يوافقون السلف الذين قالوا بهذا القول، واستدلوا له من الكتاب والسنة ، وإنما الخلاف بين الفريقين يكمن في حكم العصاة من المؤمنين⁽¹⁾.

يقول الإمام بن عبد البر : " وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَأَلِيمَانُ عِنْدَهُمْ جِمَاعُ الطَّاعَاتِ .."⁽²⁾.

بيد أن ابي الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين يُفَصِّلُ الإِيمَانَ فيقول " .. الإِيمَانُ مَا هُوَ عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ ، واختلفت المعتزلة في الإِيمَانِ مَا هُوَ؟ عَلَى سِتَّةِ أَقْوَالٍ:

1 - فقال قائلون: الإِيمَانُ هُوَ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ فَرَضُهَا وَنَفْلُهَا وَأَنْ الْمَعَاصِي عَلَى ضَرَبَيْنِ: مِنْهَا صَغَائِرٌ وَمِنْهَا كِبَائِرٌ وَأَنْ الْكِبَائِرَ عَلَى ضَرَبَيْنِ: مِنْهَا مَا هُوَ كُفْرٌ وَمِنْهَا مَا لَيْسَ بِكُفْرٍ وَأَنْ النَّاسَ يَكْفُرُونَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: رَجُلٌ شَبِهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ وَرَجُلٌ جَوْرَهُ فِي حُكْمِهِ أَوْ كَذَبَهُ فِي خَبْرِهِ وَرَجُلٌ رَدَّ مَا أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ عَنِ نَبِيِّهِمْ ﷺ نَصّاً وَتَوْقِيفاً فَأَكْفَرُ هَؤُلَاءِ مِنْ زَعْمِ أَنَّ الْبَارِئَ جِسْمٌ مُؤَلَّفٌ مَحْدُودٌ وَلَمْ يَكْفُرُوا مِنْ سَمَاءِ جِسْمًا وَلَمْ يَعْطِهِ مَعَانِيَ الْأَجْسَامِ، وَأَكْفَرُوا مِنْ زَعْمِ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ! - يَرَى كَمَا تَرَى الْمَرْتِيئَاتُ بِالْمُقَابَلَةِ أَوْ الْمَحَاذَاةِ أَوْ فِي مَكَانٍ حَالاً فِيهِ دُونَ مَكَانٍ وَلَمْ يَزْعُمُوا أَنَّهُ يَرَى لَا كَالْمَرْتِيئَاتِ وَأَكْفَرُوا مِنْ زَعْمِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجُورَ وَأَرَادَ السَّفَهَ وَكَلَفَ الزَّمْنَى وَالْعَجْزَةَ الَّذِينَ فِيهِمُ الْعَجْزُ ثَابِتٌ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ بَزَعَمَهُمْ سَفَهُوا اللَّهَ وَجَوْرَهُ وَلَمْ يَكْفُرُوا مِنْ قَصْدِ إِلَى قَادِرٍ عَلَى الْفِعْلِ فَقَالَ قَدْ كَلَفَهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ! - وَلَيْسَ بِقَادِرٍ لِأَنَّهُ قَدْ كَذَبَ عَلَى الْقَادِرِ عِنْدَهُمْ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِقَادِرٍ وَلَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ فِي تَكْلِيفِهِ إِيَّاهُ وَلَا وَصَفَهُ بِالْعَبَثِ عِنْدَهُمْ وَالْقَائِلُ بِهَذَا الْقَوْلِ هُمُ أَصْحَابُ أَبِي الْهَذِيلِ وَالْيَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ كَانَ يَذْهَبُ أَبُو الْهَذِيلِ.

وحكي عنه أن الصغائر تغفر لمن اجتنب الكبائر على طريق التفضل لا على طريق الاستحقاق. وزعم أن الإِيمَانُ كُلَّهُ إِيمَانٌ بِاللَّهِ مِنْهُ مَا تَرَكَهُ كُفْرٌ وَمِنْهُ مَا تَرَكَهُ فَسُقٌ لَيْسَ بِكُفْرٍ كَالصَّلَاةِ وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَمِنْهُ مَا تَرَكَهُ صَغِيرٌ لَيْسَ بِفَسُقٍ وَلَا كُفْرٌ وَمِنْهُ مَا تَرَكَهُ لَيْسَ بِكُفْرٍ وَلَا بَعْضِيَانٍ كَالنَّوْفَلِ.

2 - وقال هشام الفوطي: الإِيمَانُ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ فَرَضُهَا وَنَفْلُهَا وَالْإِيمَانُ عَلَى ضَرَبَيْنِ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَإِيمَانٌ لِلَّهِ وَلَا يُقَالُ أَنَّهُ إِيمَانٌ بِاللَّهِ فَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ مَا كَانَ تَرَكَهُ كُفْرًا بِاللَّهِ وَالْإِيمَانُ لِلَّهِ يَكُونُ تَرَكَهُ كُفْرًا وَيَكُونُ تَرَكَهُ فَسُقًا لَيْسَ بِكُفْرٍ نَحْوِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَذَلِكَ إِيمَانٌ لِلَّهِ فَمَنْ تَرَكَهُ عَلَى الْإِسْتِحْلَالِ كُفْرٌ وَمَنْ تَرَكَهُ عَلَى التَّحْرِيمِ كَانَ تَرَكَهُ فَسُقًا لَيْسَ بِكُفْرٍ وَمِمَّا هُوَ إِيمَانٌ لِلَّهِ عِنْدَ هِشَامٍ مَا يَكُونُ تَرَكَهُ صَغِيرًا لَيْسَ بِفَسُقٍ.

3 - وقال عباد بن سليمان: الإِيمَانُ هُوَ جَمِيعُ مَا أَمَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ! - بِهِ مِنَ الْفُرْضِ وَمَا رَغِبَ فِيهِ مِنَ النَّفْلِ وَالْإِيمَانُ عَلَى وَجْهَيْنِ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَهُوَ مَا كَانَ تَارَكَهُ أَوْ تَارَكَ شَيْءًا مِنْهُ كَافِرًا كَالْمَلَةِ

¹ - الغامدي، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الإِيمَانُ بَيْنَ السُّلْفِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، ص: 121.

² - ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، 251/9.

والتوحيد والإيمان لله إذا تركه تارك لم يكفر ومن ذلك ما يكون تركه ضلالاً وفسقاً ومنه ما يكون تركه صغيراً وكل أفعال الجاهل بالله عنده كفر بالله.

4 - وقال إبراهيم النظام: الإيمان اجتناب الكبائر والكبائر ما جاء فيه الوعيد وقد يجوز أن يكون فيما لم يجئ فيه الوعيد كبير عند الله ويجوز أن لا يكون فيه كبير وإن لم يكن فيه كبير فالإيمان اجتناب ما فيه الوعيد عندنا وعند الله - سبحانه! - وإن كان فيما لم يجئ فيه الوعيد كبير فالتسمية له بالإيمان وبأنه مؤمن يلزم باجتناب ما فيه الوعيد عندنا فأما عند الله - سبحانه! - فاجتناب كل كبير.

5 - وقال آخرون: الإيمان اجتناب ما فيه الوعيد عندنا وعند الله وهو ما يلزم به الاسم وما سوى ذلك فصغير مغفور باجتناب الكبير.

6 - وكان محمد بن عبد الوهاب الجبائي يزعم أن الإيمان لله هو جميع ما افترضه الله - سبحانه! - على عباده وأن النوافل ليس بإيمان وأن كل خصلة من الخصال التي افترضها الله - سبحانه! - فهي بعض إيمان لله وهي أيضاً إيمان بالله وأن الفاسق الملي مؤمن من أسماء اللغة بما فعله من الإيمان.

وكان يزعم أن الأسماء على ضربين: منها أسماء اللغة ومنها أسماء الدين فأسماء اللغة المشتقة من الأفعال تنقضي مع تقضي الأفعال وأسماء الدين يسمى بها الإنسان بعد تقضي فعله وفي حالة فعله فالفاسق الملي مؤمن من أسماء اللغة يتقضى الاسم عنه مع تقضي فعله للإيمان وليس يسمى بالإيمان من أسماء الدين. وكان يزعم أن في اليهودي إيماناً نسميه به مؤمناً مسلماً من أسماء اللغة.

وكانت المعتزلة بأسرها قبله إلا الأصم تنكر أن يكون الفاسق مؤمناً وتقول أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وتسميه منزلة بين المنزلتين وتقول: في الفاسق إيمان لا نسميه به مؤمناً وفي اليهودي إيمان لا نسميه به مؤمناً.

وكان الجبائي يزعم أن من الذنوب صغائر وكبائر وأن الصغائر يستحق غفرانها باجتناب الكبائر وأن الكبائر تحبط الثواب على الإيمان واجتناب الكبائر يحبط عقاب الصغائر. وكان يزعم أن العزم على الكبير كبير والعزم على الصغير صغير والعزم على الكفر كفر. وكذلك قول أبي الهذيل كان يقول في العازم: أنه كالمقدم عليه.

وقال أبو بكر الأصم: الإيمان جميع الطاعات ومن عمل كبيراً ليس بكفر من أهل الملة فهو فاسق بفعله للكبير لا كافر ولا منافق مؤمن بتوحيده وما فعل من طاعته، وزعمت المعتزلة أن الله سمى إيماناً ما لم يكن في اللغة إيماناً⁽¹⁾ انتهى تفصيل الأشعري للإيمان.

وهنا أقول: بعد أن عرّفنا المتكلمين، وعلمنا تنصيبهم للعقل المجرد حاكماً ومرجعية، لا بد لنا من ذكر أسماء بعض رؤوسهم، والنقل لأفكارهم وعقائدهم في الإيمان من المصادر الموثوقة، بكل أمانة ونزاهة وموضوعية، لنقطع الشك باليقين، ونتجرد من دعوى الانسياق وراء كل مُعَرِّدٍ، أو التقليد لإمامٍ دون الوقوف على دليله، ولا حيف في التقليد إن وافق صاحبه الوحي، بالدليل القاطع أو الراجح أو التسليم لناقل قد ضعف ضبطه، أو لم يرتقي إلى مستوى الأمانة والموضوعية في النقل، والذي بدوره يتعارض مع النقل الصحيح، والعقل الصريح، اللذان يُشكِّلان معاً المعيار السليم، والميزان القويم في الحكم، والترجيح، عند أصحاب الهدى، وأهل الإتياع.

من رؤوس المتكلمين.

1- الجبائي.

" شيخ المعتزلة، واسمه محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائي شيخ طائفة الاعتزال في زمانه، وَعَلَيْهِ اشْتَعَلَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ، وَالْجَبَائِيُّ تَفْسِيرٌ حَافِلٌ مُطَوَّلٌ، لَهُ فِيهِ اخْتِيَارَاتٌ غَرِيبَةٌ فِي التَّفْسِيرِ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ الْأَشْعَرِيُّ فِيهِ وَقَالَ: وَكَأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ فِي لُغَةِ أَهْلِ جَبَاءٍ كَانَ مَوْلَاهُ فِي سَنَةِ حَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَمَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ "⁽²⁾.

من أقواله!!!

" من أصول المعتزلة إنفاذ الوعيد وأن أهل الكبائر لا بد أن يخلدوا في النار وقد قال الجبائي بذلك، لكنه قال بأنه يجوز على الله العفو وهذا مخالف لسائر المعتزلة، يقول الأشعري عن المعتزلة: "واختلفوا هل كان في العقل يجوز أن يغفر الله لعبده ذنباً ويعذب غيره على مثله، أم لا على مقالتين: فأجاز ذلك بعضهم وهو الجبائي، وأنكره أكثرهم"⁽³⁾.

¹ - الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، المتوفى: 324هـ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، 1/213، 212.

² - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المتوفى: 774هـ، البداية والنهاية، ط إحياء التراث، 11/142.

³ - المحمود، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ص 367.

"... اختلفت المعتزلة في ذلك فقال قائلون: البارئ بكل مكان بمعنى إنه مدير لكل مكان وأن تدبيره في كل مكان والقائلون بهذا القول جمهور المعتزلة أبو الهذيل والجعفران والإسكافي ومحمد بن عبد الوهاب الجبائي.⁽¹⁾

".. وقال الجبائي: كل دار لا يمكن فيها أحداً أن يقيم بها أو يجتاز بها إلا بإظهار ضرب من الكفر أو بإظهار الرضى بشيء من الكفر وترك الإنكار له فهي دار كفر وكل دار أمكن القيام بها والاجتياز بها من غير إظهار ضرب من الكفر أو إظهار الرضى بشيء من الكفر وترك الإنكار له فهي دار إيمان وبغداد على قياس الجبائي دار كفر لا يمكن المقام بها عنده إلا بإظهار الكفر الذي هو عنده كفر أو الرضى كنحو القول أن القرآن غير مخلوق وأن الله - سبحانه - لم يزل متكلماً به وأن الله - سبحانه - أراد المعاصي وخلقها لأن هذا كله عنده كفر وكذلك القول في مصر وغيرها على قياس قوله، وفي سائر أمصار المسلمين وهذا هو القول بأن دار الإسلام دار كفر ومعاذ الله من ذلك.⁽²⁾، والخلاصة فيما أوردنا له من أقوال وأفكار هي:

1- غربة ما ذهب إليه من اختيارات في الكلام، كما ورد!

2- ترجيح أفعال الله - تعالى - والترجيح بمجرد العقل، بدون نص من نقل!

3- اعتباره لمن قال بأن القرآن غير مخلوق، قائل بالكفر، فالقرآن الكريم في نظره مخلوق!

2- الأشعري (في البداية).

"علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسن الأشعري البصري نزيل بغداد، إمام المتكلمين، والذاب عن الدين، العابد أخذ عن أبي خليفة الجمحي، وزكريا الساجي، وسهل بن نوح، وغيرهم"⁽³⁾. لكنه في النهاية التزم منهج أهل السنة ورد على المتكلمين.

من أقواله!

" قال الأشعري: الإنسان إذا فكر في خلقته، من أي شيء ابتداءً، وكيف دار في أطوار الخلقة طورا بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقة، وعرف يقينا أنه بذاته لم يكن ليدير خلقته، وينقله من درجة إلى درجة، ويرقيه من نقص إلى كمال، علم بالضرورة أن له صناعا قادرا، عالما،

¹ - الأشعري، مقالات الإسلاميين، ت زرزور، 1/ 131.

² - الأشعري، (م . ن)، 2/ 346.

³ - سعد، قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، 2/ 841.

مريدا، إذ لا يتصور حدوث هذه الأفعال المحكمة من طبع لظهور آثار الاختيار في الفطرة، وتبين آثار الإحكام والإتقان في الخلقة. فله صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن جردها. وكما دلت الأفعال على كونه عالما، قادرا، مريدا، دلت على العلم والقدرة والإرادة، لأن وجه الدلالة لا يختلف شاهدا وغائبا. وأيضا لا معنى للعالم حقيقة إلا أنه ذو علم، ولا للقادر إلا أنه ذو قدرة، ولا للمريد إلا أنه ذو إرادة. فيحصل بالعلم الإحكام والإتقان. ويحصل بالقدرة الوقوع والحدوث ويحصل بالإرادة التخصيص بوقت دون وقت، وقدر دون قدر، وشكل دون شكل. وهذه الصفات لن يتصور أن يوصف بها الذات إلا وأن يكون الذات حيا بحياة للدليل الذي ذكرناه...⁽¹⁾.

وقال "... وأن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوارحاً، وأن يديه غير نعمته، وقد دل على ذلك تشريفه لآدم عليه السلام حيث خلقه بيده، وتقريره لإبليس على الاستكبار عن السجود مع ما شرفه به بقوله: ﴿مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 38، الآية: 75]⁽²⁾.

فهذا رد واضح جداً من الأشعري، على من ذهب للتأويل في الصفات، ممن سبقه، أو عاصره، ولمن جاء بعده منتسباً إليه، فهو في هذه المسألة يقول باليدين، دون تشبيهه، أو تأويله، وهو عين الحق، لقوله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 42، الآية: 11].

3- الماتريدي: (000 - 333 هـ = 000 - 944 م).

" محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) من كتبه (التوحيد-خ) و(أوهام المعتزلة) و(الرد على القرامطة) و(مآخذ الشرائع) في أصول الفقه، وكتاب (الجدل) و(تأويلات القرآن-خ) و(تأويلات أهل السنة-ط) الأول منه، و(شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة-ط). مات بسمرقند"⁽³⁾.

من أقواله.

" .. وفي هذا أنه إذا كان هو الذي يمدهم في الطغيان قدر على ضده من فعل الإيمان؛ فدل أن الله خالق فعل العباد؛ إذ من قولهم: إن القدرة التامة هي التي إذا قدر على شيء قدر على

¹ - الشهرستاني، الملل والنحل، 1/ 94.

² - الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر، ص، 127، 128.

³ - الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، المتوفى: 1396هـ،

الأعلام للزركلي، 7/ 19.

ضده. (1).

وهنا يرد الماتريدي على المعتزلة، في قولهم أن العبد يخلق أفعاله، منتصراً لمذهب أهل الحق ، غير أنه في مفهوم الإيمان يحصره في التصديق وحسب ، فيقول ".... ثم قد نبت بأدلة القرآن وما عليه أهل الإيمان والذي جرى به من اللسان أن الإيمان هو التصديق" (2).

4-الأمدي.

" .. العلامَةُ الْمُصَنَّفُ فَارِسُ الْكَلَامِ سَيْفُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمِ التَّغْلِبِيِّ، الْأَمْدِيُّ، الْحَنْبَلِيُّ، ثُمَّ الشَّافِعِيُّ.

وُلِدَ سَنَةَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ. وَقَرَأَ بِأَمَدِ الْقِرَاءَاتِ عَلَى عَمَارِ الْأَمْدِيِّ، وَمَحَمَّدِ الصَّفَّارِ. وَتَلَا بِبَغْدَادَ عَلَى ابْنِ عَبِيدَةَ. وَحَفِظَ "الهِدَايَةَ"، وَتَفَقَّهَ عَلَى ابْنِ الْمُنِيِّ. وَسَمِعَ مِنْ: ابْنِ شَاتِيلِ، وَغَيْرِهِ، ثُمَّ صَحَبَ ابْنَ فَضْلَانَ، وَاشْتَغَلَ عَلَيْهِ فِي الْخِلَافِ. وَبَرَعَ، وَحَفِظَ طَرِيقَةَ الشَّرِيفِ، وَنَظَرَ فِي طَرِيقَةِ أَسْعَدِ الْمِيهَتِيِّ، وَتَفَقَّنَ فِي حِكْمَةِ الْأَوَائِلِ، فَفَرَّقَ دِينَهُ وَأَظْلَمَ، وَكَانَ يَتَوَقَّدُ ذَكَاءً.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَنْجَبٍ فِي "أَسْمَاءِ الْمُصَنِّفِينَ": اشْتَغَلَ بِالشَّامِ عَلَى الْمُجِيرِ الْبَغْدَادِيِّ، ثُمَّ وَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ وَاشْتَغَلَ بِ"الشِّفَاءِ" وَبِ"الشَّامِلِ" لِأَبِي الْمَعَالِيِّ، وَحَفِظَ عِدَّةَ كُتُبٍ وَكَرَّرَ عَلَى "المُسْتَنْصَفِي"، وَتَبَحَّرَ فِي الْعُلُومِ، وَتَفَرَّدَ بِعِلْمِ الْمَعْقُولَاتِ وَالْمَنْطِقِ وَالْكَلامِ، وَقَصَدَهُ الطُّلَّابُ مِنَ الْبِلَادِ، وَكَانَ يُوَاسِيهِمْ بِمَا يَقْدِرُ، وَيُفَهِّمُ الطُّلَّابَ، وَيَطُولُ رُوحَهُ.

قُلْتُ: ثُمَّ أَقْرَأَ الْفَلَسْفَةَ وَالْمَنْطِقَ بِمِصْرَ بِالْجَامِعِ الظَّافِرِيِّ، وَأَعَادَ بِقُبَّةِ الشَّافِعِيِّ، وَصَنَّفَ التَّصَانِيفَ، ثُمَّ قَامُوا عَلَيْهِ، وَرَمَوْهُ بِالْإِنْحِلَالِ، وَكُتِبُوا مَحْضَرًا بِذَلِكَ.

قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلْكَانَ: وَضَعُوا خُطُوطَهُمْ بِمَا يُسْتَبَاحُ بِهِ الدَّمُ، فَخَرَجَ مُسْتَخْفِيًا، وَنَزَلَ حَمَاءَ. وَأَلَّفَ فِي الْأَصْلَيْنِ، وَالْحِكْمَةِ الْمَشْهُومَةِ، وَالْمَنْطِقِ، وَالْخِلَافِ، وَلَهُ كِتَابُ "أَبْكَارِ الْأَفْكَارِ" فِي الْكَلَامِ، وَ"مُنْتَهَى السُّؤْلِ فِي الْأُصُولِ" وَ"طَرِيقَةُ" فِي الْخِلَافِ، وَلَهُ نَحْوُ مِنْ عِشْرِينَ تَصْنِيفًا. ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى دِمَشْقَ، وَدَرَسَ بِالْعَزِيزِيَّةِ مُدَّةً، ثُمَّ عُرِلَ عَنْهَا لِسَبَبٍ انْتَهَمَ فِيهِ، وَأَقَامَ بَطَالًا فِي بَيْتِهِ.

قَالَ: وَمَاتَ فِي رَابِعِ صَفَرٍ، سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً.... (3).

من أقواله.

" ... وأما الإيمان فهو في اللغة عبارة عن التصديق ومنه قول بني يعقوب وما أنت بمؤمن لنا

¹ - الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، 1/

² - الماتريدي، التوحيد، ص 332.

³ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط الحديث، 263/16.

أي بمصدق وفي عرف استعمال أهل الحق من المتكلمين عبارة عن التصديق بالله وصفاته وما جاءت به أنبيأؤه ورسالاته واليه الإشارة بقوله عليه السلام الإيمان هو التصديق⁽¹⁾.

5- الجويني (إمام الحرمين) 419-478 هـ.

".. الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي، عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين، الشافعي، صاحب التصانيف، ولد في أول سنة تسع عشرة وأربع مائة⁽²⁾.

من أقواله.

".. إن الجويني ضعف التأويل المشهور- والمنسوب للأشعري- لبعض الصفات الفعلية مثل الاستواء والنزول والمجيء من أنه فعل فعله الله في العرش سماه استواء، أو فعل يفعله كل ليلة، أو يوم القيامة سماه نزولاً أو مجيئاً، وترجيحه التأويل بالملك والغلبة بالنسبة للاستواء، وبنزول أو مجيء أمره أو بعض ملائكته⁽³⁾. ويقول " ... فمن أطلق اسم الإيمان على الطاعات كلها يقول على مساق أصله، يزيد الإيمان بزيادة الطاعات وينقص بنقصها، ومن قال الإيمان هو التصديق فمن علم وعرف حقاً فلا يتفاوت التصديق بالأعمال زادت أو نقصت⁽⁴⁾.

الخلاصة في مفهوم الإيمان عند المتكلمين.

أرى أن المتكلمين حينما يطلقون الإيمان يشمل في مفهومهم كل مأمور به، وكل منهي عنه بأمر الشارع، وحينما يخصصونه يحصرونه في التصديق وحسب، وهنا أرى الإمام الجويني يحاول الجمع بين رأيي القائلين بأن الإيمان هو التصديق ولا يزيد ولا ينقص، وبين رأيي القائلين بأن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وهو يقول بأن التصديق لا يتفاوت عند من علم وعرف، وهذا كلام لا يثبت أمام ما سيأتي من أدلة في معرض رد العلماء على من قصر الإيمان على مجرد التصديق.

¹ - الآمدي، غاية المرام في علم الكلام، ص: 309.

² - الذهبي، سير أعلام النبلاء ط الحديث، 17/14، نويهض، معجم المفسرين، 1/333.

³ - المحمود، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، 2/602، 603.

⁴ - الجويني، العقيدة النظامية، ص89، تحقيق الكوثري، البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن البد، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، ص: 435.

المطلب الثالث: الرد على من نسب الإرجاء إلى أبي حنيفة النعمان.

الإمام أبو حنيفة. 80-150هـ.

"...هو الإمام البارع أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زُوَيْبَى، بضم الزاي وفتح الطاء. قال الشيخ أبو إسحاق في الطبقات: هو النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه مولى تيم الله بن ثعلبة، ولد سنة ثمانين من الهجرة، وتوفى ببغداد سنة خمسين ومائة، وهو ابن سبعين سنة. أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان. قال: وكان في زمنه أربعة من الصحابة: أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى، وسهل بن سعد، وأبو الطفيل، ولم يأخذ عن أحد منهم.

وقال الخطيب البغدادي في التاريخ: هو أبو حنيفة التيمي، إمام أصحاب الرأي، وفقه أهل العراق، رأى أنس بن مالك، وسمع عطاء بن أبي رباح، وأبا إسحاق السبيعي، ومحارب بن دثار، والهيثم بن حبيب الصراف، وقيس بن مسلم، ومحمد بن المنكدر، وناقحاً مولى عبد الله بن عمر، وهشام بن عروة، ويزيد الفقير، وسماك بن حرب، وعلقمة بن مرثد، وعطية العوفي، وعبد العزيز بن رفيع، وعبد الكريم أبا أمية، وغيرهم.

روى عنه أبو يحيى الحماني، وهشيم بن بشر، وعباد بن العوام، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، ويزيد بن هارون، وعلى بن عاصم، ويحيى بن نصر، وأبو يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن، وعمرو بن محمد العبقرى، وهوذة بن خليفة، وأبو عبد الرحمن المقرئ، وعبد الرزاق بن همام، وآخرون.

قال الخطيب: وهو من أهل الكوفة، نقله أبو جعفر المنصور إلى بغداد فأقام بها حتى مات، ودفن بالجانب الشرقي منها في مقبرة الخيزران، وقبره هناك ظاهر معروف. ثم روى الخطيب بإسناده، عن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الإمام الحافظ، قال: أبو حنيفة النعمان بن ثابت، كوفي تيمي من رهط حمزة الزيات، وكان خزازاً يبيع الخز...⁽¹⁾.

"... وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَكُنْتُ يَوْمَ مَاتَ بِالْكُوفَةِ أَتَوَقَّعُ قُدُومَهُ فَجَاءَنَا نَعْيُهُ. وَكَانَ ضَعِيفًا فِي الْحَدِيثِ."⁽²⁾.

¹ - النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المتوفى: 676هـ، تهذيب الأسماء واللغات، 2/ 216.

² - ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، المتوفى: 230هـ، الطبقات الكبرى ط العلمية، 6/ 384.

أرى هنا أن ضعف أبي حنيفة في الحديث لا يفتح في مكانته العلمية في الفقه، ولا يخفض من منزلته وإمامته فيه، بدليل حديث النبي ﷺ (رب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه..). قال الألباني: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات⁽¹⁾.

كيف لا، وهذا الإمام البارع في الفقه وعلومه، والزهد والورع، الذي قال فيه ابن المبارك: "رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... يَزِيدُ نَبَاهَةَ وَيَزِيدُ خَيْرًا وَيَنْطِقُ بِالصَّوَابِ وَيَصْطَفِيهِ ... إِذَا مَا قَالَ أَهْلُ الْجَوْرِ جَوْرًا يُقَابِسُ مَنْ يُقَابِسُهُ بِلَبِّ ... وَمَنْ ذَا تَجْعَلُونَ لَهُ نَظِيرًا كَفَانًا فَقَدْ حَمَادٍ وَكَانَتْ ... مُصِيبَتُنَا بِهِ أَمْرًا كَبِيرًا) رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ حِينَ يُؤْتَى ... وَيُطَلَّبُ عِلْمُهُ بَحْرًا غَزِيرًا إِذَا مَا الْمُشْكِلَاتُ تَدَافَعَتْهَا ... رِجَالُ الْعِلْمِ كَانَ بِهَا بَصِيرًا"⁽²⁾.

ولا بد لي هنا من وقفة فأقول:

إنَّ أهل العلم وأهل التقوى والعدالة، لا يمنعهم مانع من قول الحق وبيانه في مواطنه، ولو على أنفسهم أو الأقربين، لأن الحق أحق أن يُتبع، فقد تكلم أهل الجرح والتعديل من جهابذة الحفاظ والمحدثين، في حفظ وضبط الإمام أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - فقالوا فيه ما يأتي: " .. * قال البخاريُّ في "الكبير" (4 / 2 / 81): سكتوا عنه. وهذا جرحٌ شديدٌ عنده. * وقال مسلمٌ في "الكني والأسماء" (ق 31 / 1): "مضطرب الحديث، ليس له كبير حديثٍ صحيحٍ. ..".

¹ - الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المتوفى: 1420هـ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، 1 / 761، أخرجه أحمد (5 / 183) واللفظ له والدارمي (1 / 75) وابن حبان (72، 73، -، موارد) وابن عبد البر في "الجامع" (1 / 38 - 39) عن شعبة حدثنا عمر ابن سليمان من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه. أن زيد بن ثابت خرج من عند مروان نحو من نصف النهار، فقلنا: ما بعث إليه الساعة إلا لشيء سأله عنه، فقامت إليه فسألته فقال: أجل سألتنا عن أشياء سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، فذكره. الأخير منه من هذا الوجه، وقال البوصيري في "الزوائد" (1 / 252) وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات، وروى ابن ماجه (2 / 524 - 525) الشطر " هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة بنحوه، ورواه الطبراني بإسناد لا بأس به " انتهى تعليق الألباني.

² - ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص: 133).

* وقال النسائي في "الضعفاء" (57): "ليس بالقوي في الحديث، وهو كثير الغلط على قلة روايته".

* وقال ابن سعد في "الطبقات" (6/256): "كان ضعيفاً في الحديث".

* وقال ابن المبارك: "كان أبو حنيفة مسكيناً في الحديث"، ذكره ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (4/1/450) بسند صحيح.

* وقال أحمد: "حديث أبي حنيفة ضعيف، ورأيه ضعيف"، رواه العقيلي في "الضعفاء" (ق 219/2) بسند صحيح.

* وكذا روى العقيلي، عن ابن معين، قال: كان أبو حنيفة يُضَعَّفُ في الحديث، وسنده صحيح إلى ابن معين.

* وكذا ضَعَّفَهُ ابنُ عديّ، والدارقطني، وعبد الحق الأشبيلي، وغيرهم. نثّل النبال بمعجم الرجال (4/216)

انظر لذلك "الضعيفة" (1/465 - 466) لشيخنا حافظ الوقت ناصر الدين الألباني [رحمه الله تعالى].

هذا، وقد وثق أبا حنيفة - رحمه الله تعالى - جماعة من أهل العلم ولكن توثيقهم لا ينافي جرح من ذكرنا لأمرٍ ذكرتها - الكلام لأبي إسحق الحويني* - في "قصد السبيل في الجرح والتعديل" (1).

مفهوم الإيمان عند أبي حنيفة النعمان.

يرى الإمام أبو حنيفة أن أصل الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، و يرى أن العمل لا يدخل في الإيمان من حيث التسمية والتعريف الخاص، ولكنه شرط لا بد منه للكمال والتمام، وهذا يترتب عليه مسائل سنتعرض إليها في حينها إن شاء الله تعالى.

فيقول - رحمه الله - " .. وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ وَالتَّصْدِيقُ وَإِيمَانُ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِ بِهَا وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ مِنْ جِهَةِ الْيَقِينِ وَالتَّصْدِيقِ، وَالْمُؤْمِنُونَ مُسْتَوُونَ فِي

¹ - الوكيل، أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل، نثّل النبال بمعجم الرجال، 4/215، الناشر: دار ابن عباس، مصر.

* - أبو إسحاق الحويني، حجازي محمد يوسف شريف متخصص في علم الحديث، ولد في عام 1956م ويعرف بأبي إسحق الحويني نسبة إلى قرية حوين بمحافظة كفر الشيخ التي ولد وتربى فيها في مصر، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

الإيمان والتوحيد، متفاضلون في الأعمال⁽¹⁾.

فمن خلال فهمي لتعريف الإمام أبي حنيفة للإيمان، أجد أن هنالك فرقاً واختلافاً بين تعريفه، وبين تعريفات السلف الصالح للإيمان، والمتمثل في جعله العمل شرط تمام للإيمان، لا ركن قوام!

فالفرق بين الركن والشرط، هو أن الركن يلزم من وجوده الوجود، ويلزم من عدمه العدم، بينما الشرط لا يلزم من وجوده الوجود، ويلزم من عدمه العدم، كما هو مُقررٌ في علم الأصول، " والفرق بين الركن والشرط: أنّ الركن هو جزء من حقيقة الشيء، والشرط خارج عن حقيقة الشيء. " (2) "... وأركان جمع ركن والركن هو جانبه الأقوى الذي يعتمد عليه، يعني: لا توجد الحقيقة إلا بوجوده. والركن جزء الذات جزء الماهية الداخل فيها بمعنى أن الماهية تتوقف عليه توقف الماهية على ركنها كما أن الماهية تتوقف على شرطها لكنه خارج عنها فاشتركا الركن والشرط في توقف الماهية عليهما إلا أنه في الأول من باب توقف الماهية على ركنها وفي الثاني من باب توقف الماهية على شرطها، والركن جزء الذاتي وشرط خرج عن الماهية.."⁽³⁾.

فتعريف الإيمان بالإقرار والتصديق، وإخراج العمل عن حقيقة الإيمان على ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - يفيد بتحقيق الإيمان ولا بد، لأن انتفاء الشرط لا يلزم منه انتفاء أصل الإيمان، غير أنه يكون على غير تمام وقبول، كونه - أي العمل - ليس ركناً في الإيمان، وخارج عن حقيقة كينونته، وقوامه، بينما حينما يُعرّف الإيمان بالإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان - كما هو تعريف السلف الصالح - يكون انتفاء وجود العمل بالأركان، نافياً لوجود الإيمان ولا بد.

فمثلاً الوضوء للصلاة، والركوع في الصلاة، فالوضوء شرط للصلاة، وليس جزء منها، وبدونه لا تصح، ولا تُقبل، والركوع ركنٌ من الصلاة، وبدونه لا تكون الصلاة صلاة، وبدون العمل المنبعث من الإقرار والتصديق لا يكون الإيمان إيماناً، فلا إيمان دون التزام على الاستطاعة، والتمكين، وشاهدي قول الله - تعالى - { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة: 2: الآية 82] وقد قرن الله - سبحانه - الإيمان بالعمل في اثنين وخمسين آية من الكتاب العزيز، وحديث النبي ﷺ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: (مَا حَطَبْنَا

1- أبو حنيفة، الفقه الأكبر، ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، المتوفى: 150هـ، ص 55.

2- الشيخ الحازمي، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، موسوعة القواعد الفقهية، 11/ 1284.

3- الشيخ الحازمي، الشرح الميسر لقواعد الأصول ومعاهد الفصول، 8/ 11، بترقيم الشاملة آليا.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ⁽¹⁾ فالأمانة ثمرة الإيمان ، والعهد ثمرة الدين لله - تعالى - وانتفاء الثمرة نفي لأصلها، فمن أقر وصدق التزم وعمل بالإمكان حالما كانت الاستطاعة، وانتفتت الموانع، وإلا لكان إبليس مؤمناً، فلا تنقصه دراية، ولا تعوزه معرفه غير أنه لا عمل صالح له ولا التزام، ولهذا أرى أن تعريف السلف الصالح للإيمان أسلم وأحكم وأقرب من نصوص الكتاب العزيز، وسنة النبي ﷺ.

الخلاصة في تعريف الإيمان.

أرى أن الاختلاف في تعريف الإيمان، لا يعدوا أن يكون خلافاً لفظياً، صورياً على رأي الغزالي، والذهبي، وابن أبي العز، ومن وافقهم، لا يترتب عليه فساد اعتقاد، وهو خلاف حقيقي على رأي الألوسي، والمبارك فوري ، والألباني، ومن وافقهم⁽²⁾.

وأراني أميل إلى رأي شيخ الإسلام - أحمد ابن تيمية - فيما ذهب إليه من رأي معتدل، والمتمثل في " أن الخلاف لفظي في بعض من المسائل المتنازع فيها، حقيقي في بعضها. وفي ذلك يقول: " ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال، لا من بدع العقائد، فإن كثيراً من النزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً لخطأ عظيم"⁽³⁾.

وأما الركن والشرط فكلاهما لازمان لتحقيق ماهية الشيء، ولكن كلاً منهما من جهة، وبناء على هذا أرى أن تعريف الإمام أبي حنيفة للإيمان، وتعريف السلف الصالح للإيمان يلتقيان في لزوم العمل للإيمان، وأنه لا بد منه، بعيداً عن فهم المرجئة، الذين يقولون بإيمان المُصدق إيماناً كاملاً لا يضر معه ذنب - على حد زعمهم الباطل - مهما كبر وعظم، فعدم التزام الطاعات كبائر وموبقات، لا تُخرج عن مسمى الذنب عندهم!!!

¹ - أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) مسند احمد ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة الرسالة تخريج شعيب الأرنؤوط ، برقم 12383، وقال حديث حسن، صحيح ابن حبان مخرجاً، 1/ 422، برقم 194 ، تعليق الألباني - صحيح - انظر صحيح الجامع: برقم 7179، قال الألباني - صحيح - المشكاة 17/1، برقم 35 ، قال الألباني حسن.

² - انظر، الخميس، محمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، 455- 456.

³ - ابن تيمية، الإيمان، ص: 308.

وأما زيادة الإيمان ونقصانه ففيها خلاف حقيقي، والمسألة فيها محسومة، لتضافر الأدلة من النصوص القرآنية، والسنة النبوية، قَالَ تَعَالَى: {فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا} [آل عمران: 3 الآية: 173] وقال سبحانه: {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [التوبة: 9، الآية: 124]. وقال عز وجل- {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الفتح: 48 الآية: 4]. وقوله - تعالى- { وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} [المدثر: 74 الآية: 31].

وقوله- عز وجل- {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: 33 الآية: 22].

فهل بعد قول الله- تعالى- يُأَذِّنُ لِقَوْلِ؟ وهل بعد الصريح الثابت المنقول يُلجأ إلى التأويل غير المعقول؟!

وكي أزيد الأمر وضوحاً هذا قول النبي ﷺ الذي لا تقديم بين يديه، فيما رواه أبو سعيد الخدري- رضي الله عنه- وأخرجه البخاري في صحيحه (..... ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ للبَّ الرجلِ الحازمِ من إحدائِكُنَّ يا معشرَ النساءِ! ". [قُلْنَ: وما نقصانُ ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: " أليس شهادةُ المرأةِ مثل نصفِ شهادةِ الرجلِ؟ ". قلن: بلى، قال: " فذلك من نقصانِ عقلها، أليس إذا حاضتْ لم تصلِّ ولم تصم؟ ". قلن: بلى، قال: " فذلك من نقصانِ دينها "(1)، فالنبي ﷺ اعتبر الصلاة والصيام من الإيمان ينقص بنقصانها، ويزيد بزيادتها.

ما نسب إلى الإمام أبي حنيفة من الإرجاء.

عرفنا فيما مر معنا حقيقة الفكر الإرجائي والذي يعرّف الإيمان بمجرد المعرفة، أو مجرد التصديق، وبعد ذلك لا يضر مع هذا النوع من (الإيمان) ذنب، ولا ينفع مع (الكفر) وهو عدم المعرفة، أو عدم التصديق- في نظرهم- طاعة، وعرفنا بعد ذلك تعريفات المتكلمين للإيمان، بأنه الإقرار والتصديق وإخراج العمل والطاعات عن مسمى الإيمان، وقد تجد تقارباً وتماهياً بين تعريف المرجئة والمتكلمين للإيمان، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل النظر للإعمال عند المرجئة هو عين النظر للإعمال عند المتكلمين؟؟

¹ - الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، مختصر صحيح الإمام البخاري، باب الزكاة على الأقارب، 1/ 430.

والجواب كلا، ليس الأمر كذلك، فالمتكلمون يجعلون العمل شرطاً في تمام وكمال الإيمان، بينما المرجئة لا يعتبرون العمل ركناً ولا شرطاً لتحقيق الإيمان، فكما قال كلثوم التغلبي:

سارت مغربة وسرت مشرقاً شتان بين مُشرقٍ ومُغربٍ⁽¹⁾.

ولكن هنالك مصطلح عند العلماء، يطلق على فئة معينة من الفقهاء هو (مرجئة الفقهاء) فما المقصود بهذا المصطلح عند العلماء؟ ويكمن الجواب فيما يأتي من اقتباسات لأهل العلم تُعرّفُ بهم:

القول الأول في تعريف (مرجئة الفقهاء).

"... مرجئة الفقهاء هم فرقة ظهوروا في الكوفة، وذلك بعد ظهور الخوارج وتكفيرهم للصحابة رضوان الله عليهم وتكفيرهم لعصاة المسلمين، فعند الخوارج أن الذي يرتكب الزنا كافر، والذي يأكل الربا كافر، والذي يشرب الخمر كافر، ولكن هذا خروج عن السنن والصرط المستقيم، ولأجل هذا ظهرت طائفة من الفقهاء في الكوفة أخرجت العمل عن مسمى الإيمان، وقالوا: إن الإيمان هو مجرد التصديق القلبي والإقرار باللسان فقط، فحصرُوا الإيمان عندهم في التصديق القلبي."⁽²⁾

القول الثاني في تعريف (مرجئة الفقهاء).

"... مرجئة الفقهاء: هم قوم من علماء السنة والجماعة من أهل الكوفة، كانوا على عناية بالفقه أكثر من عنايتهم بالحديث والأثر وذلك لما صاحب حال الكوفة في ذلك الزمان من اشتهار الفقه وعدم اشتهار الرواية، فكانت الرواية في بعض الأمصار العراقية والشامية والحجازية أكثر مما

¹ - كلثوم التغلبي، هو كلثوم بن عمرو من بني تغلب من بني عتاب، من ولد عمرو ابن كلثوم التغلبي، ويكنى أبا عمرو. وكان شاعراً محسناً، وكتب في الرسائل مجيداً، ولم يجتمع هذان لغيره. الدينوري، الشعر والشعراء، (2/ 851).

ملاحظة: وقد نُسبَ هذا البيت للشاعر البحتري، وقد يصح لاختلاف مبدأ البيت، ورحم الله الشاعر البحتري حين قال: سارت مشرقة وسرت مغرباً... شتان بين مشرق ومغرب، مجلة البحوث الإسلامية، (49/ 330).

² - السلمي، عبد الرحيم السلمي، شرح الطحاوية - عبد الرحيم السلمي، 4/ 5، بترقيم الشاملة آليا.

وقع لأهل الكوفة؛ ولهذا غلب على أئمة الكوفة القياس والفقہ والرأي. والمقصود: أن طائفة من علماء أهل السنة والجماعة غلطوا في هذه المسألة، وقالوا:

الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وأعمال الجوارح لا تسمى إيماناً، فهم لا يدخلون أعمال الجوارح في مسمى الإيمان، ولهم نتائج أخرى في قولهم، لكن هذا هو أخص ما ذهبوا إليه. والذي ابتدع هذا القول هو حماد بن أبي سليمان، وقد كان من كبار فقهاء الكوفة، ومن علماء أهل السنة والجماعة، ولكنه أخطأ في هذه المسألة وخالف غيره من السلف، بل وخالف شيوخ الكوفة من قبله، وخالف شيخه إبراهيم النخعي، الذي كان شديداً على الإرجاء والمرجئة، وأشهر من تقلد هذا المذهب بعد حماد هو الإمام أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب المعروف، فبتقلد أبي حنيفة لقول حماد اشتهر هذا القول؛ لكثرة أصحاب أبي حنيفة وشيوخهم فيما بعد.

إذاً: قول مرجئة الفقهاء هو إخراج الأعمال الظاهرة عن مسمى الإيمان، لكنهم يجعلونها برأً وتقوىً وطاعة إلى غير ذلك، فهم يسمونها إسلاماً، لكنهم لا يجعلونها داخلة في مسمى الإيمان، ويحتجون ببعض الدلائل التي يأتي التنبيه إليها، كقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البقرة: 2 الآية: 277] فقالوا: إن الله فرق بين الإيمان والعمل، إلى نحو ذلك من استدلالاتهم.

ومرجئة الفقهاء لم يطعنوا في أحاديث الصحابة كما تطعن الخوارج، ولم يستدلوا بعلم الكلام كما يستدل به المرجئة الغالية كالجهم بن صفوان وأمثاله، بل كان استدلالهم من جنس استدلال السلف، كما أنهم لم يعرفوا ببدعة أخرى.

وقولهم هذا لا يسمى اجتهاداً مما يسوغ فيه الاجتهاد بل هو بدعة مخالفة للإجماع؛ وشيخ الإسلام ابن تيمية له سياقان في هذه المسألة: فتارة يقول: والجمهور من السلف يقولون: الإيمان قول وعمل، وخالف في ذلك حماد بن أبي سليمان ومن وافقه من فقهاء الكوفة، وبهذا السياق عند ابن تيمية قد يفهم البعض أنه قول الجمهور.

وهناك سياق آخر يقول فيه: وقد أجمع السلف على أن الإيمان قول وعمل، وحكى هذا الإجماع غير واحد كوكيع وعبد الرحمن بن مهدي والإمام أحمد والشافعي وغيره.

وليس بين سياقي كلام شيخ الإسلام شيء من التعارض؛ لأننا إذا أردنا تقرير دليل السلف على قولهم: الإيمان قول وعمل، وأن أعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان، قيل: دليلهم الكتاب والسنة والإجماع.

أما حماد بن أبي سليمان ومن وافقه فهم مخصومون بالإجماع قبلهم؛ من الصحابة ثم التابعين إلخ، وقبل حماد ليس هناك اختلاف بين أهل السنة، وحكاية إجماع السلف لا تستلزم أن حماداً ليس من أهل السنة، فشيخ الإسلام - رحمه الله - إذا أراد تقرير الدليل على قول السلف قال:

وهو إجماع عند السلف، وإذا أراد بيان حقيقة حماد ومن معه ومقامهم عند أهل السنة قال: إنه قول الجمهور؛ فليس بين كلام شيخ الإسلام رحمه الله شيء من التعارض. وبدعة حماد ليست من بدع العقائد المغلظة، وإنما هي من بدع الأقوال والأفعال، كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، فالسلف عدوا قوله بدعة وذموه ذمماً شديداً على قوله، وذموا مقالته، لكنهم لم يخرجوا حماداً ومن وافقه من دائرة السنة والجماعة بهذا القول.⁽¹⁾

القول الثالث في تعريف (مرجئة الفقهاء).

"... قول مرجئة الفقهاء - من أتباع أبي حنيفة - أن الإيمان قول واعتقاد، وأما الأعمال فغير داخله فيه. وأما حكم مرتكب الكبيرة عندهم فهو موافق لمذهب أهل السنة."⁽²⁾

تحرير القول في تعريف (مرجئة الفقهاء).

أرى أن (مرجئة الفقهاء) هم علماء من أهل السنة والجماعة، غير أنهم في تعريفهم للإيمان، بقولهم أن الإيمان هو تصديق القلب ونطق اللسان، فقد قاربوا تعريف المرجئة للإيمان، ومن هنا التصق بهم الاسم، ولكنهم خالفوهم بموافقتهم أهل السنة في لزوم العمل، فكانوا من أهل السنة، رغم ما أتوا به من بدعة مذمومة، ليست من الغلظة بمكان، إلى الحد الذي يخرجهم بهذه البدعة من دائرة أهل الحق والفرقة الناجية، ولكنها بدعة خالفوا بها إجماع السلف الصالح، رغم بقائهم في إطار ودائرة أهل الحق، والطائفة المنصورة (أهل السنة والجماعة)، بإذن الله - عز وجل - وقد دافع العلامة للكنوي الهندي - وهو من هو في علم الرواية ومصطلح الحديث - عن الإمام أبي حنيفة النعمان - رحمه الله - فيما نُسبَ إليه من الإرجاء فقال "... قد يظنّ من لا علم له حين يرى في ميزان الاعتدال وتهذيب الكمال وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب وغيرها من كتب الفن في حق كثير من الرواة الطعن بالإرجاء عن أئمة النقد الأثبات حيث يقولون رمي بالإرجاء أو كان مرجئاً أو نحو ذلك من عباراتهم كونهم خارجين من أهل السنة والجماعة داخلين في فرق الضلالة مجروحين بالبدعة الاعتقادية معدودين من الفرق المرجئة الضالة ومن هاهنا طعن كثير منهم على الإمام أبي حنيفة وصاحبيه وشيوخه لوجود إطلاق الإرجاء عليهم في كتب من يعتمد

¹ - الغفص، يوسف بن محمد علي الغفص، شرح لمعة الاعتقاد - يوسف الغفص، 10/4، بترقيم الشاملة آيا.

² - عسيري، أحمد بن علي الزاملي عسيري، منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، ص: 668.

على نقلهم ومنشأ ظنهم غفلتهم عن أحدٍ قسمي الإرجاء وسُرعة انتقال ذهنهم إلى إرجاء الذي هو ضلال عند العلماء. (1)، وقال أيضاً، " ... والذي يجب علمه على العالم المشتغل بكتب التواريخ وأسماء الرجال إن الإرجاء يُطلق على قسمين:

1- الإرجاء الذي هو ضلال وهو الذي مر ذكره آنفاً.

2- الإرجاء الذي ليس بضلال ولا يكون صاحبه عن أهل السنة والجماعة خارجاً ولهذا ذكرُوا ان المرجئة فرقتان مرجئة الضلالة ومرجئة أهل السنة وأبو حنيفة وتلامذته وشيوخه وغيرهم من الرواة الأثبات إنما عدوا من مرجئة أهل السنة لا من مرجئة الضلالة.

قال الشهرستاني عند ذكر الغسانية " ومن العجب ان غسان كان يحكي عن ابي حنيفة مثل مذهبه ويعدده من المرجئة ولعله كذب عليه ولعمري كان يُقال لأبي حنيفة وأصحابه مرجئة السنة ولعلَّ السبب فيه انه لما كان يقول الإيمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص نسب إليه انه يؤخر العمل عن الإيمان والرجل مع تبخره بالعلم كيف يُفتي بترك العمل وله سبب آخر وهو انه كان يُخالف القدرية والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الأول والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر مرجئاً وكذلك الوعيدية من الخوارج فلا يبعد أن اللقب إنما لزمه من فريق المعتزلة والخوارج انتهى (2).

أرى أن خلاصة القول فيما نسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان - من أنه كان مرجئاً - بمعنى الإرجاء الذي يتبادر للأذهان لأول وهله، ويخرج قائمة من دائرة أهل السنة والجماعة، والطائفة المنصورة، هو كلام ملتبس، يُحتاج فيه إلى الرجوع إلى ما قال الإمام نفسه، ليظهر للباحث أي مسمى من الإرجاء كان عليه، إذ يقول - رحمه الله تعالى - " والإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى فمن طريق اللُّغة فرق بين الإسلام والإيمان ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام ولا يوجد إسلام بلا إيمان وهما كالظهر مع البطن والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها (3).

فها هو - رحمه الله - بصريح قوله السالف يجعل الإيمان والإسلام كالظهر والبطن، لا انفكاك بينهما ولا انفصام، فلا وجود لأحدهما دون الآخر، وهذا ما يباين به أهل الإرجاء ومفهومهم

1- اللكنوي، محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات، المتوفى: 1304هـ، الرفع والتكميل، ص: 352، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة .

2- اللكنوي، (م . ن) الصفحات 60، 61، 62.

3- أبو حنيفة، الفقه الأكبر، ص: 57.

للإيمان، ويكون معهم على طرفي نقيض، على الرغم من مخالفته لمفهوم أهل السنة والجماعة في إخراج العمل من دائرة الإيمان.

فالإرجاء الذي وُسمَ به الإمام أبو حنيفة النعمان هو إرجاء الفقهاء الذي لا يخرج صاحبه من دائرة أهل السنة والجماعة، والطائفة المنصورة بإذن - الله تعالى - غير أن الحق - وهو مفهوم السلف للإيمان - أحق أن يُتَّبَع، فهو أولى وأحرى بالإتباع، وأقوم وأحكم وأسلم للإتباع.

وفي العصر الحاضر نجد أن الإمام الألباني تعرض للنقد والإشارة إليه بالإرجاء، وهو مُحدث العصر بلا منازع، وذلك في مسألة (تكفير تارك الصلاة).

فقال الإمام في معرض رده ودفاعه عن نفسه " ... وقد بدا لي من مطالعتي للكتاب المذكور [أي كتاب "ظاهرة الإرجاء" لسفر الحوالي] أنه ذو فائدة كبيرة جداً في الرد على علماء الكلام الذين يخالفون أهل الحديث في قولهم: (الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال الصالحة من الإيمان)، مع غلو ظاهر في بعض عباراته؛ حتى ليخال إليّ أنه يميل إلى مذهب الخوارج، مع أنه يرد عليهم، وغمزني بالإرجاء أكثر من مرة؛ تارة تصريحاً وأخرى تلويحاً، مع إظهاره الاحترام والتبجيل - خلافاً لبعض الغلاة ولا أقول: الأتباع -، وهو يعلم أنني أنصر مذهب أهل الحديث، متذرعاً بأنني لا أكفر تارك الصلاة كسلاً؛ ما لم يدل على أن تركه عن عقيدة وجحد، كالذي يقاله: (إن لم تصل، وإلا؛ قتلناك)، فيأبى فيقتل؛ فهذا كافر مرتد - كما كنت نقلته في رسالتي " حكم تارك الصلاة " عن ابن القيم وشيخه ابن تيمية - وعلى مثله حمل ابن تيمية الآثار التي استفاضت عن الصحابة في كفر تارك الصلاة، وقوله ﷺ: «ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة». انظر كلامهما في الرسالة المذكورة (ص 38 - 46). ومع هذا رمانا المؤلف المذكور بالإرجاء .. سامحه الله ، وهدانا الله وإياه لما اختلف فيه من الحق؛ إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم." (1).

وهذا ما يجعلني أقول، أن الخلاف في بعض المسائل الشرعية المترتبة على تعريفات الإيمان، كان له دور ما في التلطف ببعض التعبيرات، سواءً كان غمزاً بالإرجاء، كما صرح الدكتور سفر الحوالي - حفظه الله - أو غمزاً بالميل إلى فكر الخوارج كما صرح الإمام الألباني - رحمه الله - في معرض رده السالف على الدكتور سفر الحوالي، لذا أرى أن العالم كلما تحلى بالموضوعية، وتجرد من مؤثرات التقليد والمحاكاة للغير، وتخلص من ردة الفعل والانتصار للنفس، كان أدنى من الصواب، وأهدى بعون الله - تعالى - للرشاد والله المستعان.

¹ - الألباني، موسوعة الألباني في العقيدة، باب الرد على من غمز الشيخ، 4 / 149.

فليس كل من خالفك الفهم في مسألة هو خصم لك، والرأي يعكس التصور الذهني للمسألة الواحدة في ذهن الفرد، وليس كل من ينظر إليها هو ناظر لها من ذات الزاوية أو الجهة، فالخلاف واقعٌ فيها ولا بد، وذلك للتفاوت الطبيعي بين العقول في مستوى الإدراك، وتفاوتٍ في مستوى توفر المعطيات من حيث الصحة والضعف، ومستوى الدقة وعدمها، وبهذا يكون القرب والبعد من الصواب منوطاً بمقدار القرب والبعد من مدلول النص القاطع وفهم واقعه، وإسقاطه على واقع المسألة، دون تَمَحُّلٍ أو استبدالٍ في الرأي، مع الإبقاء على فتح المجال أمام من يأتي بالأصح والأدق من الأدلة، لتتحصر الغاية في الوصول إلى الحقيقة والحقيقة فقط، التي هي قبلة كل باحثٍ أو محقق موضوعي.

فالشيخين الكريمين الإمام الألباني، والشيخ الحوالي، كلاهما على عقيدة السلف الصالح، وكلاهما دافع وناجح عن عقيدة السلف الصالح بكل ما مكنه الله - تعالى - فليس الألباني مرجحاً وليس الحوالي خارجياً بفضل الله - تعالى - عليهم، ولكن الخلاف في مسألة تكفير تارك الصلاة كسلا كانت مبعث هذا الإشكال، فمن ناظرٍ للكسل على الإطلاق، ومن ناظرٍ للكسل إلى حد معين، وهنا يجتمعان في رأيٍ واحد وهو أن تارك الصلاة على الإطلاق وإن لم يجدها فهو كافر، وهذا ما بينه الألباني في معرض رده السالف الذكر.

وهنا أزجي نصيحةً لكل باحثٍ في علوم العقيدة الإسلامية، لا بد لك أخي الباحث أن تعلم أن مفاهيم الفكر الإرجائي، قد يقع فيها البعض بغير قصد منهم، وذلك لأن الفكر الإرجائي لا يضمه إطاراً مُحدد، وهو متداخل عند أهل الفرق، ف(غيلان الدمشقي) مُرجئ غير أنه وُضِع في رؤوس القدرية (الحبرية) لأن الفرد يُحَكِّم عليه بأبرز ما فيه.

وقد تجد من أهل الحق (أهل السنة والجماعة) من يقول - وهو لا يقصد - قولاً ليس لظاهر قوله تفسيرٌ غير الإرجاء، كقول القائل⁽¹⁾ الذي يريد أن يسوس المسلمين، ويجمع شتات تفرقهم، ويوحد الكلمة، ويسعى جاهداً لإقامة سلطان الإسلام ورفع رايته، والذود عن حياضه، فيقول عبارة مثل

¹ - الهضيبي، المستشار حسن الهضيبي (1306 . 1393هـ) (1891 . 1973م)، مرشداً للإخوان، وهو واحد من كبار رجال القضاء المصري، وقد اعتُقل عدداً من المرات، وصدر ضده عام 1954م حكم بالإعدام ثم خفف إلى المؤبد، وأُفرج عنه آخر مرة سنة 1971م. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (1/199).

العبارة الآتية: (نحن دعاة لا قضاة)⁽¹⁾، ويعبر عنها بعض العوام (دع الخلق للخالق) عبارة يقصد بها عدم الانشغال في إسقاط الأحكام على الناس، وبدلاً عن ذلك نكثف الجهود في الأخذ بأيدي الناس ودعوتهم إلى طريق الهدى، غير أن مَنْ أَمَعَنَ النظر في ظاهر هذه العبارة، وليس في روح القصد منها، تجده يقول وهل الفكر الإرجائي غير هذا!؟

وهنا لي سؤال، وهل يتحقق المراد مما شرع الله لنا من الدين؛ وأمرنا بالدعوة إليه، والاستقامة على أمره، والعدل به بين الناس، إلا بتحكيم الشرع والقضاء به على الأعمال والأفراد، والجموع؟! اللهم لا وألف لا.

قال الله - تعالى - { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15) } سورة الشورى: 42، أرقام الآيات [13-15].

وسؤال آخر يطرح نفسه بقوة: هل لنا من محيدٍ عن اتباع الشريعة تحت أية مصلحة سياسية موهومة كانت أم حقيقية بعد ما أمرنا الله - تعالى - بالصريح من القول في القرآن الكريم بإتباع شريعته، وعدم الالتفات لغير أمره!؟

قال الله - عز وجل - { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (20) } سورة الجاثية: 45، [18-20].

فمهما كان القصد نبيلاً من هذه العبارة عند من قال بها، ومهما كانت الغاية شريفةً عند من ردها واعتقد بها، لا أجد مسوغاً للحيد عن الحكم والقضاء بشرع الله - الذي له الخلق والأمر -

¹ - المقدم، محمد أحمد إسماعيل المقدم، سلسلة الإيمان والكفر، (21/15) دعاة لا قضاة، حسن الهضيبي - رحمه الله - الذي ألف كتاب: دعاة لا قضاة، بالاشتراك مع ابنه الأستاذ مأمون الهضيبي، يرد فيه على كتاب الظلال.

مهما كانت التبريرات، ومهما كانت المصلحة المزعومة، فنحن دعاة وقضاة في نفس الآن والأوان، وكما قال الشاعر:

أَلَمْ أَلَمْ أَلَمْ بِدَائِهِ إِنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أُوَانِهِ⁽¹⁾.

فإنَّ القضاء هو أنَّ الدعوة، ولا انفصام بين الدعوة وبين القضاء، وبين المناسك والمعاملات، وبين التبتل في العبادات، وبين الجهاد في سبيل الله تعالى.

وأخيرا وبعد أن انتهينا- بعون الله وتوفيقه- من الفصل الأول من هذه الرسالة، والذي كان عنوانه الفكر الإرجائي، سنتناول الفصل الثاني من هذا البحث، تحت عنوان:

الرد على الفكر الإرجائي وبيان آثاره.

¹- **ملتقى أهل اللغة**، (11 / 14)، أَلَمْ أَلَمْ أَلَمْ بِدَائِهِ .. إِنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أُوَانِهِ التفسير هو: - (أَلَمْ) (أَلَمْ) (أَلَمْ) (أَلَمْ) (أَلَمْ) بِدَائِهِ) بمعنى: (وجع) (أحاط بي) (لم) (أعلم) (بمرضه) - (إِنْ) (أَنْ) (أَنْ) (أَنْ) (أَنْ) (شِفَائِهِ) بمعنى: (إذا) (توجع) (صاحب الألم) (حان) (وقت) (شفاؤه)! رابط الموقع: <http://ahlalloghah.com>.

ملاحظة: هذا بيت من الشعر يُنسب للشاعر المنتبي*، ولم أقف عليه في شروح ديوانه.
* - **المنتبي**، أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنتَبِيِّ، (303 - 354 هـ = 915 - 965 م) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنتَبِيِّ: الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين. ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته.، الأعلام للزركلي (1/ 115).

الفصل الثاني

الرد على الفكر الإرجائي، وبيان آثاره.

المبحث الأول: ردود العلماء على الأفهام الخاطئة للإيمان في الفكر الإرجائي.

المطلب الأول: رد العلماء على مَنْ قَصَرَ الإيمان على مجرد التصديق.

جاء في الأثر، من وصية لأمير المؤمنين - علي بن أبي طالب - قال: "... يموت العلم بموت حملته ثم قال اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مشهور وإما خائف مغمور لئلا يبطل حجج الله وبيئاته، وكم وأين أولئك الأفلون عددا، الأعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤديها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستسهلوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى يا كميل [كميل بن زياد] أولئك خلفاء الله في أرضه الدعاة إلى دينه هاه شوقا إلى رؤيتهم أستغفر الله لي ولك".⁽¹⁾

أجل... لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة، فقد أيد الله - تعالى - دينه بالعلماء العاملين، فتصدوا للرد على المرجئة، الذين يقولون إن الإيمان مجرد المعرفة، فردوا عليهم بالحجة والدليل من صحيح المنقول، وصريح المعقول، فأرغموا أنوفهم، وأبطلوا مزاعمهم، وفندوا شبهات حججهم، وجلوا العقيدة للمؤمنين بثوبها القشيب، محجة بيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتكذب طريقها إلا ضال، وقلّبوا مفهومهم للإيمان، وما بنوا عليه من الأحكام، فكان الرد مُفحماً والحجة لذوي الألباب باهرة، وسأقتبس من ردود العلماء ما تقوم به الحجة فقط.

المسألة الأولى: الرد على من زعم أن الإيمان مجرد المعرفة.

أرى أنه من المعلوم بالضرورة، أن الحركة والسكون من العقلاء ليست ارتجالية أو عفوية، بل يسبقها فكر وما كان غير ذلك فغير مُعتبر عند العقلاء، ولا يبنى عليه حكم، كمن سبق لسانه إلى كلمة لا يقصدها، كما ورد في الحديث الشريف قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجْرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيَسَ مِنْ رَأْسِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا،

¹ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المتوفى: 911هـ، جامع الأحاديث، باب مسند علي بن أبي طالب، 277 / 29، بترقيم الشاملة آليا، وأبو نعيم في الحلية، باب وصية لكميل بن زياد، 79/1، والمتقي الهندي، في كنز العمال، باب في فضله والتحريض عليه، 263-262/10، ورواه غيرهم.

قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخَطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ⁽¹⁾، أو كرجلٍ وُخِزَ من الخلف فضرب من أمامه، إلى غير ذلك من الكلام أو الحركات العفوية غير المقصودة، ولكن الحركات والكلمات المقصودة، تكون عن سابق فكر وأُسِ اعتقاد، ويترتب على هذا: أن كل فكرٍ أو اعتقادٍ لا يظهر على الجوارح، ولا تبدوا آثاره فهو غير معتبر في ميزان الشرع، ولا قيمة له عند العقلاء، وذلك للأدلة العقلية الصريحة الآتية:

- 1- إبليس (لعنه الله) كافر لا يُعتبر إيمانه، عَرَفَ الله- عز وجل- ولم تظهر آثار معرفته برفضه وعدم انصياعه وامتثاله لأمر الله -عز وجل- .
- 2- فرعون (الملعون) لم تعتبر معرفته، قال الله - تعالى - { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا } [الإسراء: 17 الآية: 102] فلم تُعتبر معرفته، ولم ينفعه إيمانه المُعَوَّجُ في غير أوانه.
- 3- أبو طالب عم النبي ﷺ عرف صدق النبي ﷺ ولم يشهد شهادة الحق، فمات كافرًا مصيره جهنم خالدًا فيها، ولم يُعتبر إيمانه.
- 4- إيمان الفلاسفة البارد لم يحركهم للعمل، فلم ينتفعوا به، لأنه لا يعدو أكثر من رياضة ذهنية، وتحليق خيالي في عالم المُثُل.
- 5- إجماع العقلاء على أن كل دعوى لا بد لها من آثار تُكَوِّنُ برهانًا على صدقها، واعتبارها، وإلا فلا قيمة لها عند أهل النهى، وأولي الأبواب، قال الشاعر أبو العتاهية*:

وكلٌ يدعي وصلًا بليلى وليلى لا تُفَرِّ لهم بِذاك
إذا اشتبكت دموعٌ في جفونٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِنْ تَبَاكِي
فأما من بكى فيذوب وجدًا وينطق بالهوى من قد تباكا
ولو أني استطعت كفتت طرفي فلم أبصر به ... حتى أراكا⁽²⁾.

¹ - مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المتوفى: 261هـ، صحيح مسلم، رقم 2747، باب في الحض على التوبة والفرح بها، 2104/4.

² - نجيب، أحمد قيش بن محمد نجيب، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (4/ 186).

* أبو العتاهية، (130 - 211 هـ = 748 - 826 م) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي (من قبيلة عنزة) بالولاء، أبو اسحاق الشهير ب أبي العتاهية: شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع. كان ينظم المئة والمئة والخمسين بيتا في اليوم، حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره من سبيل. وهو يعدّ من مقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما، الأعلام للزركلي (1/ 321).

رد آخر على من قال: أن الإيمان هو مجرد المعرفة.

" .. الرد على المرجئة، الذين يقولون: إن الإيمان هو مجرد المعرفة أو الاعتقاد، فإذا عرف الإنسان بقلبه أو اعتقد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولو لم يعمل؛ فإنه يكون مسلماً لأن الأعمال ليست شرطاً في الإيمان، بل مجرد المعرفة أو الاعتقاد بالقلب يكفي عندهم، وهذا باطل، لأن معرفة أبي طالب لرسالة النبي ﷺ، لم تعتبر إسلاماً، والله تعالى قال عن المشركين: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} {الأنعام: 6 الآية:33}، فهم يعرفون أنه رسول الله، لكن الكبر والحمية الجاهلية، جعلتهم لا يقبلون الدعوة، مع أنهم يعرفونها بقلوبهم، والله جل وعلا حكي عن موسى -عليه السلام- أنه قال لفرعون: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} {الإسراء:17: الآية:102}، فرعون عارف بقلبه صحة ما جاء به موسى، ولكن منعه الكبر والمعاندة، وقال تعالى عن المشركين: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} {النمل:27 الآية:14}، وأيضاً قوله -تعالى- {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ} {الأعراف:7 الآية:157}، فاليهود يعرفون أنه رسول الله - أيضاً- كما قال الله -تعالى- {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} {البقرة:2، الآية:146} يعرفون أنه رسول الله.

وكان أبو طالب يعرف أنه رسول الله، وصرح بهذا في قصائده، يقول:

"ولقد علمت أن دين محمد ... من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لرأيتني سمحاً بذاك مبيناً"

فالذي منعه هو ما جاء في هذا الحديث: أبي أن يقول: لا إله إلا الله وقال: "وهو على ملة عبد المطلب"، وهو يعرف أنه رسول الله.⁽¹⁾

المسألة الثانية: الرد على من زعم: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

الإيمان من حيث المعنى اللغوي المجرد، هو التصديق، مثل آمن له، وآمن به، كما ورد في القرآن الكريم { فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } {العنكبوت:29}

¹ - الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، اعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، 260/1-261.

{ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا } [الآية: 26]، وقال- سبحانه- { فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا } [النساء:4|الآية: 55].

وأرى أن من قال بأن الإيمان لا يتجزأ، لم يتجاوز بنظره النقيضين، والضدين، تصديق، أو عدم تصديق، إيمان، أو عدم إيمان، وبهذا - أي حصر النظر في المعنى اللغوي - وغاب، أو غيَّبَ عن ذهنه مستوى درجة التصديق، ومستوى عمق الإيمان والله تعالى أعلم، فعمق الإيمان ومستوى التصديق يختلف من شخصٍ لآخر، وذلك لما ورد في القرآن الكريم من مستوى لدرجات اليقين، { بسم الله الرحمن الرحيم، أَلْهَآكُمُ النَّكَاتُ (1) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8) } [التكاثر: 102، الآيات: 1-8]، وقال- عز وجل- { إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ } [الواقعة: 56، الآية: 95]، وهنا نرى لليقين ثلاث مستويات، أو ثلاث درجات، هي:

- 1- علم اليقين: وهو الخبر الثابت بالسمع.
 - 2- عين اليقين: وهو الخبر الثابت بالسمع والبصر، وهذه مرتبة اعلي من سابقتها، رغم ثبوت الأولى بدون أدنى شكٍ أو ريب.
 - 3- حق اليقين: وهو الخبر الثابت بالسمع والبصر وعيش واقعه، فهو أعلى درجات التصديق والإيمان، وعلى هذا فكلما تعززت الدلائل، كلما ارتفعت درجة الإيمان، وعلت مرتبة التصديق، والعكس بالعكس.
- فمثال الأول: إخبار العدل الثقة، أو جمع من العدول الثقات، بحدثٍ في مدينة ما، عن طريق المذياع، أو التلفون أو الرسالة المكتوبة، أو الرسالة الإلكترونية، وبهذا يتحقق علم اليقين.
- ومثال الثاني: أن هذا الحدث جاء بالخبر والصورة عن طريق التلفاز، من عدة محطات، للأخبار والتلفزة، وعليه يكون التصديق بالخبر، أعلى وذلك لتعزيز الصورة للخبر المُقتصر على السماع.
- ومثال الثالث: يكون لمن هو في بوتقة الحدث، وعائشه واقعاً حياً، كصحفي، وأفراد ظرف الزمان والمكان الذين عاشوا الحدث واقعاً، وما أجمل ما أجاب به شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله تعالى- في هذا المقام: " سئِلَ شيخ الإسلام أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى حَقُّ الْيَقِينِ وَعَيْنُ الْيَقِينِ وَمَا مَعْنَى كُلِّ مَقَامٍ مِنْهَا وَأَيُّ مَقَامٍ أَعْلَى فَأَجَابَ الْحَمْدُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مَقَالَاتٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْهَا أَنْ يُقَالَ عِلْمُ الْيَقِينِ مَا عَلِمَهُ بِالسَّمَاعِ وَالْخَبَرَ وَالْقِيَاسَ وَالنَّظَرَ، وَعَيْنُ الْيَقِينِ مَا شَاهَدَهُ وَعَايَنَهُ بِالْبَصَرِ، وَحَقُّ الْيَقِينِ مَا بَاشَرَهُ وَوَجَدَهُ وَذَاقَهُ وَعَرَفَهُ بِالْإِعْتِبَارِ، فَأَلْوَلَى مِثْلَ مَنْ أَخْبَرَ أَنْ هُنَاكَ عَسَلًا وَصَدَقَ الْمَخْبِرُ أَوْ رَأَى

آثار العسل فاستدل على وجوده، والثاني مثل من رأى العسل وشاهده وعابنه وهذا أعلى كما قال النبي ﷺ : (ليس المخبر كالمعاین)⁽¹⁾.

والثالث مثل من ذاق العسل ووجد طعمه وحلاوته ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله ولهذا يُشِير أهل المعرفة إلى ما عندهم من الذوب والوجد كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يُحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقال ﷺ : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً) فالناس فيما يجده أهل الإيمان ويذوقونه من حلاوة الإيمان وطعمه على ثلاث درجات [من] درجات أهل الإيمان الأولى من علم ذلك مثل من يُخبره به شيخ له يصدقه أو يبلغه ما أخبر به العارِفون عن أنفسهم أو يجد من آثار أحوالهم ما يدل على ذلك والثانية من يُشاهد ذلك وعابنه مثل أن يعاین من أحوال أهل المعرفة والصدق والتيقن ما يعرف به مواجيدهم وأذواقهم وان كان هذا في الحقيقة لم يُشاهد ما ذاقوه ووجدوه ولكن شاهد ما دلّ عليه لكن هو أبلغ من المخبر والمستدل بآثارهم⁽²⁾. " قال الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء، في جميع الأمصار، حجازاً، وعراقاً، ومصرأ، وشامأ، ويمنا، فكان في مذاهبهم: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله، غير مخلوق بجميع جهاته، والقدر خيره وشره من الله، وأن الله تعالى على عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله، بلا كيف { وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً } [الطلاق: 65 الآية: 12]⁽³⁾.

" سئل الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، قال السائل: تفكرت في الإيمان وقوته وضعفه، وأن محله القلب، وأن التقوى ثمرته ومركبة عليه، فبقوته تقوى، وبضعفه تضعف. فأجاب: قولك إن الإيمان محله القلب، فالإيمان بإجماع السلف محله القلب، والجوارح جميعاً، كما ذكر الله في سورة الأنفال وغيرها، وأما كون الذي في القلب، والذي في الجوارح، يزيد وينقص، فذلك شيء معلوم، والسلف يخافون على الإنسان إذا كان ضعيف الإيمان من النفاق، أو سلب الإيمان كله⁽⁴⁾.

"... كذلك في الإيمان، فجمهور الناس في هذه الأزمان، يقولون: الإيمان هو التصديق، ومذهب أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؛ وكثير من السلف كفروا من قال:

¹ - الألباني، تحقيق الإيمان لابن تيمية، ص: 95، قال الاباني(سنده جيد بلفظ ليس الخبر كالمعاینة).

² - ابن تيمية، الزهد والورع والعبادة، ص 77.

³ - ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الدرر السننية في الأجوبة النجدية، 3 / 240.

⁴ - ابن قاسم، (م. ن)، 1 / 187.

إن الإيمان هو التصديق فقط.⁽¹⁾

لذا أرى أن تكفير السلف لمن قال إن الإيمان هو التصديق فقط، لا يشمل مرجئة الفقهاء، لأنهم لم ينفوا العمل بالمطلق كما فعلت المرجئة، .. فالإمام أبو حنيفة رضي الله عنه نظر إلى حقيقة الإيمان لغة مع أدلة من كلام الشارع. وبقيته الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عرف الشارع، فإن الشارع ضم إلى التصديق أوصافاً وشرائط، كما في الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك.⁽²⁾

.. فإذا كانوا بهذه المثابة والمنزلة وهم كذلك، وقد اتفقوا على أن الإيمان يزيد وينقص، ومستندهم في ذلك الكتاب والسنة، فلا يجوز لأحد أن يعدل عن قولهم لشبه عقلية وخيالات وهمية، ما هي إلا كسرابٍ ببيعة يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه[[]النور: 24 الآية 39] هذا على سبيل الإجمال.

أما التفصيل، فهو في نقد حججهم السالفة الذكر، ونقضها شبهة شبيهة.

أولاً - قولهم: إن الإيمان لا ينقص:

لأنه هو التصديق، والتصديق إذا صار شكاً، لكنه يزيد.

قلت: وهذا قول باطل مناقض للحق والواقع، أما الحق: فقد بينت في مبحث أوجه زيادة الإيمان ونقصانه أن الحق الذي لا ريب فيه في التصديق أنه يزيد وينقص ويقوى ويضعف، ولا يلزم من ضعفه أن يكون شكاً أو كفراً حاشا وكلا، بل يضعف تصديق الشخص عن درجة اليقين الكامل إلى درجة أضعف دون أن يكون ذاهب التصديق كلية، أو مرتاباً⁽³⁾.

المسألة الثالثة: الرد على من قال: لا يضر مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة.

يبدو واضحاً لمن تأمل هذه العبارة بالعقل المجرد، يجد أن القائل لهذه العبارة المتهاففة والمتناقضة، أنه صاحب عقل معكوس و قلب منكوس، وإلا فكيف يوفق بعقله المزعوم بين هذا القول وبين الحقيقة البديهية في عالم الأضداد!؟

والقاضية بأن لكل شيء نواقضه، ومبطلاته، فالنور مبدد للظلمات، والعلم مبدد للجهالة، وتجد هذا في كل شيء، فلا استقامة نهج إلا بإزالة كل نواقضه ومؤثراتها، كما هو الإيمان، وإلا فلا

¹ - (م . ن)، 174/12.

² - ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحي الدمشقي، المتوفى: 792هـ، شرح الطحاوية، تحقيق الأرنؤوط، 447/2.

³ - البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، ص، 306.

يكون لقوله -تعالى - { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [البقرة:2، الآية: 256]، المطلوب الكفر بالنقيض ثم الإيمان بالله - عز وجل - ولو كان الزعم صحيحاً (لا يضر مع الإيمان ذنب) لكان الإيمان مقبول دون الكفر بالطاغوت أولاً ومسبقاً!!

وبعد حصول الإيمان قد يقع في أحد نواقضه فينتفي إيمانه، كرجل لقي النبي ﷺ وأمن به وبكل ما جاء به، سوى أنه استباح شرب الخمر - أقول استباح - ولم أقل شرب الخمر، فهل يبقى على إسلامه وإيمانه أم أنه يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية؟

ككيف يجمع هذا القائل بين الشيء ونقيضه، إنه انعكاس العقل، وانعكاس القلب، لا غير ذلك!! يقول ابن أبي العز الحنفي: " ... وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمَلَهُ - مُخَالَفَةُ الْمُرْجِيَّةِ. وَشُبُهَتُهُمْ كَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ لِبَعْضِ الْأَوَّلِينَ، فَانْفَقَ الصَّحَابَةُ عَلَى قَتْلِهِمْ إِنْ لَمْ يَتَّوَبُوا مِنْ ذَلِكَ. فَإِنَّ قُدَامَةَ بَنٍ مَطْعُونٍ شَرِبَ الْخَمْرَ بَعْدَ تَحْرِيمِهَا هُوَ وَطَائِفَةٌ، وَتَأَوَّلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } [المائدة:5 الآية 93]. فَلَمَّا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انْفَقَ هُوَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَسَائِرُ الصَّحَابَةِ عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ اعْتَرَفُوا بِالتَّحْرِيمِ جُلِدُوا، وَإِنْ أَصْرُوا عَلَى اسْتِحْلَالِهَا قُتِلُوا. وَقَالَ عُمَرُ لِقُدَامَةَ: أَخْطَأْتَ اسْتِنَاكَ الْحُفْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ اتَّقَيْتَ وَآمَنْتَ وَعَمِلْتَ الصَّالِحَاتِ لَمْ تَشْرَبِ الْخَمْرَ. "(1).

فقد علق الألباني على القول " وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمَلَهُ " قلت (القول للألباني) وذلك لأنه من قول المرجئة المؤدي إلى التكذيب بآيات الوعيد وأحاديثه الواردة في حق العصاة من هذه الأمة وأن طوائف منهم يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة أو بغيرها "(2).

ورأيي في هذه المقولة (لا يضر مع الإيمان ذنب)، أنها مقولة لا تستحق كبير جهدٍ وعناء لأنها مقولة متناقضة، فهي تنقض نفسها بنفسها، عند العقلاء، وأصحاب الفهم السليم، بدليل أن عدم التزام إبليس لأمر الله ذنب فهل ضره هذا الذنب وجعله من الكافرين أم لا؟! وأما أصحاب الفهم السقيم، فقد كُفينا مئونة مناقشتهم، فلا حيلة فيهم، ولو تتاطحت بين أيديهم الجبال، فلا هم من العقلاء فينفعمهم البيان، ولا هم من أصحاب العقول المستريحة، فيسعمهم السير على منهج الأعيان.

¹ - ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية ت الأرنؤوط، 2/ 446.

² - ابن أبي العز الحنفي، متن الطحاوية، بتعليق الألباني، ص 60.

المطلب الثاني: الرد على: من فصل بين الإيمان والعمل.

إن العمل ثمرة للإيمان، ومسمى الإيمان بدون عمل إيمانٌ ميتٌ عقيم، ورياضة ذهنية لا طائل من ورائها، وقد سبق أن بينا ردود العلماء على هذا الفهم المغلوط، وهذا الزعم المردود والذي قالت به (المرجئة) ولكن هناك من فصل بين الإيمان والعمل في التعريف وحسب، رغم جعلهم العمل شرطاً للإيمان - وهم مرجئة الفقهاء - فما موقف العلماء من هذا الفصل؟

أرى من حيث المبدأ، أنه لا فصل بين الإيمان والعمل، لأن الأمر واضح جلي في حديث النبي الكريم ﷺ الذي لا يلتفت لقول قائلٍ بعد قوله عليه السلام في الحديث الشريف الآتي :
(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَّفَاقَةٌ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا عُذْرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، وَقَالَ الْأَخْرَانِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أُتْرَجِمُ بَيْنَ يَدَيْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبَيْنَ النَّاسِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، تَسْأَلُهُ عَنْ نَبِيذِ الْجَرِّ، فَقَالَ: إِنَّ وَفَدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ الْوَفْدُ؟ أَوْ مَنِ الْقَوْمُ؟»، قَالُوا: رَيْبَعَةٌ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا، وَلَا النَّدَامَى»، قَالَ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شِقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ، وَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصَلِّ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاعَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، قَالَ: «أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ»، وَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا حُمْسًا مِنَ الْمَغْنَمِ»، وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُرْفَتِ - قَالَ شُعْبَةُ: وَرُبَّمَا قَالَ - النَّقِيرِ، قَالَ شُعْبَةُ: وَرُبَّمَا قَالَ: الْمُفَيْرِ، وَقَالَ: «أَحْفَظُوهُ، وَأَخْبِرُوا بِهِ مِنْ وَرَائِكُمْ» وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِوَايَتِهِ: «مَنْ وَرَاعَكُمْ»، وَلَيْسَ فِي رِوَايَتِهِ الْمُفَيْرِ. (1).

وبعد هذا البيان النبوي الشريف، أسأل القارئ اللبيب، بعد أن يمعن النظر في كلمات حديث النبي ﷺ (هل تدرُونَ ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا حُمْسًا مِنَ الْمَغْنَمِ» هل الرسول ﷺ عدَّ العمل من الإيمان أم لا؟ وجوابك نعم، لقد عد الرسول ﷺ العمل من الإيمان، فقد عدَّ الشهادتين وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأداء خمس المغنم من الإيمان، فلا يجوز لأحد أن يعدل عن قول النبي ﷺ لأي سبب كان، قال ابن عباس رضي الله

¹ - مسلم، صحيح مسلم، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، 47/1.

عنهما " قَالَ: تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ عُرْوَةُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ عَنِ الْمُنْعَةِ، فَقَالَ: يَعْني ابنَ عَبَّاسٍ: أَرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَيَقُولُ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ " قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاللَّهِ إِنَّهَا لَعَظِيمَةٌ، مَا رَضِيَ بِهَا قَطُّ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "(1).

الرد على من فسر الإيمان بمجرد التصديق.

"... مناقشة متكلمة المرجئة في تفسيرهم الإيمان بالتصديق.

وأما الاستدلال الذي احتج به جمهور متكلمة المرجئة، فهو استدلال من جهة اللغة، فإنهم قالوا: الإيمان في اللغة هو التصديق، وعلى هذا قالوا: الإيمان الشرعي هو التصديق، ثم رتبوا على ذلك أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، وبنوا ذلك على مقدمتين: المقدمة الأولى: أن الإيمان في اللغة مرادف للتصديق. المقدمة الثانية: أنه إن كان في اللغة يراد به التصديق لزم أن يكون في الشرع كذلك ولا يتعداه إلى غيره.

وكلا المقدمتين مما ينازعون فيه، فإن الإيمان وإن استعمل في كلام العرب مرادفاً للتصديق في بعض السياقات، إلا أنه يقع في بعض السياقات بخلاف ذلك، وبينه وبين التصديق فرق من جهة اللفظ والمعنى ذكره جماعة من أهل السنة.

والجواب عن المقدمة الثانية من وجهين:

الوجه الأول: أنه إذا سلم أن الإيمان في اللغة مرادف للتصديق فإنه لا يلزم أن يكون في سائر موارد في الشريعة كذلك، ومعلوم أن المرجئة يسمون العمل إسلاماً، مع أن هذا مما لا توجهه اللغة، فما كان مسوغاً أو موجباً عندهم لتسمية العمل إسلاماً من جهة اللغة فيمكن طرده على مسمى الإيمان، فإذا قالوا: إن الصلاة لا تسمى في اللغة إيماناً، بل الصلاة في اللغة هي الدعاء، والإيمان هو التصديق، قيل لهم: وهل الصلاة والزكاة والحج والأعمال الظاهرة تسمى في اللغة إسلاماً؟

فالجواب: لا.

فيقال: فما الذي سوغ أن تسمى إسلاماً مع أن الإسلام اسم شرعي بالإجماع، كاسم الإيمان من جهة كونه اسماً شرعياً؟

¹ - ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، ت 456هـ حجة الوداع، تحقيق، أبو صهييب الكرمي، ص 352. (حم) وفي الجامع الصحيح قال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح.

فتبين أن هذا مما لا توجيه اللغة بذاتها، بل لا بد فيه من اعتبار تسمية الشارع، فلما كان الأمر كذلك تعلق اسم الإيمان بسائر الأعمال على هذا الوجه.

الوجه الثاني: أن يقال: إن ما استعمله متكلمة المرجئة -لما دخل في أصولهم الكلامية- من تجريد الماهيات إلى صور يفرضها الذهن لا حقيقة لها في الخارج، ومعنى هذا الكلام: أنهم إذا قالوا: الصلاة عمل، والعمل ليس داخلياً في مسمى الإيمان، إذ الإيمان هو التصديق.

فإننا نقول: ليس في الأعمال الشرعية الظاهرة كلها عمل ينفك عن التصديق، أما العمل الظاهر من حيث هو عمل ظاهر مجرد عن التصديق فإنه لا يسمى إيماناً بالإجماع، وهذا مما لا ينازع فيه أحد، والعمل الذي قصد السلف أنه إيمان هو العمل الشرعي، وهو العمل الذي أوجبه الشارع أو ندب إليه، كالصلاة والصيام والطواف بالبيت، إلى غير ذلك، وإلا فالأعمال العادية كلعب بني آدم وحركتهم لا تسمى إيماناً.

فالصلاة لا يمكن أن تكون شرعية وهي مجردة عن التصديق بالباطن، وهو التصديق بأن هذه الصلاة أوجبها الله، وأن الله أوجبها أربع ركعات مثلاً كصلاة الظهر، وأنه شرعها في هذا الوقت، وأنه يقال فيها كذا وأركانها كذا، ويتعبد بها إلى القبلة، وأن من شرطها الإخلاص والإيمان؛ فإن هذه وإن كانت أعمالاً ظاهرة كالركوع والسجود والقيام والقراءة إلى غير ذلك إلا أنها متعلقة بالتصديق، ولهذا لو أن أحداً صلى صلاة الظهر خمساً فإن عمله يسمى بدعة وضلالاً، ومن صلى صلاة وقال: إن الصلاة ما شرعها الله وإنما هي من أقوال الفقهاء، فهذا يكون كافراً، ولا تكون صلاته شرعية.

فتحقق من هذا أن سائر الأعمال الظاهرة الشرعية ليست هي مجرد أعمال ظاهرة منفكة عن التصديق.

وقد تظن بعض أئمة المرجئة من المتكلمين لهذا، فقالوا: العمل من حيث هو ليس إيماناً. فيقال: العمل من حيث هو عمل إذا لم يكن له وجود في الخارج لا يمكن أن يسمى إيماناً عند أحد من المسلمين، فهم يقولون: الصلاة من حيث هي صلاة -أي: كحقيقة مجردة وعمل ظاهر- ليست إيماناً.

فيقال: الحقيقة المجردة عن التصديق لا يلتفت إليها، وليس هناك أحد من المسلمين يصلي هذه الصلاة.

ولهذا لو أن الإنسان أثناء لعبه أو رياضته مثلاً أتى بحركة تشاكل حركة الركوع لم يُسمِّ ركعاً في الشرع وعمله هذا لا يسمى إيماناً، لكن لو أدى ذلك داخل ركن من أركان الصلاة فإنه يكون ركوعاً شرعياً ويسمى إيماناً، فتحقق من هذا أن الأصول الشرعية والعقلية واللغوية إذا سلمنا أنها تدل على أن الإيمان مرادف للتصديق، فإن كل ما تضمن التصديق وتحقق به فإنه يسمى إيماناً. ولهذا فإن الصلاة وإن كانت عملاً ظاهراً من جهة، إلا أن فيها تصديقات وفيها أعمال قلوب.

ويقال: إذا لم تكن الصلاة إيماناً امتنع أن تكون إسلاماً، وامتنع أن يكون الإيمان تصديقاً، وعليه فإن قولهم: إن العمل ليس داخلياً في مسمى الإيمان لأن الإيمان هو التصديق، يعتبر مناقضاً للعقل فضلاً عن مخالفته للشرع، فإنه مبني على مقدمة مفروضة يفرضها الذهن، وهي: أن العمل الظاهر الذي سماه السلف إيماناً يمكن تجريده عن التصديق، وليس الأمر كذلك.

فإن قالوا: إن التصديق الذي في الصلاة يسمى إيماناً، والحركة الظاهرة لا تسمى إيماناً؟

قيل: هذا فرض يفرضه الذهن ولا وجود له في الخارج، فإنه إذا تجرد هذا العمل عن التصديق لم يسمَّ صلاة ولا ركوعاً ولا سجوداً، ولا يوجد في الخارج إلا حركة يقصد بها التعبد أو حركة لا يقصد بها التعبد، أما وجود حركة في الخارج يقال إن تصديقها إيمان، وأما هي من حيث هي فليست إيماناً، فهذا، فإن من حنى ظهره إما أن يكون راعياً لله سبحانه وتعالى في صلاة من الصلوات، وإما أن يكون فعل ذلك لغرض وموجب احتاجه من أجله.

ومعلوم أن الأول يسمى عمله إيماناً، والثاني لا يسمى إيماناً - وتابع كلامه قائلاً.. - ومن أخص ما يستدل به السلف على كون العمل داخلياً في مسمى الإيمان، بل إن قلت: إنه أشرف حديث استدل به السلف على هذه المسألة من السنة، فإن الأمر كذلك؛ حديث ابن عباس رضي الله عنهما في حديث وفد عبد القيس فإنه ﷺ قال: (أمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمساً من المغنم ..) إلى آخر الحديث، وقد رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مفرداً، واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فهذا الحديث المعروف عند أهل العلم بحديث وفد عبد القيس هو حديث صريح في أن العمل داخل في مسمى الإيمان، بل صريح في أن العمل أصل في الإيمان كما جعله النبي ﷺ أصلاً في الإسلام، كما في حديث ابن عمر المتفق عليه: (بني الإسلام على خمس) وذكر المباني الأربعة بعد الشهادتين، وكذلك لما ذكر الإسلام في حديث جبريل المشهور الذي رواه مسلم، وهنا لما ذكر الإيمان ذكر الشهادتين وذكر بعد ذلك العمل، ففسر الإيمان في حديث عبد القيس بما فسر به الإسلام في حديث ابن عمر وأمثاله.

وأما فك هذا عن هذا في حال واحد، فهذا من فرضيات الذهن التي لا وجود لها في الخارج قول السلف رحمهم الله إن الإيمان قول وعمل، هو الذي توجبه اللغة، حتى ولو فسر الإيمان بالتصديق، فإن اللغة توجب ذلك من هذا الوجه، فلا يتحقق التصديق الشرعي إلا بالعلم. وكذلك يوجبه العقل، فإن ما صح تسميته إسلاماً من الأعمال صح تسميته إيماناً.

وقد غلط بعض المرجئة فظنوا أن السلف إنما سمو الأعمال إسلاماً لكون المنافق يأتي بها بخلاف الإيمان، ولا شك أن المنافق يسمى مسلماً ولا يسمى مؤمناً، ولكن ليس هذا هو الموجب للتسمية بالإسلام ومنع الإيمان، وإنما ذلك من جهة أن الإيمان أصله في القلب وأنه أخص بالأعمال الباطنة، وأن الإسلام أخص بالأعمال الظاهرة. فهذا هو محصل ما ذهب إليه أئمة السلف رحمهم الله، وتبين من هذا أن قولهم موافق للشرع وللعقل وللغة.⁽¹⁾

بين مذهب السلف وبين مذهب مرجئة الفقهاء.

الناظر فيما ذهب إليه مرجئة الفقهاء، يظن لأول وهلة أن الفرق لفظي وحسب، وهذا يبدو لي تسرعاً في الحكم، فالتزام فهم الصحابة الكرام، وإتباع منهج السلف الصالح أحرى، بالالتزام وأجدر بالعض عليه بالنواجذ، كما هي وصية نبينا رسول الله محمد ﷺ (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)⁽²⁾، وما وسع الأولين المرضيين يسعنا، ففيه الهدى، وفيه السلامة، وفيه الرشد والكفاية.

".. الفرق بين مذهب السلف الصالح - رضوان الله عليهم - وبين مذهب مرجئة الفقهاء من عدة جوانب، منها:

أولاً: أن مرجئة الفقهاء أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وهذا في حد ذاته بدعة، وحتى لو كان إخراجهم للعمل عن مسمى الإيمان هو مجرد إخراج لفظي، فإن هذا في حد ذاته بدعة؛ لأن الإيمان مصطلح شرعي، والمصطلح الشرعي هذا جاءت به النصوص، فكونهم خالفوا النصوص ينطبق عليهم قول النبي ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)⁽³⁾.

¹ - الغفيس، يوسف بن محمد علي الغفيس، شرح الطحاوية، 9-10-11/19.

² - أبو داود، سنن أبي داود، ت عبد الحميد، باب لزوم السنة، 200/4، السنة للمروزي، باب ذكر الوجه الثاني من السنن، 27/1، شرح معاني الآثار للطحاوي، باب المسح على الخفين 1/80 والنميري، أبو عبد الله أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميري الحراني الحنبلي، المتوفى: 695هـ، صفة الفتوى، تحقيق الألباني، ص 54، قال الألباني صحيح، ورواه أحمد والبخاري وغيرهم، انتهى تعليق المحقق.

³ - البخاري، صحيح البخاري، باب النجش، 69/3. ورواه مسلم، صحيح مسلم، باب نقض الأحكام الباطلة، 1343/3.

ثانياً: أن مرجئة الفقهاء يقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولهذا سيأتي أن أبا جعفر الطحاوي رحمه الله يقول: (والناس في أصله سواء)، يقول: الإيمان واحد؛ لأنه يرى أن حقيقة الإيمان هي التصديق، وأن الإيمان واحد والناس في أصله سواء، وسيأتي التعليق على هذه العبارة وبيان التناقض فيها إن شاء الله.

فأقول: إن السلف الصالح كانوا يقولون: إن الإيمان يزيد وينقص، بينما كان مرجئة الفقهاء لا يقولون: إن الإيمان يزيد وينقص.

ثالثاً: أن بعض مرجئة الفقهاء كان يقول: إيماني كإيمان جبرائيل وميكائيل، ويقصد بإيمانه: التصديق المجرد، فإن التصديق المجرد عندهم لا يزيد ولا ينقص، فتصديقه مثل تصديق جبرائيل، هكذا كان يقول.

أما السلف الصالح رضوان الله عليهم فإن أحدهم لا يقول: إن إيماني كإيمان جبرائيل وميكائيل. فالفرق كبير بين الطائفتين في حقيقة الإيمان أصلاً، فهؤلاء يفهمونه على طريقة، وهؤلاء يفهمونه على طريقة أخرى.⁽¹⁾

وهنا لا بد لي من إبداء ملاحظة أخرى في الفرق بين مذهب السلف ومرجئة الفقهاء، وهي ما يأتي:

إنني أعتقد اعتقاداً جازماً لا يتطرق إليه شك في الحقيقة الساطعة والقاضية بأنه لا انفكاك بين الإيمان والعمل، وبانفكاكهما، لا يكون الإيمان إيماناً، ولا يسمى العمل إيماناً، وأن الفارق بين الفهمين واضح جلي، وأنه يتعدى مجرد اللفظ والتعبير، إلى أن يصل إلى الآثار الناجمة كنتيجة لازمة لكلا الفهمين، وشتان شتان، بين آثار الفهمين عند الفريقين، فالفريق الذي يلتزم فهم السلف الصالح (بصفاء اعتقاد، وصدق إتباع، وهمة) - من التابعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان - غالباً ما يكون الحراك الدؤوب والعمل الجاد صبغتهم وطابعهم، والفريق الذي تأثر بعلم الكلام، وشيبت فهمه به - على الرغم مما كانوا عليه من إخلاص واجتهاد وتبذل - إلا أن التنظير والجدل كان لهما الحظ الأوفر في ما غلب عليهم من صبغة وطابع.

ولا أدل على ذلك من ما يتجلى في سير الأعيان من علماء التابعين وتابعي التابعين، ومن تبعهم بإحسان، من العلماء العاملين كالإمام ابن المبارك، والإمام ابن تيمية، والإمام ابن القيم وتلامذته، والإمام محمد ابن عبد الوهاب وتلامذته، وباقي العلماء العاملين على نهج السلف الصالح، وما كانت هذه الصبغة لتكون واضحةً بآثارها في سيرهم، لولا وجود الباعث الحقيقي على وجودها، ألا وهو صورة الإيمان في القلوب، ومفهومه في الأذهان، فالصورة والمفهوم بدءاً

¹-السلمي، شرح الطحاوية، 6/4.

ونهاية لمعنى الإيمان؛ هما اللذين يُحددان، درجة حرارة الإيمان، ومستوى الدافعية والتضحية من أجل ما يؤمن به المؤمن، والله سبحانه وتعالى أعلم.

واليك أخي المؤمن دليلاً آخر، وهو في المقارنة بين موقفي الخليفين الراشدين (الشيخين) أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - من قتال أهل الردة، فأبو بكر - رضي الله عنه - كفرهم وقرر قتالهم، وعمر - رضي الله عنه - توقف بناءً على شبهة دليل، وهي قولهم لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحاجج عن رأيه حتى بان له الدليل، فتمعن - أخي المؤمن - في الحادثة لتفهم أن وضوح الصورة والمفهوم هما المحرك الحقيقي للهمة والعمل، وإلا لبقى الأمر يدور في فلك عرض الحجة والرد عليها، والرد على الرد، إلى ما لا نهاية له من الجدل والنقاش.

".. ولم يشك أحد من الصحابة في كفر من ذكرنا، ووجوب قتالهم، إلا مانع الزكاة ولما عزم أبو بكر رضي الله عنه على قتالهم قيل له: كيف نقاتلهم وقد قال رسول ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها)"⁽¹⁾.

"... قال أبو بكر: فإن الزكاة من حقها، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه.

ثم زالت الشبهة عن الصحابة رضي الله عنهم، وعرفوا وجوب قتالهم، فقاتلوهم ونصرهم الله عليهم. فقتلوا من قتلوا منهم، وسبوا نساءهم وعيالهم"⁽²⁾.

".. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها) فقال أبو بكر: فإن الزكاة من حقها. والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق. قال عمر: والله لرجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعاً في قتال أهل الردة".

وذكر يعقوب بن سعيد بن عبيد، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن جماعة قالوا: " كان أبو بكر أمير الشاكرين: الذين ثبتوا على دينهم وأمير الصابرين: الذين صبروا على جهاد عدوهم -

¹ - البخاري، صحيح البخاري، باب وجوب الزكاة 105/2، مسلم، صحيح مسلم، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، 51/1.

² - ابن عبد الوهاب، شيخ الإسلام الإمام المجدد، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، المتوفى: 1206هـ، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لمحمد بن عبد الوهاب، ص 41-42.

وهم أهل الردة - وذلك: أن العرب افتترقت في ردتها. فقالت فرقة: لو كان نبيا ما مات وقالت فرقة: انقضت النبوة بموته. فلا نطيع أحدا بعده. وفي ذلك يقول قائلهم: أطعنا رسول الله ما كان بيننا ... فيا لعباد الله , ما لأبي بكر؟ أيورثها بkra إذا مات بعده ... فتلك لعمر الله قاصمة الظهر وقالت فرقة: نؤمن بالله. وقال بعضهم: نؤمن بالله ونشهد أن محمدا رسول الله، ولكن لا نعطيكم أموالنا.

فجادل الصحابة أبا بكر رضي الله عنهم، وقالوا: احبس جيش أسامة، فيكون أمانا بالمدينة، وارفق بالعرب حتى يتفرج هذا الأمر. فلو أن طائفة رجال من المهاجرين، فقالوا: أنه قد ارتد عامة من وراءنا عن الإسلام. وليس في أنفسهم أن يؤدوا إليكم ما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن تجعلوا لنا جعلا كفييناكم. فدخل الصحابة على أبي بكر، فعرضوا عليه ذلك. وقالوا: نرى أن تطعم الأقرع وعيينة طعمة يرضيان بها، ويكفيانك من وراءها، حتى يرجع إلينا أسامة وجيشه، ويشتد أمرك، فإننا اليوم قليل في كثير. فقال أبو بكر: فهل ترون غير ذلك؟ قالوا: لا.

قال: قد علمتم أن من عهد نبيكم إليكم: المشورة فيما لم يمض فيه أمر من نبيكم، ولا نزل به الكتاب عليكم. وأنا رجل منكم، تنتظرون فيما أشير به عليكم. وإن الله لن يجمعكم على ضلالة. فتجتمعون على الرشد في ذلك.

فأما أنا: فأرى أن ننبد إلى عدونا. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. وألا ترشون على الإسلام، فنجاهد عدوه كما جاهدكم. والله لو منعوني عقالا، لرأيت أن أجاهدكم عليه حتى آخذه. وأما قدوم عيينة وأصحابه إليكم: فهذا أمر لم يرغب عنه عيينة، هو راضيه، ثم جاءوا له. ولو رأوا ذباب السيف، لعادوا إلى ما خرجوا منه، أو أفناهم السيف، فإلى النار. قتلناهم على حق منعه وكفر اتبعوه. فبان للناس أمرهم، فقالوا له: أنت أفضلنا رأيا، ورأينا لرأيك تبع.

فأمر أبو بكر رضي الله عنه الناس بالتجهيز، وأجمع على المسير بنفسه⁽¹⁾.

ويظهر مما مرّ آنفاً، أن جعل العمل شرطاً في الإيمان عند مرجئة الفقهاء، وليس ركن من الإيمان وبنيتة، ينعكس سلباً على آثار الإيمان، وذلك لما ورد من بيان لا سبيل لعاقل أن يرده، أو لا يسلم به، إلا أن يكون جدلياً مكابراً، وأختم في النهاية بالمقولة الذهبية للشيخ سفر الحوالي، القاطعة للجدل، إذ يقول: "إن الإيمان عند السلف حقيقة شرعية في غاية الوضوح، فهي ترادف وتساوي كلمة "الدين" حتى إن كثيراً منهم كان نص عبارته: "الدين قول وعمل"، وليس في معنى الدين خفاء يحتاج معه أي مسلم إلى تكلفات منطقية وسفسطة كلامية، بل لم

¹ - ابن عبد الوهاب (م. ن)، ص 254-255.

يكن هنالك حاجة إلى تعريفه أو بيان معناه أصلاً، وكيف يعرفون أمراً يعيشونه ويعملونه ويقرؤون حقائقه كل حين⁽¹⁾.

أجل... ، إن الإيمان هو الدين، وإن الدين قولٌ وعمل، وإن الإرجاء هو التسيّب والتتصل من حمل الأمانة، والقيام بأعباء التكليف الشرعية، وإن هذا الفكر الإرجائي مرضٌ عضال، ونسفٌ لبنية الإيمان من الأسّ والأركان، وتعليقاً مني على العبارة الذهبية السابقة للشيخ سفر الحوالي أقول:

يحضرني عند التمعن في عبارتك، المثلّ العربي المشهور، الذي يضرب لمن يأتي بالقول الفصل في مواضع النزاع، " قطعت جهيزة قول كل خطيب"⁽²⁾.

المطلب الثالث: موقع الإرجاء من نواقض الإيمان؟

بعد أن عرّفنا الإرجاء ومنتشأه ورجاله وبيننا أسباب انتشاره، لا بد لنا أن نعرف حكم الإرجاء، وهل الاعتقاد بالإرجاء من نواقض الإيمان؟

المسألة الأولى: حكم الإرجاء بقسميه.

لقد تبين لي من خلال البحث أن الإرجاء قسمان، هما:

- 1- الإرجاء المطلق: وهو إرجاء المرجئة، القائلون بأن الإيمان هو مجرد المعرفة أو التصديق ، وأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، لا ينفع مع الكفر طاعة.
- 2- إرجاء الفقهاء، الذين يقصرون الإيمان على التصديق والاعتقاد، ولكنهم يعتبرون العمل شرط كمال، وهم مرجئة الفقهاء.

حكم الإرجاء المطلق.

لقد حكم العلماء على الإرجاء بأنه بدعة وضلالة، بنوعيه، غير أنهم ميّزوا بين البدعة المخرجة لصاحبها من دائرة الهدى ودين الحق، وبين البدعة التي لا تصل في ضلالتها إلى

¹ - الحوالي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، ص: 148.

² - منهاج جامعة المدينة العالمية، البلاغة 1- البيان والبديع- جامعة المدينة، ص: 142.

إخراج صاحبها من دائرة الهدى ودين الحق، بل يبقى ضمن الدائرة آثماً ببدعته، لقول الرسول الأكرم محمد ﷺ: (..... وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ...⁽¹⁾)، فالبدعة أياً كانت فهي مقتضية للضلال والإثم، وعليه فلا يُعفي من الإثم من وقع في البدعة، أيَّة بدعة كانت، وتتناسب البدعة في حجمها عِظماً وبساطة في إثمها بالنسبة لشخص فاعلها، فهل هو رأس فيها ورافع لرايتها وداع إليها ومُحاجج عنها، أم هو فاعل لها متأول، أو دون دراية منه أو فهم، أم الأمر انسياق منه وتقليد للغير بفعلها، فالحكم يختلف هنا من فردٍ لآخر في مستوى الحكم عليه، هذا بالنسبة للفاعل للبدعة، وأما بالنسبة لذات البدعة فحكمها الرد لقول النبي ﷺ (الْحَدِيثُ فِي النَّارِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)⁽²⁾ وجاء في صحيح مسلم (مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)⁽³⁾.

حكم الإمام أبي حنيفة في الجهم بن صفوان رأس المرجئة.

"... يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحِمَانِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، سَمِعَ أَبَا حَنِيفَةَ، يَقُولُ: «جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ الْخُرَّاسَانِيُّ كَافِرٌ»⁽⁴⁾، فما هو الإمام أبو حنيفة يكفره، وقد قُتِلَ وأخذ جزائه كما سبق ومر معنا في سيرته - سيئة الذكر - ، فكل من شاكله في المُعتقِد والحال جري عليه نفس الحكم ولا بد.

حكم الإمام ابن خزيمة - رحمه الله تعالى - فيمن أنكر الاستواء على العرش.

".... سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ في كتاب (التاريخ) الذي جمعه لأهل نيسابور، وفي كتابه (معرفة الحديث) اللذين جمعهما ولم يسبق إلى مثلهما، يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته، فهو كافر بربه، حلال الدم، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل حتى لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة

¹ - المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: 656هـ)، مختصر

صحيح مسلم للمنذري، ت الألباني، باب قراءة القرآن على المنبر في الخطبة، 1 / 113.

² - البخاري، صحيح البخاري، باب النجش، ومن قال: " لا يجوز ذلك البيع "، 3 / 69.

³ - مسلم، صحيح مسلم، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثاتها، 3 / 1343.

⁴ - الذهبي، مناقب الإمام أبي حنيفة، ص 44.

جيفته، وكان ماله فيئاً لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر، كما قال النبي ﷺ: (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم)⁽¹⁾ والحديث رواه البخاري⁽²⁾.

حكم الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - فيمن أنكر الصفات.

"... ما وقع في زمن التابعين وذلك قصة الجعد بن درهم، وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة. فلما جحد شيئاً من صفات الله - مع كونها مقالة خفية عند الأكثر - ضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى، فقال: يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً. ثم نزل فذبحه، ولم يعلم أن أحداً من العلماء أنكر ذلك عليه. بل ذكر ابن القيم إجماعهم على استحسانه، فقال: شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قران⁽³⁾.

وبما أن المرجئة ينكرون علو الله فوق عرشه - بقولهم الله في كل مكان - وينكرون الصفات بنفيتها، ويعطلون الأسماء الحسنى لله - تعالى - إضافةً إلى كبائر مُحدثاتهم وبدعم في الإيمان، فهل القائلين بالإرجاء المطلق من أهل الإرجاء يبقون في دائرة الهدى ودين الحق؟! والجواب كلا لن تسعهم إلا دائرة الزيغ عن جادة الحق، ومهاوي المروق والضلالة.

ولو تتبعنا أقوال العلماء في ذم المرجئة، وفضح شنيع فعالهم، وبيان عوار معتقداتهم، لضاق به هذا المقام، ولكن حسبنا هذه الشواهد ممن هم فحول الرجال في مقامات الفقه والحديث الشريف، والدعوة والجهاد في سبيل الله، ففيهم الكفاية، رغم أن المسألة لا تحتاج إلى المزيد من البراهين، ولكن الأمر استثناس منا بكلام الكبار من العلماء، والتأكيد على أن كل من سيأتي من بعدهم هم عيالٌ عليهم، وعفاةٌ على كرائم موائدهم، وعظيم جهودهم وجهادهم.

حكم (إرجاء الفقهاء).

بعد أن تبين الحكم في الإرجاء المطلق، وأنه كفر ومفارقة لجادة الحق والهدى، لا بد لنا من

¹ - العقل، ناصر العقل، شرح عقيدة السلف للصابوني 4/4، بترقيم الشاملة آليا.

² - البخاري، صحيح البخاري، باب لا يرث المؤمن الكافر، 156/8.

³ - ابن عبد الوهاب، مختصر سيرة الرسول ﷺ، (ص: 50).

بيان الحكم في بدعة ما يسمى (إرجاء الفقهاء) والتي ثبت لنا بالبحث العلمي أنها بدعة، ومجرد البدعة ضلالة بالنص النبوي، ولكن هل هذه البدعة مُخرجةٌ لصاحبها من دائرة الإسلام؟ والجواب : كلا فهم يُعظّمون النص الشرعي، وهم أهل علمٍ ونسكٍ وعبادة، وإن وافقوا المرجئة في تعريف الإيمان بأنه (التصديق) فقد خالفهم بأن العمل لا بد منه، فهو شرط تمام وكمال، وإن أخرجوه من إطار تعريف الإيمان، وذلك لاعتمادهم التعريف اللغوي كما مر معنا في موضوع مفهوم الإيمان عند المتكلمين، فتبقى المسألة في إطار بدع الأقوال والأفعال، وليس من بدع العقائد، التي تُكفّر صاحبها، وتخرجه من دائرة الهدى إلى مهوي الضلال،.. وأخيراً فالاختلاف في تعريف الإيمان، لا يعودوا أن يكون خلافاً لفظياً، سورياً على رأي الغزالي، والذهبي، وابن أبي العز، ومن وافقهم ، لا يترتب عليه فساد اعتقاد، وهو خلاف حقيقي على رأي الألويسي، والمبارك فوري، والألباني، ومن وافقهم⁽¹⁾، وهنا أكرر ما قلته سابقاً في ذات الموضوع إيماناً مني به، وتأكيداً عليه أقول: أراني أميلُ إلى رأي شيخ الإسلام - أحمد ابن تيمية - فيما ذهب إليه من رأي معتدل، والمتمثل في " أن الخلاف لفظي في بعض من المسائل المتنازع فيها، حقيقي في بعضها. وفي ذلك يقول: " ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال، لا من بدع العقائد، فإن كثيراً من النزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً لخطأ عظيم"⁽²⁾.

أرى في هذا النوع من الإرجاء أي (إرجاء الفقهاء) وهو الإرجاء الذي وُسِمَ به الإمام أبي حنيفة النعمان - رحمه الله تعالى - هو الإرجاء الذي لا يخرج صاحبه من دائرة أهل السنة والجماعة، والطائفة المنصورة بإذن - الله تعالى - غير أن الحق - وهو مفهوم السلف للإيمان - أحق أن يُتَّبَع، فهو أولى وأحرى بالاتباع، وأقوم وأحكم وأسلم للاتباع.

المسألة الثانية: هل القول بالإرجاء ينقض الإيمان؟

إذا أردنا أن نعرف أن الإرجاء ينقض الإيمان أم لا، لا بد لنا في البداية أن نقفَ بدقة على نواقض الإيمان، والتي هي أولى الأولويات بالنسبة للمؤمن فما هي نواقض الإيمان؟

¹ - انظر، الخميس، محمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، 455-456.

² - ابن تيمية، الإيمان، ص: 308.

نواقض الإيمان.

فكلمة نواقض كلمة جمع، ومفردها ناقض، هي من الفعل نَقَضَ، ومصدرها نَقَضٌ، وتعني في اللغة العربية الإفساد أو النكث أو الغدر، وهي جمعٌ ومفردها ناقض، وتحتل العديد من المعاني، والذي يحدد معناها، هو موقعها من الجملة في سياق الكلام، وقد قال أهل اللغة في معانيها ما يأتي:

" والنقض: إفساد ما أبرمت من حبل وغيره "(1)، " النَّقْضُ: نَقْضُ الْبِنَاءِ وَالْحَبْلِ وَالْعَهْدِ "(2)،

" (نَقَضَ) الْبِنَاءَ وَالْحَبْلَ وَالْعَهْدَ مِنْ بَابِ نَصَرَ "(3)، " (نقض) الشَّيْءِ نقضا أفسده بعد إحكامه يُقَالُ نقض البناء هدمه ونقض الحبل أو الغزل حل طاقاته وفي التنزيل العزيز { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا } [النحل: 16 الآية : 92] ، ونقض اليمين أو العهد نكثه وفي التنزيل العزيز { وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا } [النحل: 16 الآية 91]، وقوله سُبْحَانَكَ {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} [البقرة 2 الآية 27]، ونقض ما أبرمه فلان أبطله ووتره أخذ ثأره والكمأة وجه الأرض كسرتة وشقته "(4)، وبهذا يتضح لنا معنى نقض الإيمان، وهو إفساده وهدم كيانه وقوامه، بارتكاب مخالفة تُعَدُّ وتحسب من نواقضه، ويثبت أن الإيمان كل لا يتجزأ، وأصلٌ تتدرج تحته فروع، فنقض فرع يندرج تحت الأصل ينقض الأصل، ولهذا فقد حظيت مسألة نواقض الإيمان بالاهتمام الأكبر من التأصيل والبيان عند جهاذة العلماء، وشيوخ الإسلام، حيث فصلوا نواقض الإيمان، بل وقسموها إلى نواقض اعتقادية، ونواقض قولية، ونواقض عملية، وما ذلك إلا لعظم مكانتها وخطورة ما يبني عليها، فهي الإيمان أو الكفر والمروق من دين الله - عز وجل - وهي الجنة مصير وخلود فيها، أو النار مأل لا خروج منها، وهذا ما يقتضي منا التأكيد

¹ - العوتبي، أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي (العُماني الإباضي) نسبة إلى عَوْتَبٍ وهي منطقة في صُحار كانت تسمى في القديم: عوتب الخيام (المتوفى: 511 هـ) الإبانة في اللغة العربية ، 4/ 432 ، المحقق: د. عبد الكريم خليفة، د. نصرت عبد الرحمن، د. صلاح جرار، د. محمد حسن عواد، د. جاسر أبو صافية.

² - الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393 هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (3/ 1110) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

³ - الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666 هـ)، مختار الصحاح (ص: 318) المحقق: يوسف الشيخ محمد.

⁴ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) المعجم الوسيط (2/ 947).

على كلية الإيمان، وتلازم فروعه مع اصوله، لأنه لا قوام للفرع إلا بقيام أصله، وغياب الأصل بإبطالٍ أو نقض يقتضي منه إبطال الفرع ولا بد، وهنا يتجلى التلازم بين الفرع والأصل.

قال ابن تيمية: " وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعِلْمَ أَصْلُ الْعَمَلِ وَصِحَّةُ الْأُصُولِ تُوجِبُ صِحَّةَ الْفُرُوعِ وَالرَّجُلُ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ فَسَادُ الْعَمَلِ إِلَّا لِشَيْئَيْنِ: إِمَّا الْحَاجَةُ؛ وَإِمَّا الْجَهْلُ فَأَمَّا الْعَالِمُ بِفُجْحِ الشَّيْءِ الْغَنِيِّ عَنْهُ فَلَا يَفْعَلُهُ اللَّهُمَّ إِلَّا مَنْ غَلَبَ هَوَاهُ عَقْلُهُ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الْمَعَاصِي فَذَلِكَ لَوْ أَنَّ آخَرَ وَضُرِبَ ثَانٍ"⁽¹⁾، وقد ذكر العلماء نواقض الإسلام وقد لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في عشر نواقض للإسلام ودلل عليها بالنصوص من الكتاب والسنة، وهنا أقتبسها بتصريف خشية الإطالة يقول الشيخ: " اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

الأول: من نواقض الإسلام: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [النساء: 4، الآيات 48 و116].

الثاني: من نواقض الإسلام: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً.

الثالث: من نواقض الإسلام: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من نواقض الإسلام: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

الخامس: من نواقض الإسلام: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعاً والدليل - قوله تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } [محمد: 47 الآية: 9].

السادس: من نواقض الإسلام: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ، أو ثواب الله، أو عقابه، كفر - والدليل - قوله تعالى: { قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ } (التوبة: 9 الآية: 66).

وقال الشيخ في كتاب التوحيد، باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ، وقول الله تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ } (التوبة: 9 الآية: 65).

¹ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، باب أهل الإثبات من المتكلمين أكثر اتفاقاً...، (4/ 53).

السابع: من نواقض الإسلام: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر. والدليل قوله تعالى: { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } [البقرة: 2 الآية: 102].

الثامن: من نواقض الإسلام: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين - والدليل - قوله تعالى: { وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [المائدة: 5 الآية: 51].

التاسع: من نواقض الإسلام: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر: من نواقض الإسلام: الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به - والدليل - قوله تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ } (السجدة: 32 الآية: 22).

وهذه النواقض التي ذكرها الشيخ هي مسألة التكفير لخصها الشيخ من كلام العلماء، ثم يقول الشيخ بعد أن أورد النواقض العشرة:

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره. وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً. فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منها على نفسه⁽¹⁾.

والناقض الذي سأنتوقف عنده من هذه النواقض، هو ناقض (كفر الأعراض) " كفر الإعراض بأن يعرض بسمعه وقلبه عما جاء به الرسول ﷺ ؛ فلا يصدق ذلك ولا يكذبه، ولا يوالي الرسول ﷺ ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به، ويترك الحق لا يتعلمه ولا يعمل به، ويهرب من الأماكن التي يذكر فيها الحق؛ فهو كافر كفر إعراض"⁽²⁾.

أجل.. نتوقف عند هذه النقيضة، لكونها هي النقيضة الأعظم عند أهل الإرجاء، بعد نقيضتهم في تعطيلهم للأسماء الحسنى، ونفيهم للصفات العليا لله سبحانه وتعالى.

¹ - نقل بتصرف، العبود، صالح بن عبد الله العبود، عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، 663/2-677.

² - الأثري، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح، ص 247.

فإخراج العمل عند أهل الإرجاء من نطاق (الإيمان) يجعل العمل في - مفهومهم المغلوط -
أمرًا هامشيًا، غاب أم حضر، وُجِدَ أم عُدِمَ، كان أم لم يكن، وعليه لا يكون التزام لأمر الله -
تعالى- ولا اجتناب لنواهيه- عز وجل- مما يؤدي إلى كفر الإعراض، الذي مُعَوِّلُهُ وركنه الركين
هو تلك القاعدة المشهورة عندهم (لا يضر مع الإيمان ذنب) فأبي ذنب كان هو نتيجة إعراض
عن الأمر، أو تجاوز الأمر، فلا تضر الذنوب فاعليها و(الإيمان) في مفهومهم تامٌ وسليم، بل
ويضاهي إيمان ملائكة الرحمن الرحيم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، مع انعدام العمل،
وتحقق كفر الإعراض منهم!!

وقد نص العلماء على التكفير بالعمل، كتكفير تارك الصلاة ومانع الزكاة، وتارك الحج مع
الاستطاعة، أورد منها ما تقوم به الحجة من تنقيص:

قال الباقلاني: "... ثم قرر الاعتقادُ تكفير تارك الصلاة، وأن من تركها من غير عذر حتى
يخرج وقت الأخرى فهو كافر"⁽¹⁾.

قال ابن تيمية: "... أَمَا تَارَكَ الصَّلَاةَ. فَهَذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ مُعْتَقِدًا لِوُجُوبِهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِالنَّصِّ
وَالِإِجْمَاعِ، لَكِنْ إِذَا أَسْلَمَ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ، أَوْ وَجُوبَ بَعْضِ أَرْكَانِهَا: مِثْلُ أَنْ
يُصَلِّيَ بِلَا وُضُوءٍ، فَلَا يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْوُضُوءَ أَوْ يُصَلِّيَ مَعَ الْجَنَابَةِ فَلَا يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
أَوْجَبَ عَلَيْهِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، فَهَذَا لَيْسَ بِكَافِرٍ، إِذَا لَمْ يَعْلَمْ"⁽²⁾.

وقال ابن تيمية أيضاً "... قَالَ اللهُ تَعَالَى وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 2 الآية 75]
قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ فَإِذَا انْقَطَعَ الرَّأْسُ بَارَ الْجَسَدُ
أَلَا لَا إِيْمَانُ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ فَالصَّبْرُ عَلَى آدَاءِ الْوَأَجِبَاتِ وَاجِبٌ وَلِهَذَا قَرَنَهُ بِالصَّلَاةِ فِي أَكْثَرِ مِنْ
خَمْسِينَ مَوْضِعًا فَمَنْ كَانَ لَا يُصَلِّيَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ رِجَالَهُمْ وَنِسَائِهِمْ فَإِنَّهُ يُؤْمَرُ فَإِنْ امْتَنَعَ عُوِّبَ
بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَكْثَرَهُمْ يَوْجِبُونَ قَتْلَ تَارِكِ الصَّلَاةِ وَهَلْ يَقْتُلُ كَافِرًا مُرْتَدًا أَوْ فَاسِقًا عَلَى قَوْلَيْنِ
فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ وَالْمُنْقُولُ عَنْ أَكْثَرِ السَّلَفِ يَقْتَضِي كُفْرَهُ وَهَذَا مَعَ الْإِقْرَارِ بِالْوُجُوبِ فَأَمَّا مَعَ
جُودِ الْوُجُوبِ فَهُوَ كَافِرٌ بِالِاتِّفَاقِ"⁽³⁾.

¹ - الباقلاني، أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن خُداداد الكرجي، الباقلاني، البغدادي (المتوفى: 489هـ)، الاعتقاد القادري (ص: 250)، كتبه وجمع الناس عليه: الخليفة القادر بالله (المتوفى: 22هـ) دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف .

² - ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، 2 / 18.

³ - ابن تيمية، جامع الرسائل لابن تيمية، تحقيق: رشاد سالم، 1 / 81.

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله تعالى - "....الْحَدِيثُ يُدُلُّ عَلَى أَنَّ تَرْكَ الصَّلَاةِ مِنْ مُوجِبَاتِ الْكُفْرِ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُفْرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُنْكَرًا لَوْجُوبِهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ أَوْ لَمْ يَخَالِطِ الْمُسْلِمِينَ مُدَّةً يَبْلُغُهُ فِيهَا وَجُوبُ الصَّلَاةِ، وَإِنْ كَانَ تَرْكُهُ لَهَا تَكَاسُلًا مَعَ اعْتِقَادِهِ لَوْجُوبِهَا كَمَا هُوَ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، فَذَهَبَتِ الْعِزَّةُ وَالْجَمَاهِيرُ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ، مِنْهُمْ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ إِلَى أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بَلْ يَفْسُقُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ حَدًّا كَالرَّزَانِيِّ الْمُحْصَنِ، وَلَكِنَّهُ يُقْتَلُ بِالسَّيْفِ"⁽¹⁾.

هذه أقوال الأئمة الكبار في حكم تارك الصلاة، وأما الزكاة فموقف أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - خليفة رسول الله ﷺ وقاتله مانعيها من الشهرة بمكان، ولا تحتاج إلى تدليل وبرهنة عليها.

جماع القول في حكم الإرجاء.

الإرجاء المطلق المؤدي بصاحبه إلى تعطيل الأسماء الحسنى لله - تعالى - ونفي الصفات العليا لله - سبحانه وتعالى - والقول بخلق القرآن الكريم، وعدم القيام بالواجبات استخفافاً بها، وعدم الانتهاء عن المناهي الشرعية والمنكرات استهانةً بعقابها، والاعتقاد بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب ، وأن المرجئ بمستوى إيمان جبريل وميكائيل وإسرافيل، مع توفر كفر الإعراض وعدم الطاعة والانقياد لأمر الله - تعالى - لا شك في نقضه لإيمانه، وكفره ومروقه، من دين الله - تعالى - والله أعلم.

المطلب الرابع: دور الاستشراق والعلمانية والفكر الصوفي في نشر الفكر الإرجائي.

المسألة الأولى: دور الاستشراق.

قبل أن نلقي الضوء على دور الاستشراق في نشر الفكر الإرجائي، لا بد لنا بدءاً من أن نقف على معنى الاستشراق، فما معنى الاستشراق؟
إن قراءتي للاستشراق ودوره ، تجعلني أعرفه باختصار: بأنه قراءة شاملة للشرق الإسلامي من قبيل دهاة علماء الغرب، ورسم الخطط لسبيل السيطرة عليه، " الاستشراق Orientalism

¹ - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، نيل الأوطار، باب حجة من كفر تارك الصلاة، 1/ 361. تحقيق: عصام الدين الصبابي.

تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما⁽¹⁾، "... والاستشراق من تعريفه الخاص السابق، موقف عقائدي وفكري معاد للإسلام يقفه الكافرون من هذا الدين بوجه عام ، وبعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى بوجه خاص. وهذا الموقف- فى جوهره النابع من العداوة فى العقيدة- ليس بجديد وإنما هو امتداد لموقف أسلافهم الكافرين بالإسلام من المشركين وأهل الكتاب- منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم: وهو موقف الإنكار للرسالة، والتكذيب للرسول ﷺ، وإثارة الشبهات حول الإسلام وحول القرآن والرسول ﷺ وسنته المطهرة بوجه خاص، لتشكيك المسلمين في دينهم، ومحاولة ردهم عنه"⁽²⁾.

ومن خلال هذه التعاريف للاستشراق ، نستطيع أن نتصور دوره الخطير في هجومه على الأمة الإسلامية ، وتوجيهه لجهوده لضرب الأمة الإسلامية في أسس كينونتها ، وقوام عزتها ، ومبعث حضارتها ، الممثل في عقيدتها، "... لم يفرد المستشرقون القدامى السنة بدراسات مستقلة بل ركزوا على العقيدة والقرآن والسيرة والتاريخ..."⁽³⁾، وما كان ذلك التركيز منهم على العقيدة، إلا لعلمهم اليقيني بأن العقيدة أساس قوام الأمم، فراموا توجيه السهام إلى الأمة الإسلامية في مقتلها، فعمدوا إلى التشكيك في العقيدة، والعمل على إحياء ونشر الأفكار المُميعة لها، كي يفرغونها من مضمونها، ويجردونها من أسباب حيويّتها، كي تخرج في شكلٍ دون مضمون! وأما دور الرهبان وسكان الكنائس والأديرة في بلادنا فلا مجال لغض الطرف عن دورهم الرهيب، فهم يُعملون نفس المِعول الهدام ويشاركون دعاة الاستشراق في الغاية والوسيلة، وهم جزء من ركبهِ ورفعهُ لوائهِ.

"... ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب من أقباط ومارونيين وغيرهم، ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي، ولا بد أن نلحق بالاستشراق ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين، وتبنوا كثيراً من أفكار المستشرقين حتى إن بعض

¹ - الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (2/ 687) ، إشراف وتخطيط، ومراجعة، الجهني: مانع بن حماد الجهني.

² - الشريبي، عماد السيد محمد إسماعيل الشريبي، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها (ص: 117، بترقيم الشاملة ألبا).

³ - العمري، أكرم بن ضياء العمري، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية(ص: 70).

هؤلاء التلاميذ تفوق على أساتذته في الأساليب والمناهج الاستشراقية، ويدل على ذلك احتفال دور النشر الاستشراقية بإنتاج هؤلاء ونشره باللغات الأوروبية على أنها بحوث علمية رصينة أو ما يترجمونه من كتابات بعض العرب والمسلمين إلى اللغات الأوروبية⁽¹⁾.

وبهذا الاقتباس يُمّاط اللثام عن هذا الوجه (ثلاثي الأبعاد) - إن جاز التعبير - المتمثل في الاستشراق الأوروبي وقساوسة ورهبان النصارى العرب مع أحبار يهود، بالإضافة إلى أبناء جلدتنا الذين تربوا على أعينهم في مراكزهم التعليمية، ليكُونوا خير وسيلة اختراق لقلوب أبناء الأمة الإسلامية في إثارة زوابعٍ من الشبهات حول مصدري الوحي كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - ﷺ .

"..... ولقد أثار المستشرقون شبهات أخرى كثيرة حول الإسلام ورسوله، وحول العقيدة والوحي، وحول الفلسفة الإسلامية وأصالتها، والتصوف وأصوله، وحول السنة وعلومها.

فالمستشرق "شاخنت" * وضع كتابه "في أصول الشريعة المحمدية"، ولعله أشهر كتاب له، جعله طعنًا في كتب السنة الصحيحة ومسانيدها، وقال: إن الأحاديث الفقهية وغيرها ظهرت في القرن الثالث الهجري، وأن الفقه ومسائله لم يظهر في عصر محمد ولا في عصر الصحابة، وإنما ظهر بعد هذا الجيل، واستدل بذلك على كذب الأحاديث النبوية، ومع ما في هذه الدعوى من مغالطات وأكاذيب تاريخية، فإن هذا المستشرق لم يكلف نفسه عناء البحث؛ ليعرف أن أقوال الرسول وأفعاله كانت تقوم بين جيل الصحابة مقام كتب الفقه بين الأجيال المتأخرة فضلا عن أن أحاديث الفقه كغيرها من الأحاديث الأخرى رواها المحدثون بسندها المتصل عن رسول الله ﷺ " (2).

وحسبي من البرهان شواهد من الواقع المعاصر تُصدِّق ما مر من دعوى، إذ يطلع علينا في كل يوم (داعية مصنوع) يشكك في الجامع الصحيح للبخاري والجامع الصحيح لمسلم... و... الخ ليفتح بوتقة يولج منها للتشكيك بالقرآن الكريم لإفساد الدين أولاً ومن ثمَّ الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية، حتى نكفيهم الدور في هدم ديننا وحضارتنا وثقافتنا بأيدينا.

¹ - الصغير، فالح بن محمد بن فالح الصغير، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية (ص: 8).

* - شاخنت (هـ = 1902 - 1970 م 1390 - 1320)، مستشرق هولندي من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق. ولد في مدينة راتيبور، بألمانيا. ودرس اللغات الشرقية Joseph Schakhe: يوسف شخت وتخصص بالعربية ونال الدكتوراه في الفلسفة عام (1923) ودرس اللغات الشرقية بجامعة فرايبورغ (1927) وانتقل إلى جامعة كونكسبرج (1932) وفي عام (1934) عين أستاذا لتدريس اللغات. الأعلام للزركلي (8/ 234).

² - الجليند، محمد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير (ص: 53).

"... وقد كتب جولدتسيهر⁽¹⁾ مئات البحوث عن الإسلام والمسلمين وعشرات الكتب الكبيرة، وأشهر كتبه " مذاهب التفسير الإسلامي " الذي يمثل نضجه الثقافي حيث كتب قبل ذلك " دراسات إسلامية " و " العقيدة والشريعة "، وهذا المؤلف المَجْرِي اليهودي أُنْتُرَّ على كثير من أساتذتنا الذين تكلموا عن تاريخ الحديث النبوي في مطلع القرن، واستمرت آراؤه تحظى باحترام العديد من الدارسين في الغرب هو و" شاخت " صاحب كتاب " أصول الفقه الإسلامي ". ولا يمكن في هذا البحث الوجيز استعراض كل ما قيل في هذا المجال وإنما المراد هو إيضاح أنَّ الاستشراق وإن كان قد بدأ حركة دينية ثم تحول إلى حركة مقترنة بالسياسية بحيث اشتغل معظم المستشرقين بل كلهم إلا اليسير في دوائر المخابرات الأجنبية وخدموا وزارات الخارجية، وهذا معروف عن أساطينهم ممَّا لا يُؤلَّدُ الشك في اقترانهم بالسياسة فحسب وأن ما يكتبونه يراد منه خدمة واقع سياسي، وأنه حتى بعد التطور الحديث من مطلع القرن العشرين وحتى الآن لازال يواصل خطاه، وأن ما يبدو عليه من تعميق لبحوثه بالإفادة والاستثمار للعلوم الحديثة لن يخلصه من الإطار القديم المرسوم له، فأهداف طرح الشرق أمام الغرب بصورة مُشوَّهَةٍ ثم عكس القضية لإضعاف ثقة المسلمين بأنفسهم، بدينهم، بماضيهم، هذا كله إضافة إلى زرع بذور العنصرية والتفرقة بين الأمة الإسلامية بشتى الطرق"⁽²⁾.

وبهذا فقد كفى أهل الفكر الإرجائي دعاة الاستشراق مئونة دوره في تمييع العقيدة، فأخذوا جاهدين في نشر الفكر الإرجائي، فحظوا من الاستشراق بكامل الدعم المادي والتأييد المعنوي، "... أما انتشار الفكر الإرجائي في الفضائيات فهو راجع إلى أن أغلب الذين يسهمون في البرامج الإسلامية في الفضائيات أشاعرة وماتريديّة وعقلانيون وعصرانيون، وهؤلاء مرجئة في الأصل"⁽³⁾.

والدليل على رضا الاستشراق عن دور أهل الفكر الإرجائي في تمييع العقيدة الإسلامية، هو ذلك المنطلق الديني المعادي لدين الإسلام من حيث المبدأ، "... لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لتتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني. فقد بدأ بالرهبان - كما رأينا - واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر - كما سنرى - وهؤلاء كان يهْمُهُمُ أن يطعنوا في

¹ - كولد صهر، (1266-1340 هـ = 1850 - 1921 م) إجناس كولد صهر Ignaz Goldziher مستشرق مجري موسوي [يهودي] يلفظ اسمه بالألمانية اجناتس جولد تسيهر. تعلم في بودابست وبرلين وليبسيك. ورحل إلى سورية سنة 1873 م، فتعرف بالشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدة. وانتقل إلى فلسطين، فمصر، حيث لازم بعض علماء الأزهر. وعين أستاذا في جامعة بودابست (عاصمة المجر) وتوفي بها. الأعلام للزركلي (1/ 84).

² - العمري، أكرم بن ضياء العمري، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية (ص: 69).

³ - العقل، ناصر بن عبد الكريم العلي العقل، شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (17/ 19، بتقييم الشاملة آليا).

الإسلام ويُشَوِّهُوا محاسنة ويُحَرِّفُوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدنيوية أن الإسلام - وقد كان يومئذٍ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين - دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم هُمَجَّجٌ لصوص وسفَّاكُو دماء، يحثهم دينهم على المذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي. ثم اشتدَّت حاجتهم إلى هذا الهجوم⁽¹⁾.

وهنا لا يبقى ريب لمستريب في الحقيقة القاضية بأن للاستشراق دوره الهام في نشر الفكر الإرجائي، وذلك من خلال الدعم المادي، والتأييد المعنوي لحملة الفكر الإرجائي، وتذليل العقبات أمام الدارسين في جامعات ومعاهد الغرب، والتي تتبنى بدورها ما وضعه دهاة الاستشراق من منهاج تعليمية للتخصصات في الدراسات الإسلامية، فكرية كانت أم عقائدية، وهذا يظهر واضحاً في أفكار الخريجين من جامعات الغرب ومعاهده، وأبرزها غياب التناقض بين دين الإسلام الحنيف وبين ملة الكفر، تحت ما يروجون له مما يسمى (وحدة الأديان السماوية)!!
وأرى في نهاية هذا المقام أن دور الاستشراق يكمن فيما يأتي:

أولاً : التشكيك في أصول العقيدة الإسلامية ، ومصادرها من الوحيين ، كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ.

ثانياً: العمل على إيجاد (الداعية المصنوع) الذي يسير وفق ما رُسم له من أهداف، وما كُلف به من مهام.

ثالثاً : العمل على تعميم مفهوم (الإيمان) بمجرد الاعتقاد بوجود الله -تعالى- كي يشمل مُسمى الإيمان كل من ادعاه من جميع أبناء الملل والنحل ، وهذا تكريسٌ للفكر الإرجائي المقيت.

المسألة الثانية: العلمانية ودورها.

مما قيل في العلمانية: هي فلسفة (الفصل دينية) أو اللادينية، التي ظهرت في أوروبا كردة فعل معاكس، نتيجة للاستبداد الكنسي، وتسُلط رجال الدين، في العصور الوسطى آنذاك، وقد جاءت تعاريف أخرى في العلمانية أقتبس منها ما يأتي:

1- "...قد تشعر الكلمة في اشتقاقها أنها تعني : رفع شعار العلم، ومن ثمَّ فلا تعارض بينها وبين الإسلام، بل إنها إحدى وسائل الإسلام وبعض أهدافه!

¹ - السباعي، مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: 1384هـ)، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم (ص: 20).

وهو ما نحسب أنهم قصدوا إليه حين ترجموا معنى الكلمة في لغتها الأصلية ؛ ليقع المسلمون في هذا الوهم !! إن العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية Secularity وهذا اشتقاق من Secular وهي مرادفة للكلمة الإنجليزية Unreligious أي : لا ديني، أو غير عقيدي، ومن ثمَّ كانت العلمانية تعني: اللادينية!!

ومن هنا نفهم إعلان البعض عن قيام دولة علمانية، أو عن رغبة البعض الآخر في ذلك! ونفهم سر اختيار الكلمة أنها تعبر عن المقصود، دون صدم للمشاعر والأحاسيس! ولنا أن نتصور الفارق بين الإعلان عن دولة علمانية، أو الإعلان عن دولة لا دينية! من هنا نحس خبث ترجمة الكلمة إلى لفظ العلمانية، ونحس خبث الذين يستعملون هذا اللفظ دون اللفظ الكاشف عن المعنى المقصود، ونحس مع هذا كله بواجبنا لتعريف هذا اللفظ الخبيث على حقيقته! "(1).

2- وجاء في تعريفها أيضاً : "...العلمانيّة تُعرّفُ في أوروبا - وهي البلاد التي نشأت فيها - ب: «الآ يكون الإنسان مُلزمًا بتنظيم أفكاره وأعماله وفق معايير مفروضة على أنها شريعة أو إرادة إلهية»، ويطلق على هذا الفكر في اللغة الانجليزية التي هي لغته الأصلية SECULARISM، وهي تعني (اللاّدينية)، غير أنها اشتهرت باسم (العلمانيّة)، ولعلّ ذلك كان مقصودًا بغية إلباسها لبوسًا يجعلها مقبولة بين المسلمين"(2).

دور العلمانية في انتشار الفكر الإرجائي.

أما عن دور العلمانية في انتشار الفكر الإرجائي، فحدّث ولا حرج، فإن كان الاستشراق يحارب الإسلام بدهاءٍ ومكر خفي، فإن العلمانية تحارب الإسلام بوجه سافر جهاراً نهاراً، فهي فلسفة نشأت منذ بدايتها لتحديد كلمة (دين) من قاموس الأخلاق والتعامل، وفصلها عن الحياة في جميع الجوانب، وذلك انطلاقاً من (العقدة) أو الأزمة الكامنة في قرارة نفوسهم، مما كان من استبداد وتسلط وجبروت من قِبَل (الكنيسة ورجال الدين) في العصور الوسطي في أوروبا، حتى

1- جريشه والزيبيق، علي محمد جريشه - محمد شريف الزيبيق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي (ص: 59).

2- صقر، شحاتة محمد صقر، الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان (ص: 11).

طغى شعار نُسِبَ ل (فولتير) * " اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس" (1).

لذا كان أشهر اصطلاح يطلق في تعريفاتها، هو (الفصل دينية)، وما كان لهذه الفلسفة أن تجد لها أرضاً خصبة في ديار الإسلام، لولا وجود الفكر الإرجائي، الذي لا يعتبر العمل جزء من الإيمان، ولا يعنيه من الاعتقاد سوى الإقرار بالمعرفة أو التصديق، فالفكر الإرجائي يفصل العمل عن الإيمان كما هي العلمانية تفصل الدين عن التحكيم في أي من شؤون الحياة!! فهم ينظرون للشريعة نظرة اعراض وعدم اكتراث " الأحكام الشرعية لا يصلح فيها الإلزام أو المنع؛ من أحب أن يصلي أو يزكي أو يترك الحرام فهو إنسان يعرف مصلحة نفسه، ومن لم يفعل فلا يصلح أن نلزمه أو نمنعه لأن هذا شأن بينه وبين ربه" (2).

غير أن البعض من العلمانيين من عمدوا لأسلوبٍ غايةً في المكر والخداع والحيل، ففصلوا ثوب قبول للعلمانية ليسهل ولوجها لنفوس المسلمين "...ألبسوا به العلمانية ثوباً إسلامياً، فجعلوا العبادات وحدها هي الثابتة في الإسلام التي يلتزم بها بالنصوص، أما في غير دائرة العبادات فالباب مفتوح على مصراعيه لتعديل النصوص وتغييرها، وحذفها وإضافة غيرها. يقول الدكتور النويهى في مقاله بعنوان: "نحو ثورة في الفكر الديني" "إن كل التشريعات التي تخص أمور المعاش الدنيوي والعلاقات الاجتماعية بين الناس والتي يحتوبها القرآن والسنة لم يقصد بها الدوام وعدم التغير ولم تكن إلا حلولاً مؤقتة، احتاج لها المسلمون الأوائل وكانت صالحة وكافية لزمانهم، فليست بالضرورة ملزمة لنا، ومن حقنا بل من واجبنا أن ندخل عليها من الإضافة والحذف والتعديل والتغير، ما نعتقد أن تغير الأحوال يستلزمه" (3).

وهنا يلحظ الناقد البصير معنى التزديد للمقولة المشهورة (أهل مكة أدرى بشعابها) من قبيل من انتحلوا صفات الدعاة، الذين لا يريدون منها سوى سحب الاعتبار عن كل أمر مرّ وفات وتدبير الحال من اجتهاد الواقع!!

* - فولتير، فرانسوا ماري أرويه المعروف باسم فولتير، فولتير هو اسمه المستعار، كاتب فرنسي عاش في عصر التنوير، وهو أيضاً كاتب وفيلسوف ذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الظريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة، الميلاذ باريس فرنسا 30 مايو، 1778 ويكيبيديا.

3- جريشه والزيق، علي محمد جريشه - محمد شريف الزييق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص: 108.

2- العجلان، فهد بن صالح العجلان، معركة النص (1/ 17).

3- خير، بسطامي محمد سعيد خير، مفهوم تجديد الدين (1/ 260).

وهذا الفهم لا يتعارض مع الدين في مفهوم أهل الفكر الإرجائي، بل يقع تحت مظلة الإيمان في مفهومه المقلوب، وليس له أي أثر سلبي على الأمة ودينها، لكن السابر لآثار العلمانية السلبية يجدها تتلخص في النقاط الآتية:

1- رفض الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة، والاستعاضة عن الوحي الإلهي المُنزَّل على سيد البشر محمد بن عبد الله ﷺ، بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها عن الكفار المحاربيين لله ورسوله ﷺ، واعتبار الدعوة إلى العودة إلى الحكم بما أنزل الله وهجر القوانين الوضعية، اعتبار ذلك تخلفاً ورجعية وردة عن التقدم والحضارة، وسبباً في السخرية من أصحاب هذه الدعوة واحتقارهم، وإبعادهم عن تولي الوظائف التي تستلزم الاحتكاك بالشعب والشباب، حتى لا يؤثرُوا فيهم.

2- تسخير العملية التعليمية والتعلمية وقبولتها وفق معايير العلمانية.

3- توحيد مفاهيم الناس للإيمان وفق مسمى المؤمنين بالله أياً كان نوع وشكل هذا (الإيمان) بين جميع أهل الملل والنحل في الوطن الواحد.

4- عدم اعتبار المنظومة الأخلاقية وفتح الباب على مصراعيه أمام الإباحية، من سفور واختلاط بين الجنسين، تحت شعار افعل ما طاب لك في حدود الالتزام بقانون العلمانية.

5- النظر للأهداف الحياتية بمنظور الغاية تبرر الوسيلة.

6- اعتماد المواطنة كعامل مشترك بين أفراد الرعية.

7 - إثارة الشبهات حول حقيقة القرآن والنبوة.

8 - الترويج والإشاعة بأن الإسلام استنفذ أغراضه ولا يعدوا أكثر من طقوس وشعائر روحية.

9- حقن العقول بدعوى أن الإسلام لا يتوافق مع الحضارة وهو مدعاة إلى التخلف والرجعية.

ولتطبيق هذه الأفكار وجدت الحكومات العلمانية في العالم الإسلامي، في الفكر الإرجائي خير أرض خصبة تُزري فيها الفكر العلماني، وتضفي عليه الشرعية، وعدم المروق من دين الله - تعالى- فالفرد العلماني ينطق بالشهادتين، ويؤدي المناسك وانتهى الأمر، فهو مسلم على- حد زعم دعاة الفكر الإرجائي- فلا مانع لدى العلمانية من استغلال دعاة الفكر الإرجائي وتمكينهم من أعلى المناصب في سلم الدرجات الدينية الرسمية، فعمدت تلك الحكومات العلمانية إلى تمكين دعاة الفكر الإرجائي وفتح مغاليق الأبواب أمام نشر أفكارهم، التي كانت أهم عوامل تمكين الفكر العلماني من الحكم في ديار الإسلام، وشكلت خير شبكة أمان لبقاء العلمانيين في سدة الحكم، وهنا نجحت العلمانية بالتعاون مع دعاة الفكر الإرجائي، في إخراج مفهومين للإسلام، مفهوم (الإسلام المعتدل) مفهوم الفكر الإرجائي و(الإسلام المتطرف)، مفهوم اللإيمان المقترن بالعمل، وهنا توحدت جهود العلمانيين مع جهود أهل الفكر الإرجائي، في إعلان الحرب الضروس بكل الوسائل والأساليب، على من وسّموهم بوسم (الأصوليين المتطرفين) الذين لم

يتساوقوا مع مفاهيم وأصول الفكر الإرجائي، فكانت النتيجة فتح الأبواب على مصارعها لنشر الفكر الإرجائي، والترويج له بكل الوسائل المتاحة في أيادي الطرفين، من العلمانيين في سدة الحكم، وأهل الفكر الإرجائي الدخيل!!

المسألة الثالثة: دور الفكر الصوفي.

أتكلم هنا عن دور الفكر الصوفي في أحسن أحواله، حينما يكون خالياً من الشرك والزيغ والضلال، المنشغل فقط بتزكية النفس وطلب الكمال لها، وأشير بوجهي عن تلك الطرق الصوفية التي تفوح منها روائح الكفر والزيغ والضلال فتلك الطرق خارجة عن دائرة هذا البحث. فالفكر الصوفي، منهج سلوكي، يقوم على الانشغال بتزكية النفس بالذكر، والاجتهاد في العبادة، وهو فكرٌ يهمل الحياة إلى حدٍ ما، فتجد الرجل الصوفي أو ما يسمى (المريد) يتبع شيخاً، يكون حاديه في الطريق إلى الوصول إلى الكشف (الفتوحات الربانية) والرقى الروحي، و بهذا لا يولي الحياة كبير اهتمام، فالدنيا والآخرة ضررتان لا يمكن - حسب فهمه - إرضاء إحداهن إلا على حسب الأخرى، ولا يمكن تحقيق تمام الإيمان مع وجود نصيب في النفس للدنيا، واختيار الآجلة يحتم اهمال العاجلة بكل ما فيها، "... فأول ما يلزمه علم آفات النفس ومعرفتها ورياضتها وتهذيب أخلاقها ومكائد العدو وفتنة الدنيا وسبيل الإختراز منها وهذا العلم علم الحكمة، فإذا استقامت النفس على الواجب وصلحت طباعها وتأديت بأداب الله - عز وجل - من زم جوارحها وحفظ أطرافها وجمع حواسها سهل عليه إصلاح أخلاقها وتطهير الظاهر منها والفراغ مما لها وعزوفها عن الدنيا وإعراضها عنها"⁽¹⁾.

والناظر في سيرة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - أولئك الذين تربوا في مدرسة النبوة، يرى أنهم أهل التوازن والاعتدال في تعاطيهم مع التكاليف الشرعية، وأهل الوسطية في الاعتقاد، وأبعد الناس عن الغلو والإفراط، وأهل العبادة والعمل، فهم رهبان في الليل وفرسان في النهار، لم يُغلبوا جانباً على جانبٍ آخر، ولم يأخذوا ببعض الكتاب ويهملوا البعض، فكما كان الكمال في الفهم عندهم كان الكمال في أداء التكاليف، فتأهلوا ليكونون خير أمةٍ أخرجت للناس.

¹ - الكلابادي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلابادي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: 87).

من رؤوس الفكر الصوفي.

الباحث في الفكر الصوفي، من خلال دراسة الطرق الصوفية، يجد أن فحوى المذاهب والطرق الصوفية تُراوح حول النفس وتزكيتها والانشغال بها عن كل شيء حتى عن كسب الرزق، ومدارها من حيث المذهب السلوكي على أربعة مدارس (طرق) رئيسة يسمى مؤسسها ب(القطب أو الغوث)⁽¹⁾ وهي **الطريقة الجيلانية**، نسبة لمؤسسها عبد القدر الجيلاني⁽²⁾، **والطريقة الرفاعية**، نسبة لمؤسسها أحمد الرفاعي⁽³⁾، **والطريقة الديسوقية**، نسبة لمؤسسها ابراهيم الديسوقي⁽⁴⁾، **والطريقة البدوية**، نسبة لمؤسسها أحمد البدوي⁽⁵⁾، وكلهم يجمعهم فكر التصوف القائم على عدم الموازنة بين الدنيا والآخرة، فلا مكان لديهم لخصيصة التوازن التي هي من أهم خصائص العقيدة الإسلامية، بل وينظرون إلى من يعبدون الله خوفاً وطمعاً بأن عباداتهم عبادة تجار، بتعليلٍ منهم أن العبادة يجب أن تكون لمجرد العبادة القائمة على المحبة الخالصة من الأغراض، لذا أرى أن هذا الفهم يشكل صورة من صور الغلو والإفراط في المحبة، وقد يؤدي بصاحبه إلى الإرجاء، بدليل ما جرى لبعض العباد من المتصوفة لديهم، والذين صرفهم الحب الموهوم للمعبود، إلى عدم الالتفات للثواب والعقاب مما جعلهم يباينون الأمر الإلهي في كيفية العبادة، قال الله -تعالى

¹ - **القطب**: وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يفيض روح الحياة . **التعريفات (ص: 177)**.

² - **عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي**(471 - 561 هـ = 1078 - 1166 م) عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان طبرستان ، وانتقل إلى بغداد شاباً، سنة 488 هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر. وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة 528 هـ وتوفي بها. **الأعلام للزركلي (4/ 47)**.

³ - **أحمد الرفاعي** مؤسس الرفاعية: هو الإمام، القدوة العابد، الزاهد، شيخ العارفين، أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد الرفاعي المغربي ثم البطائحي، قدم أبوه من المغرب، وسكن البطائح، بقرية أم عبيدة، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس (ص: 485).

⁴ - **ابراهيم الديسوقي**، مؤسس الطريقة الديسوقية هو « ابراهيم الديسوقي، بن عبد العزيز أبو المجد»، الذي ينتهي نسبه إلى **الحسين بن علي بن أبي طالب زوج السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي محمد ﷺ** وهو آخر أقطاب الولاية الأربعة الصوفية وأعظمهم شأنًا عند الصوفية. **الموسوعة الحرة ويكيبيديا**.

⁵ - **البدوي**،(000 - 1275 هـ = 000 - 1859 م) **أحمد البدوي بن أحمد زويتن الدرقاوي**، أبو العباس: متصوف مغربي، من أهل فاس. كان له حانوت بسوق العطارين وتركه وانقطع الى العلم. وأولع بكتب القوم، وصنف (الرسائل الكبرى) وسماه (المناجاة الفردية) . **الأعلام للزركلي 1/103**.

{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
 {الأعراف: 7 الآية: 56} وقوله تبارك وتعالى { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا
 وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } [السجدة: 32 الآية: 16]، فالخوف والطمع في الآية الأولى هو أمر
 بكيفية العبادة الحقة، وهو توصيف للعبادة الحقة في الآية الثانية، فأن كان هذا هو الحق ولا بد،
 فليس بعد الحق إلا الضلال، { فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى
 تُصِرُّونَ } [يونس: 10 الآية: 32]. "... فإن الانبساط في المحبة قد يوصل إلى الإرجاء، ولهذا
 جاءت المقالة التي تنقل عن رابعة العدوية أنها قالت: إنا لا نعبد الله خوفاً من ناره ولا طلباً
 لجنته، وإنما نعبد الله سبحانه وتعالى محبة فيه! وهذا لا شك أنه خطأ جسيم، فنحن نعبد الله عز
 وجل محبة فيه، وخوفاً من ناره، وطلباً لجنته ورضوانه، ولهذا جاءت الأحاديث الصريحة والآيات
 القرآنية الواضحة التي تبين ثواب الأعمال، والترغيب في الجنة، والآيات الواضحة التي تبين
 التهيب من النار، ولو لم يكن لهذا دور في العبودية لما كان هناك مبرر لذكرها، ولهذا ينقل عن
 رابعة (1) أنها كانت إذا سمعت بعض الآيات الواردة في الجنة أو النار تقول: يدللوننا كأننا
 أطفال، فلا شك أن هذا قول خطير إذا ما ثبت عنها، والله عز وجل يقول عن الرسل أنهم
 كانوا: {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: 21 الآية: 90]، فدعوة الرغب تقتضي
 وجود المحبة والرغبة فيما عند الله، ودعوة الرهبة تقتضي وجود الخوف منه فلا بد من الاجتماع
 بين الخوف والرجاء" (2).

أجل... إن هذا القول يؤكد عين المفارقة للهدى الذي عليه جميع الأنبياء عليهم وعلى نبينا محمد
 أفضل الصلاة والسلام.

إذاً فالعزوف عن الدنيا والإعراض عنها يشكل ركناً في الفكر الصوفي، ذاك الفكر الذي لا
 مكان فيه للتوازن، والتوازن مطلوبٌ بالأدلة القطعية في ثبوتها ودلالاتها من الكتاب والسنة، وهو
 من أبرز خصائص العقيدة الإسلامية قال - تعالى - { وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ

¹ - رابعة العدوية، (000 - 135 هـ = 000 - 752 م) رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل
 عتيك، البصرية: صالحة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر: من
 كلامها: (اكنموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم) توفيت بالقدس، قال ابن خلكان: (وقبرها بيزار، وهو بظاهر القدس
 من شرقه، على رأس جبل يسمى الطور) الأعلام للزركلي، (3/ 10).

² - السلمي، عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي، شرح رسالة العبودية لابن تيمية، باب حكم الاكتفاء
 بالمحبة في العبودية، 6/ 8، بترقيم الشاملة آليا.

تَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 28، رقم الآية: 77].

وقد جاء في السنة النبوية ما روى البخاري، (...حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ
ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بِيوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا،
فَقَالُوا: وَإِنَّ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غَفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي
أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ
أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ
وَأَنْفَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأَرْفُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (1).

وجاء في رواية مسلم (.... وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعِ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا بِهِزٌ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ،
عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟
فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ،
فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ،
وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (2).

وبعد إيرادي لهذه الأدلة القطعية من الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة، للتدليل على أهمية
التوازن في عقيدة المسلم، لن يبقى ريب بأن الفكر الصوفي قد جنح عن سواء الصراط في عدم
اعتباره للتوازن، هذا التوازن الذي بُمَثِلُ إحدى أخص خصائص العقيدة الإسلامية، وأما عدم
التوفيق بين الدنيا والآخرة، فهو من أبرز السمات الظاهرة في الديانات السابقة كاليهودية
والنصرانية، وهو ليس من دين الإسلام في شيء، وبهذا كان الفكر الصوفي، أحد العوامل التي
ساعدت في انتشار الفكر الإرجائي، بسبب الانشغال بتزكية النفس، عن حمل المسؤولية تجاه
تحقيق مراد الله في الخير، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من دعوة وبيان للعقيدة
الصحيحة، ومحاربة للبدعة والانحراف، وترك الساحة لأصحاب طرق التصوف الغير ملتزمة
بالشريعة وأحكامها التي تقول بالفكر الإرجائي، من أمثال،

¹ - البخاري، صحيح البخاري، باب الترغيب في النكاح، 7 / 2.

² - مسلم، صحيح مسلم، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه 2 / 1020.

¹ - ابن عربي (560 - 638 هـ = 1165 - 1240 م) محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية (بالأندلس) وانتقل إلى إشبيلية. وقام برحلة، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أريق دم الحلاج وأشباهه. وحبس، فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي (من أهل بجاية) فنجا واستقر في دمشق، فتوفي فيها. وهو، كما يقول الذهبي: قدوة القائلين بوحدة الوجود. له نحو أربعمئة كتاب ورسالة، منها (الفتوحات المكية - ط) عشر مجلدات، في التصوف وعلم النفس، و (محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار - ط) في الأدب، مجلدان، و (ديوان شعر - ط) أكثره في التصوف، و (فصوص الحكم - ط) و (مفاتيح الغيب - ط) و (التعريفات - ط) و (عنقاء مغرب - ط) تصوف، و (الاسرا إلى المقام الأسرى - خ) و (التوقيعات - خ) و (أيام الشان - خ) و (مشاهد الاسرار) الأعلام للزركلي (6/ 281).

² - الحلاج، (000 - 309 هـ = 000 - 922 م) الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث: فيلسوف، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في الملحددين. أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق (أو بتستر) وانتقل إلى البصرة، وحج، ودخل بغداد وعاد إلى تستر. وظهر أمره سنة 299 هـ فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان. ثم كان ينتقل في البلدان وينشر طريقته سرا، وقالوا: إنه كان يأكل يسيرا ويصلي كثيرا ويصوم الدهر، وإنه كان يظهر مذهب الشيعة للملوك (العباسيين) ومذهب الصوفية للعامة، وهو في تضاعيف ذلك يدعي حلول الإلهية فيه. الزركلي، الأعلام، 260/2.

وابن الفارض⁽¹⁾..... وغيرهم، تُعملُ معاول الهدم في عقيدة الأمة وأفكارها، وذلك نتيجةً لغياب التوازن عندهم في مفهومهم للعقيدة ، فكانت البدعة مقرونة بوجودهم أينما حلوا أو ارتحلوا ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - "... مسألة أن كل بدعة في الدين ضلالة محرمة، هذا مما أجمع عليه الصحابة والسلف الصالح، ولم تنتشر البدع إلا بعد القرون الثلاثة الفاضلة حين صارت للروافض والقرامطة دولة، وكثرت الطرق الصوفية النكدة"⁽²⁾.

وفي ظل هذا التركيز من المتصوفة الملتزمين بالشريعة على تزكية النفس وانشغالهم بها وحدها ، وغيابهم عن ساحة الأمر والنهي مثلوا عاملاً رئيساً في انتشار الفكر الإرجائي.

¹ - ابن الفارض (576 - 632 هـ = 1181 - 1235 م) عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاء، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض: أشعر المتصوفين. يلقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بما يسمى " وحدة الوجود " قدم أبوه من حماة (بسورية) إلى مصر، فكسناها، وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام، ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض. وولد له " عمر " فنشأ بمصر في بيت علم وورع. ولما شب اشتغل بفقهِ الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره. ثم حبَّب إليه سلوك طريق الصوفية، فتزهد وتجرد، وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة في خرابات القرافة (بالقاهرة) وأطراف جبل المقطم. وذهب إلى مكة في غير أشهر الحج، فكان يصلي بالحرم، ويكثر العزلة في واد بعيد عن مكة، وفي تلك الحال نظم أكثر شعره. وعاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاماً، فأقام بقاعة الخطابة بالأزهر، وقصده الناس بالزيارة، حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته. وكان جميلاً نبيلاً، حسن الهيئة والملبس، حسن الصحبة والعشرة، رقيق الطبع، فصيح العبارة، سلس القياد، سخياً جواداً. وكان أيام ارتفاع النيل يتردد إلى مسجد في " الروضة " يعرف بالمشتهى، ويحب مشاهدة البحر في المساء. وكان يعشق مطلق الجمال. ونقل المناوي عن القوسي أنه كانت للشيخ جوار بالبهنسا، يذهب إليهن فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد، قال المناوي: " ولكل قوم مشرب، ولكل مطلب، وليس سماع الفساق كسماع سلطان العشاق " ثم قال: " واختلف في شأنه، كشأن ابن عربي، والعفيف التلمساني، والقونوي، وابن هود، وابن سبعين، وتلميذه الششتري، وابن مظفر، والصفار، من الكفر إلى القطبانية، وكثرت التصانيف من الفريقين في هذه القضية " وقال الذهبي: كان سيد شعراء عصره وشيخ " الاتحادية " وماتم الأزلي الصوفية وإشارات مجملة وتحت الرزي والعبارة فلسفة وأفاعي! (كذا) وأورد ابن حجر أبياتا صرح فيها ابن الفارض بالاتحاد، كقوله: " وفي موقفي لا بل إليّ توجهي ... ولكن صلاتي لي ومني كعبتي "له ديوان شعر - ط " جمعه سبطه عليّ. وشرحه كثيرون منهم حسن البوريني وعبد الغني النابلسي. وشرحاها مطبوعان. ولمحمد مصطفى حلمي " ابن الفارض والحب الإلهي - ط " وليوحنا قمير " ابن الفارض - ط " (1).

الأعلام للزركلي (5/ 56/55).

² - ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، 1/ 64.

المبحث الثاني: أثر الفكر الإرجائي في عقيدة الأمة.

المطلب الأول: أثر الفكر الإرجائي في الإيمان، وفيه مسائل.

المسألة الأولى: الأثر على الفرد في العقل والفكر.

من المعلوم بدهاء أن الاعتقاد هو انعقاد القلب على فكرٍ أو فهمٍ لا يتطرق إليه شك، ولا يداخله ريب، فيخالط كل خلية في العقل والقلب، فتعيشه الروح والوجدان، فينتج آثاراً تكون وصفاً له، وبرهاناً عليه.

فالطمأنينة والاستقرار وراحة النفس، تمثل توصيفاً صادقاً لصفاء اعتقاد، وثبات في الرؤيا، ووضوح في التصور، وأما الاضطراب والحيرة والتردد، فتشير بوضوح إلى عكس ذلك تماماً، فمن صفا اعتقاده اطمأنت نفسه وصلح باله، ومن تعكر صفو اعتقاده بعلم الكلام، وفن الجدل، لم يذق طعماً لراحة بال، ولا لهدوء نفس، وبما أن الفكر الإرجائي مبعثه علم الكلام، فقد ظهرت آثاره عند مُعتقيه بصورة واضحة، والشواهد على ذلك، تفوق الحصر والإحصاء، ومن خلال استقراءنا للسيرة الاعتقادية لأقطاب علم الكلام، الذي لم يحقق لمُعتقيه طمأنينة، ولم يُوفر لهم صفاء اعتقاد، ولا راحة لبال - وهم ليسوا مرجئة - فكيف بأهل الإرجاء!؟

فهم أولى وأحرى، بالحيرة والشك والاضطراب ممن سنذكرهم من علماء كرام أخذوا بعلم الكلام. فقد جاء في شرح الطحاوية، تحت عنوان، [انْتِيَابُ الْحَيْرَةِ لِمَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِلَى عِلْمِ الْكَلَامِ] ما يأتي:

"...قَوْلُهُ: (فَيَتَدَبَّدُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِفْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، مُوسُوسًا تَائِهًا، شَاكًا زَائِعًا، لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكْذِبًا).

ش: يَتَدَبَّدُ: يَضْطَرِبُ وَيَتَرَدَّدُ. وَهَذِهِ الْحَالَةُ الَّتِي وَصَفَهَا الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ حَالُ كُلِّ مَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِلَى عِلْمِ الْكَلَامِ الْمُدْمُومِ، أَوْ أَرَادَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعِنْدَ التَّعَارُضِ يَتَأَوَّلُ النَّصَّ وَيَرُدُّهُ إِلَى الرَّأْيِ وَالْأَرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَيُنَوِّلُ أَمْرَهُ إِلَى الْحَيْرَةِ وَالضَّلَالِ وَالشَّكِّ، كَمَا قَالَ ابْنُ رُشْدٍ الْحَفِيدُ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِمَذَاهِبِ الْفَلَسَفَةِ وَمَقَالَاتِهِمْ، فِي كِتَابِهِ ((تَهَافُتِ النَّهَافُتِ)) : وَمَنْ الَّذِي قَالَ فِي الْإِلَهِيَّاتِ شَيْئًا يُعْتَدُّ بِهِ؟ . وَكَذَلِكَ الْأَمْدِيُّ، أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَقَفَّ فِي الْمَسَائِلِ الْكِبَارِ حَائِرًا. وَكَذَلِكَ الْعَزَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، انْتَهَى آخِرُ أَمْرِهِ إِلَى الْوَقْفِ وَالْحَيْرَةِ فِي الْمَسَائِلِ الْكَلَامِيَّةِ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ وَأَقْبَلَ عَلَى أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ فَمَاتَ وَالْبُخَارِيُّ عَلَى صَدْرِهِ. وَكَذَلِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الرَّازِيُّ، قَالَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَفَهُ فِي أَفْسَامِ اللَّذَاتِ:

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالٌ ... وَغَايَةُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَدَى وَوَبَالٌ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْتِنَا طُولَ عُمُرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ: قِيلَ وَقَالُوا
فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ ... فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا
وَكَمَّ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرْفَاتِهَا رِجَالٌ ... ، فَرَالُوا وَالْجِبَالُ جِبَالٌ
. لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطَّرِيقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَالِيًا، وَلَا تُرْوِي غَالِيًا، وَرَأَيْتُ
أَقْرَبَ الطَّرِيقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، أَقْرَأَ فِي الْإِثْبَاتِ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 20 الآية:5].
{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فَاطِرٍ: 35 الآية:10] . وَأَقْرَأَ فِي النَّفْيِ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:
43 الآية:11] {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: 20 الآية:110]. ثُمَّ قَالَ: ((وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي
عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي)).

وَكَذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الشَّهْرَسْتَانِيُّ، أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ
وَالْمُتَكَلِّمِينَ إِلَّا الْحَيْرَةَ وَالنَّدَمَ، حَيْثُ قَالَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسِيرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

فَلَمْ أَرِ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَى ذَقْنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

. وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ: يَا أَصْحَابَنَا لَا تَشْتَغَلُوا بِالْكَلامِ، فَلَوْ عَرَفْتُمْ أَنَّ الْكَلَامَ يَبْلُغُ بِي
إِلَى مَا بَلَغَ مَا اشْتَغَلْتُ بِهِ. وَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ: لَقَدْ خُضْتُ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ، وَخَلَّيْتُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ
وَعُلُومَهُمْ، وَدَخَلْتُ فِي الَّذِي نَهَوْنِي عَنْهُ، وَالآنَ فَإِن لَمْ يَتَذَكَّرْنِي رَبِّي بِرَحْمَتِهِ فَالْوَيْلُ لِابْنِ
الْجُوَيْنِيِّ، وَهَذَا أَنَا دَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي، أَوْ قَالَ: عَلَى عَقِيدَةِ عَجَائِزِ نَيْسَابُورَ. وَكَذَلِكَ قَالَ
شَمْسُ الدِّينِ الْخَسْرُ شَاهِي، وَكَانَ مِنْ أَجْلِ تَلَامِيذِهِ فَخِرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، لِبَعْضِ الْفَضْلَاءِ، وَقَدْ دَخَلَ
عَلَيْهِ يَوْمًا، فَقَالَ: مَا تَعْتَقِدُ؟ قَالَ: مَا يَعْتَقِدُهُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: وَأَنْتَ مُنْشِرِحُ الصِّدْرِ لِذَلِكَ مُسْتَيْقِنٌ
بِهِ؟ أَوْ كَمَا قَالَ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ، لَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَعْتَقِدُ،
وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَعْتَقِدُ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَعْتَقِدُ، وَبَكَى حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ. وَابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ
الْفَاضِلُ الْمَشْهُورُ بِالْعِرَاقِ:

فِيكَ يَا أَغْلُوطَةَ الْفِكْرِ ... حَارَ أَمْرِي وَانْقَضَى عُمْرِي

سَافَرْتُ فِيكَ الْعُقُولُ ... فَمَا رِيحَتْ إِلَّا أَدَى السَّفَرِ

فَأَحَى اللَّهُ الْأَلَى ... رَعَمُوا أَنَّكَ الْمَعْرُوفُ بِالنَّظَرِ

كَذَبُوا إِنَّ الَّذِي ذَكَرُوا ... خَارِجٌ عَنِ قُوَّةِ الْبَشَرِ

. وَقَالَ الْخَوَنَجِيُّ عِنْدَ مَوْتِهِ: مَا عَرَفْتُ مِمَّا حَصَلَتْهُ شَيْئًا سِوَى أَنَّ الْمُمْكِنَ يَفْتَقِرُ إِلَى الْمَرْجَحِ، ثُمَّ
قَالَ: الْإِفْتِقَارُ وَصْفٌ سَلْبِي، أَمُوتُ وَمَا عَرَفْتُ شَيْئًا. وَقَالَ آخَرُ: أَضْطَجِعُ عَلَى فِرَاشِي وَأَضْعُ

الْمُحَفَّةَ عَلَى وَجْهِي، وَأَقَابِلُ بَيْنَ حُجَجِ هَوْلَاءِ وَهَوْلَاءِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، وَلَمْ يَتَرَجَّحْ عِنْدِي مِنْهَا شَيْءٌ.

وَمَنْ يَصِلُ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ إِنْ لَمْ يَتَذَرِكُهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَإِلَّا تَزُنْدَقَ، كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلامِ تَزُنْدَقَ، وَمَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكَيمِيَاءِ أَفْلَسَ، وَمَنْ طَلَبَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ كَذَبَ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ، وَيَطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ. وَقَالَ: لَقَدْ أَطَّلَعْتُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ عَلَى شَيْءٍ مَا ظَنَنْتُ مُسْلِمًا يَقُولُهُ، وَلَأَنْ يُبْتَلَى الْعَبْدُ بِكُلِّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ - مَا خَلَا الشَّرْكَ بِاللَّهِ - خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُبْتَلَى بِالْكَلامِ. انْتَهَى.

وَتَجِدُ أَحَدَ هَوْلَاءِ عِنْدَ الْمَوْتِ يَرْجِعُ إِلَى مَذْهَبِ الْعَجَائِزِ، فَيَقْرَأُ بِمَا أَقْرَأُوا بِهِ وَيُعْرِضُ عَنْ تِلْكَ الدَّقَائِقِ الْمُخَالَفَةِ لِذَلِكَ، الَّتِي كَانَ يَقَطَعُ بِهَا، ثُمَّ نَبَّيْنَاهُ لَهُ فَسَادُهَا، أَوْ لَمْ يَنْبَيْنَاهُ لَهُ صِحَّتُهَا، فَيَكُونُونَ فِي نَهَائِيَاتِهِمْ - إِذَا سَلِمُوا مِنَ الْعَذَابِ - بِمَنْزِلَةِ أَتْبَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَعْرَابِ. وَالذَّوَاءُ النَّافِعُ لِمِثْلِ هَذَا الْمَرِضِ، مَا كَانَ طَبِيبُ الْقُلُوبِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يَقُولُهُ - إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَفْتَحُ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». خَرَجَهُ مُسْلِمٌ. تَوَسَّلَ ﷺ إِلَى رَبِّهِ بِرُبُوبِيَّةِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ أَنْ يَهْدِيَهُ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ، إِذْ حَيَاةُ الْقَلْبِ بِالْهَدَايَةِ. وَقَدْ وَكَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَوْلَاءِ الثَّلَاثَةِ بِالْحَيَاةِ: فَجِبْرِيلُ مُوَكَّلٌ بِالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْقُلُوبِ، وَمِيكَائِيلُ بِالْفَطْرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْأَبْدَانِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَ، وَإِسْرَافِيلُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْعَالَمِ وَعَوْدِ الْأَرْوَاحِ إِلَى أَجْسَادِهَا. فَالْتَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِرُبُوبِيَّةِ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ الْعَظِيمَةِ الْمُوَكَّلَةِ بِالْحَيَاةِ، لَهُ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ⁽¹⁾.

يؤكد لي هذا الاقتباس، أن الحيرة والشك والاضطراب، كانت هي الصبغة الطاغية على حالتهم النفسية، وآلت بهم في النهاية إلى ثمارٍ مرّةٍ؛ قد يكونون توهموا حصولها بسلوك طريق المنطق العقلي، وعلم الكلام الذميمة، فإن كان هؤلآء الكرام، قد أدى بهم علم الكلام إلى ما عرفنا، فكيف بأولئك المرجئة الخبثاء الذين أدى بهم إلى مفارقة الدين، ومفارقة جماعة المسلمين!؟

¹ - ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، 1/242-248، تحقيق شعيب الأرنؤوط .

المسألة الثانية: الأثر على الفرد، في القلب والذكر.

القلب مركز الراحة النفسية، ومبعث الطمأنينة والاستقرار، ولا يطمئن إلا ببرد اليقين، وبوجود اليقين وتوفره ينعم القلب براحة البال، قال تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ } [محمد: 47 الآية 2]، فقد يتوفر الإيمان بمرتبته الأولى (علم اليقين) ولم يصل بعد إلى المرتبة الثالثة (حق اليقين) التي تشير إليها الآية القرآنية { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة: 2 الآية 260]، فلم يطلب سيدنا إبراهيم - عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم - أن يُعَلِّمَهُ اللهُ - عز وجل - كيف يحيي الموتى، إنما طلب من الله - تعالى - أن يريه كيف يحيي الموتى، فالطلب الأول يفيد علم اليقين، وأما الطلب الثاني فيفيد حق اليقين، أعلى درجات اليقين، مُعَلِّلاً طلبه - عليه السلام - ولكن ليطمئن قلبي، فهو خير غنيمة في دنيا الفناء، قبل الوصول إلى جنان الخلد وعظيم اللقاء، في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، وذلك في مشهد حق اليقين.

فبرد اليقين أخي المؤمن، لا سبيل إليه بنظريات المنطق، ولا بعلم الكلام والجدل، ولكن سبيله الذكر والدعاء، لقوله - تعالى - { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد: 13 الآية : 28]، ولقول النبي ﷺ (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ) ⁽¹⁾، وكما وصفت أم المؤمنين - الصديقة بنت الصديق - عائشة رضي الله عنهما حال النبي ﷺ (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ أَحْيَانِهِ) ⁽²⁾، وبهذا كان الذاكرون يشهدون حقيقة الإيمان، ويحيونه حياة هائلة هادئة مطمئنة، لا حيرة فيها، ولا تردد، ولا شك فيها ولا قلق، مُفَوِّضُونَ أَمْرَهُمْ إِلَىٰ بَارِيهِمْ، مُسْتَبْشِرُونَ بِبِقِينِهِمْ بوعدهم، موقنون بأنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم، مُتَوَكِّلُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، { وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } [الطلاق: 65 الآية : 3] ينظرون إلى مُرَادِ اللَّهِ مِنْهُمْ من طلب وتكليف، غاضون الطرف عما أَرَادَهُ اللهُ بِهِمْ من قدرٍ وتدبير!

¹ - البخاري، صحيح البخاري، باب فضل ذكر الله عز وجل، 8 / 86، برقم 6407.

² - البخاري، (م . ن) باب هل ينتبع المؤذن فاه ها هنا وها هنا، 129/1، ورواه مسلم، صحيح مسلم، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة، 282/1.

المسألة الثالثة: الأثر في وحدة الكلمة.

أجل... إن العقيدة هي أس وحدة الكلمة، وسر وحدة الغاية والهدف، والعكس صحيح، والباحث في ظاهرة وحدة الكلمة والغاية والهدف عند أية أمة، سوف يجد ولا بد، أن سر وحدتها يكمن في إيمانها بعقيدة جامعة للغاية والهدف في ثقافتها، أيًا كانت تلك العقيدة، وأن الأمم غير الموحدة في الغاية والهدف والكلمة، كان غياب العقيدة الجامعة هو سر تشتت غاياتها، ومبعث تفرق كلمتها، ومحرك الخلاف بين أبنائها، ولا شيء أفنك بوحدة الغاية والهدف مثل تفرق الكلمة ، ولا شيء أفنك بوحدة الكلمة من علم الكلام، والذي يُسيّد العقل المجرد، ويجعل له القول الفصل على كل شيء، وهنا تجد أن كل ذي عقل ينقض فكر غيره، فيقع الخلاف ويتسع الشقاق، وذلك لإعجاب كل ذي رأي برأيه، وغياب قاعدة القياس التي هي مرجعية الخلاف، قال الله - تعالى - { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا فَنفَشُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [الأنفال: 8 الآية: 46]، ولا يُذكي روح التنازع كعلم الكلام، وحينما يطغى علم الكلام على فكر أمة فقد تُودع منها، وهذا ما رمتنا به الأمم الكافرة مكرًا منها وكيدًا، لثُعمِلَ في عقيدتنا وثقافتنا معاول الهدم، وبذور الخلاف والشقاق، هو ذاك المرض العضال، وتلك الأفكار الخبيثة (علم الكلام)، فكان نتاجها عقيدة لا تُحرك حاملها لأكثر من كلام، أو حوار، أو نقاشٍ يفنقر لتحريك ساكن، أو تغيير حال!!

لذا فالفلسفة والكلام هما الداء العضال، فما ابتليت بهما أمة وحالفها الفلاح، ويكفي شهادة أهلها وأصحابها "... قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الْمَأْمُونَ لَمَّا هَادَنَ بَعْضُ مُلُوكِ النَّصَارَى - أَظُنُّهُ صَاحِبَ جَزِيرَةِ قَبْرِص - طَلَبَ مِنْهُ خِرَانَةَ كُنُوبِ الْيُونَانِ، وَكَانَتْ عِنْدَهُمْ مَجْمُوعَةٌ فِي بَيْتٍ لَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَجَمَعَ الْمَلِكُ حَوَاصَّهُ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَأَسْتَشَارَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَكُلُّهُمْ أَشَارُوا بِعَدَمِ تَجْهِيْزِهَا إِلَيْهِ إِلَّا مَطْرَانٌ وَاحِدٌ، فَإِنَّهُ قَالَ: جَهَّزْهَا إِلَيْهِمْ، فَمَا دَخَلَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ عَلَى دَوْلَةٍ شَرْعِيَّةٍ إِلَّا أَسَدَتْهَا، وَأَوْقَعَتْ بَيْنَ عُلَمَائِهَا.." (1)، وبهذا كانت العقيدة التي خالطها علم الكلام، مبعث خلاف، ومصدر شقاق له أولٌ ولا آخر له، عقيدة مميّنة للهمم، وممهدة للكسل والخذلان، وما ذلك إلا لأنها لا تعدو أكثر من سفسطة وجدل، وتحليق في عالم المُثَلِّ والخيال، لا نصيب للجد والعمل فيها متقال ذرة، فضلاً عما ما تتسبب في بعث النزاع، وإذكاء روح الخلاف والشقاق.

فلما سبق بيانه أقول، كان الفكر الإرجائي - والذي عماده علم الكلام بدءاً ونهاية - فكراً مُفْرَقاً لوحدة الكلمة، وباعتاً على الشقاق والتنازع والخلاف، حادياً بأهله إلى حال اللامبالاة، لا فكراً

¹ - السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، المتوفى 1188هـ،

لوامع الأنوار البهية (9 / 1).

حيويًا باعثًا على وحدة الكلمة، ووحدة الغاية والهدف تحت سقف التنزيل، وانقياداً لأوامر الوحي بشقيه، الوحي الممتلئ المتعبد بتلاوته (القرآن الكريم) والوحي غير الممتلئ (سنة النبي ﷺ) فضلاً عن إقصائه للجد والعمل، بسبب عدم اعتباره للعمل في مفهومه لحقيقة الإيمان، وبناءً على هذا، ترى النتائج السلبية لهذا الفكر الخبيث، حال وما زال يحول بين الأمة ووحدة كلمتها، وبين الأمة ووحدة غايتها، و بين الأمة وتبوءها لمكانتها في قيادتها الفكرية للأمم والشعوب العالمية، قياماً بمسؤولياتها تجاه رسالتها العظيمة، المتمثلة في حمل لواء التوحيد، لتحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، امتداد لذلك الحداء الخالد منذ فجر الإسلام، والذي جاء على لسان ذلك الصحابي الجليل، والقائد الفذ النبيل، ربي بن عامر رضي الله عنه قال:

"..اللَّهُ ابْتَعَثَنَا، وَاللَّهُ جَاءَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمَنْ جَوَّرَ الْأَدْيَانَ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلْنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبَلَ مِنْ ذَلِكَ قَبَلْنَا ذَلِكَ مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَتَرَكْنَاهُ وَأَرْضَهُ يَلِيهَا دُونَنَا، وَمَنْ أَبِي قَاتَلْنَا أَبَدًا، حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ، قَالَ: وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ؟

قال: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالٍ مِنْ أَبِي، وَالظُّفْرُ لِمَنْ بَقِيَ فَقَالَ رُسُومٌ: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تُؤَخَّرُوا هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى نَنْظُرَ فِيهِ وَتَنْظُرُوا! قَالَ: نَعَمْ، كَمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ؟ أَيُّوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: لَا بَلْ حَتَّى نُكَاتِبَ أَهْلَ رَأْيِنَا وَرُؤَسَاءَ قَوْمِنَا وَأَرَادَ مُقَارَبَتَهُ وَمُدَافَعَتَهُ، فَقَالَ: إِنَّ مِمَّا سَنَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَمِلَ بِهِ أَمَمْتُنَا، أَلَا نُمَكِّنُ الْأَعْدَاءَ مِنْ آذَانِنَا، وَلَا نُوجِّهُهُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثٍ، فَحَنْ مُتَرَدِّدُونَ عَنْكُمْ ثَلَاثًا، فَانظُرْ فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ، وَاخْتَرْ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ بَعْدَ الْأَجَلِ، اخْتَرِ الْإِسْلَامَ وَنَدْعُكَ وَأَرْضَكَ، أَوْ الْجَزَاءَ، فَتَقْبَلُ وَنَكْفُ عَنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ عَنْ نَصْرِنَا غَنِيًّا تَرَكْنَاكَ مِنْهُ، وَإِنْ كُنْتَ إِلَيْهِ مُحْتَاجًا مَنَعْنَاكَ أَوْ الْمُنَابَذَةَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ، وَلَسْنَا نَبْذُوكَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ إِلَّا أَنْ تَبْدَأَنَا، أَنَا كَفَيْلُ لَكَ بِذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِي وَعَلَى جَمِيعِ مَنْ تَرَى قَالَ: أَسَيْدُهُمْ أَنْتَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَسَدِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، يُجِيرُ أَدْنَاهُمْ عَلَى أَعْلَاهُمْ فَخَلَصَ رَسْمَ بَرُوسَاءِ أَهْلِ فَارِسَ، فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ؟ هَلْ رَأَيْتُمْ كَلَامًا قَطُّ أَوْضَحَ وَلَا أَعَزَّ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ لَكَ أَنْ تَمِيلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَتَدَعَ دِينَكَ لِهَذَا الْكَلْبِ! أَمَا تَرَى إِلَى ثِيَابِهِ! فَقَالَ: وَيَحْكُمُ لَا تَنْظُرُوا إِلَى الثِّيَابِ، وَلَكِنْ انظُرُوا إِلَى الرَّأْيِ وَالْكَلامِ وَالسِّيَرَةِ، إِنَّ الْعَرَبَ تَسْتَحْفُ بِاللِّبَاسِ وَالْمَأْكَلِ وَيَصُونُونَ الْأَحْسَابَ، لَيْسُوا مِثْلَكُمْ فِي اللَّبَاسِ، وَلَا يَرَوْنَ فِيهِ مَا تَرَوْنَ" (1).

¹ - الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، المتوفى: 310هـ، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، 520/2-521.

الخلاصة في أثر الفكر الإرجائي في الإيمان، هي ما يأتي من نقاط:

- 1- الفكر الإرجائي مصدرٌ للحيرة، ومبعثٌ للتردد والشك والزندقة والمروق من الدين الحنيف.
 - 2- الفكر الإرجائي باعث قلقٍ، وشقاء نفسٍ، وعدم هدوء بالٍ، ومفارقةٍ لبرد اليقين والطمأنينة.
 - 3- الفكر الإرجائي حادٍ- بصوتٍ عالٍ- لإحلال روح الإتكالية واللامبالاة في إيمان الفرد والجماعة، وداعياً للتهاون والنسيبُ تجاه أوامر الله- تعالى- ونواهيه.
 - 4- الفكر الإرجائي سبب رئيس في تبيد العزيمة، وتشتت الرأي، والإخلاق لإملاءات الهوى، وإهمال جانب الالتزام بالعمل، الذي أُخرج من حقيقة الإيمان وفقاً لمفهوم الفكر الإرجائي المتهافت.
 - 5- الفكر الإرجائي ماحقٌ للفروق العقدية بين دين الإسلام الحنيف، وبين باقي الملل والنحل الباطلة، واعترافٌ ضمّنيّ بها، فإبليس(اللعين)، وفرعون وجنودهما، وأبو جهلٍ وأبو لهبٍ ومن شاكلهم و وافقهم، وكل من عرف الله معرفة مجردة عن الطاعة والالتزام فهو(مؤمنٌ)!!!
وهنا وبعد ما سبق من بيانٍ لخلاصة أثر الفكر الإرجائي في الإيمان، أهمس في أذن المؤمن الحاذق اللبيب، بسؤالٍ يطرحه على نفسه، ويجيب عليه بنفسه، وهو ما يأتي:
هل رأيت مرضاً عُضالاً أشد فتكاً بإيمان المؤمن من هذا المرض العضال، وأفسد لدينه من هذا الوباء القتال؟؟؟
- فالمصيبة حينما تكون في الدين هي أم المصائب، كإصابة الدماغ أو القلب، وكل مصيبة في غير الدين تجد لها سلوى في الإيمان بالله، والصبر على أمر الله - تعالى - ، وتجديد الهمة بالاستعانة بالله والتوكل عليه - عز وجل- والاجتهاد في الأخذ بالأسباب لتغيير الواقع.
- وأقول في نهاية هذا المطلب: انطلاقاً من مفهوم فقه (الأولويات) لا توجد قضية ملحة في أزمة الأمة الإسلامية اليوم أكثر إلحاحاً من قضية الفهم الصحيح للإيمان، وليس هنالك قضية أولى من تصحيح عقائد الأمة، خاصة في هذه الأيام، وذلك لمواجهة كل انحرافٍ في العقيدة، وخاصة مواجهة هذا الفكر(الفكر الإرجائي) المتهافت الممجوج، والمُتمثل في هذه البدعة العقدية الطارئة والدخيلة، والذي جعل من دين الإسلام شكلاً من دون مضمون، ورسماً من دون محتوى ، ومسمى (إيمان) لا يحرك إلى عمل، ولا يحول دون اجتراح سيئة، أو زيغٍ عن جادة الحق، أو جنوح إلى الهوى، فلا يعدو هذا الفهم للإيمان، أكثر من (إيمان) تمنياتٍ، ونسيانٍ للواقع والذات، وإغراقٍ للنفس في المنى والشهوات، وتواكلٍ في النتائج على ما هو آت.

المطلب الثاني: أثر الفكر الإرجائي في العمل والسلوك، وفيه مسألتان.

المسألة الأولى: أثر الفكر الإرجائي في العمل.

المتأمل في مفهوم الفكر الإرجائي يلحظ من مفهوم معناه اللغوي، أن أسه التأخير والتأجيل، ومغادرة صفحة الواقع هي السمة الغالبة عليه، فلا عجب أن يكون أثره مُنطلقاً من بُنيته وأصله، وأن يكون نصيب العمل فيه قليل، أو يكاد أن يكون معدوماً، فلا انفصام في مفهوم الإيمان بين الإيمان كتصديق والعمل كثمرة للتصديق، فمضمون الإيمان التصديق والعمل ولا بد.

قال عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل: "... فالدينُ التَّصَدِيقُ بِالْعَمَلِ كَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَكَمَا أَمَرَ أَنْبِيََاءَهُ وَرُسُلَهُ بِإِقَامَتِهِ: وَالتَّفَرُّقُ فِيهِ تَرْكُ الْعَمَلِ، وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ } [التوبة: 9 الآية: 11] فَالتَّوْبَةُ مِنَ الشَّرِكِ جَعَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلًا وَعَمَلًا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَقَالَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ: لَيْسَ الصَّلَاةُ وَلَا الزَّكَاةُ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْفَرَائِضِ مِنَ الْإِيمَانِ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخِلَافًا لِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَلَوْ كَانَ الْقَوْلُ كَمَا يَقُولُونَ لَمْ يُقَاتِلْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَهْلَ الرِّدَّةِ " ، وَقَالَ الْفُضَيْلُ رَحِمَهُ اللَّهُ: " يَقُولُ أَهْلُ الْبِدْعِ: الْإِيمَانُ الْإِفْرَارُ بِلَا عَمَلٍ وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُ النَّاسُ بِالْأَعْمَالِ، وَلَا يَتَفَاضَلُونَ بِالْإِيمَانِ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ خَالَفَ الْأَثَرَ وَرَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلُهُ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٍ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» وَتَفْسِيرُ مَنْ يَقُولُ الْإِيمَانُ لَا يَتَفَاضَلُ يَقُولُ: إِنَّ الْفَرَائِضَ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ، فَمَيَّزَ أَهْلُ الْبِدْعِ الْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَقَالُوا: إِنَّ فَرَائِضَ اللَّهِ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفُرْيَةَ، أَخَافُ أَنْ يَكُونَ جَاحِدًا لِلْفَرَائِضِ، رَادًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَهُ، وَيَقُولُ أَهْلُ السُّنَّةِ: إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَرَنَ الْعَمَلَ بِالْإِيمَانِ وَأَنَّ فَرَائِضَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْإِيمَانِ، قَالُوا { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } [محمد: 47 الآية: 2] فَهَذَا مَوْصُولُ الْعَمَلِ بِالْإِيمَانِ وَيَقُولُ أَهْلُ الْإِرْجَاءِ: إِنَّهُ مَقْطُوعٌ غَيْرُ مَوْصُولٍ، وَقَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ } [النساء: 4 الآية: 124] فَهَذَا مَوْصُولٌ وَأَهْلُ الْإِرْجَاءِ يَقُولُونَ بَلْ هُوَ مَقْطُوعٌ، وَقَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ { وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ } [الإسراء: 17 الآية: 19] فَهَذَا مَوْصُولٌ وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَشْبَاهِ ذَلِكَ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ:

هُوَ مَوْصُولٌ مُجْتَمِعٌ ، وَأَهْلُ الْإِرْجَاءِ يَقُولُونَ هُوَ مَقْطُوعٌ مُتَفَرِّقٌ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ لَكَانَ مَنْ عَصَى وَارْتَكَبَ الْمَعَاصِيَ وَالْمَحَارِمَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ سَبِيلٌ وَكَانَ إِفْرَارُهُ يَكْفِيهِ مِنَ الْعَمَلِ، فَمَا أَسْوَأَ هَذَا مِنْ قَوْلٍ وَأَفْبَحَهُ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ " وَقَالَ فَضَيْلٌ: «أَصْلُ الْإِيمَانِ عِنْدَنَا وَفَرَعُهُ بَعْدَ الشَّهَادَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَبَعْدَ الشَّهَادَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِالْبَلَاغِ وَبَعْدَ آدَاءِ الْفَرَائِضِ صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ، وَتَرْكُ الْخِيَانَةِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَالنَّصِيحَةُ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَالرَّحْمَةُ لِلنَّاسِ عَامَّةً»، قِيلَ لَهُ يَعْنِي فَضَيْلًا هَذَا مِنْ رَأْيِكَ تَقُولُهُ أَوْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: بَلْ سَمِعْتَهُ وَتَعَلَّمْتَاهُ، وَلَوْ لَمْ آخُذْهُ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْفَضْلِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ "، وَقَالَ فَضَيْلٌ: " يَقُولُ أَهْلُ الْإِرْجَاءِ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ وَيَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ: الْإِيمَانُ الْمَعْرِفَةُ بِلَا قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ، وَيَقُولُ أَهْلُ السُّنَّةِ: الْإِيمَانُ الْمَعْرِفَةُ وَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ، فَمَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ فَقَدْ أَخَذَ بِالْوَثِيقَةِ، وَمَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ فَقَدْ خَاطَرَ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْقَبُلُ إِفْرَارُهُ أَوْ يُرَدُّ عَلَيْهِ بِدُنُوبِهِ "، وَقَالَ يَعْنِي فَضَيْلًا: قَدْ بَيَّنْتُ لَكَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ أَعْمَى "، وَقَالَ فَضَيْلٌ: " لَوْ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ مَا كَلَّمْتُهُ مَا عِشْتُ، وَقَالَ: إِذَا قُلْتَ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَهُوَ يَجْزِيكَ مِنْ أَنْ تَقُولَ أَنَا مُؤْمِنٌ، وَإِذَا قُلْتَ: أَنَا مُؤْمِنٌ لَا يَجْزِيكَ مِنْ أَنْ تَقُولَ آمَنْتُ بِاللَّهِ، لِأَنَّ آمَنْتُ بِاللَّهِ أَمْرٌ، قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ} [البقرة: 2 الآية: 136] وَقَوْلُكَ أَنَا مُؤْمِنٌ تَكَلَّفٌ لَا يَضُرُّكَ أَنْ لَا تَقُولَهُ وَلَا بَأْسَ إِنْ قُلْتَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِفْرَارِ وَأَكْرَهُهُ عَلَى وَجْهِ التَّزْكِيَةِ "، وَقَالَ فَضَيْلٌ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى إِلَيَّ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ فَهُوَ عِنْدَنَا مُؤْمِنٌ وَالنَّاسُ عِنْدَنَا مُؤْمِنُونَ بِالْإِفْرَارِ وَالْمَوَارِيثِ وَالْمُنَاكِحَةِ وَالْحُدُودِ وَالذَّبَائِحِ وَالنُّسُكِ وَلَهُمْ ذُنُوبٌ وَخَطَايَا لِلَّهِ حَسِيبُهُمْ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ عَفَرَ لَهُمْ، وَلَا نَدْرِي مَا هُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ فَضَيْلٌ سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ الضَّبِّيَّ يَقُولُ: مَنْ شَكَّ فِي دِينِهِ فَهُوَ كَافِرٌ وَأَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ فَضَيْلٌ: «الْإِسْتِنْتَاءُ لَيْسَ بِشَكٍّ» وَقَالَ فَضَيْلٌ: " الْمُرْجئةُ كُلَّمَا سَمِعُوا حَدِيثًا فِيهِ تَخْوِيفٌ، قَالُوا: هَذَا تَهْدِيدٌ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَخَافُ تَهْدِيدَ اللَّهِ وَتَحْذِيرَهُ وَتَخْوِيفَهُ وَوَعِيدَهُ وَيَرْجُو وَعْدَهُ، وَإِنَّ الْمُنافِقَ لَا يَخَافُ تَهْدِيدَ اللَّهِ وَلَا تَحْذِيرَهُ وَلَا تَخْوِيفَهُ وَلَا وَعِيدَهُ وَلَا يَرْجُو وَعْدَهُ "، وَقَالَ فَضَيْلٌ: [ابن عياض] «الْأَعْمَالُ تُحْبَطُ الْأَعْمَالُ، وَالْأَعْمَالُ تُحُولُ دُونَ الْأَعْمَالِ»⁽¹⁾.

¹ - عبد الله بن أحمد بن حنبل، 213-290هـ=828-903م، هو عبد الله بن الإمام أحمد ابن محمد بن حنبل بن هلال، الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد أبو عبد الرحمن ابن شَيْخِ الْعَصْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الذُّهَلِيِّ الشَّيْبَانِي المروزي ثم البغدادي، سير أعلام النبلاء ط الحديث، 10/ 519، الأعلام للزركلي، 65/4، كتاب السنة لعبد الله بن أحمد، 1/ 375.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض هذا المعنى : ".....{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [الإسراء: 17 الآية 19]، فالزم الاسم العمل، والعمل الاسم.

والمقصود هنا أنه لم يثبت المدح إلا على إيمان معه العمل، لا على إيمان خال عن عمل، فإذا عرف أن الذم والعقاب واقع في ترك العمل كان بعد ذلك نزاعهم لا فائدة فيه، بل يكون نزاعاً لفظياً مع أنهم مخطئون في اللفظ، مخالفون للكتاب والسنة، وإن قالوا: إنه لا يضره ترك العمل فهذا كفر صريح، وبعض الناس يحكى هذا عنهم، وأنهم يقولون: إن الله فرض على العباد فرائض، ولم يرد منهم أن يعملوها، ولا يضرهم تركها، وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون: لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد، لكن ما علمت معيناً أحكى عنه هذا القول، وإنما الناس يحكونه في الكتب ولا يُعَيَّنُونَ قائله، وقد يكون قول من لا خلاق له؛ فإن كثيراً من الفساق والمنافقين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب أو مع التوحيد، وبعض كلام الراديين على المرجئة وصفهم بهذا " (1) ، وبهذا يتحرر القول في مسألة الفصم بين الإيمان والعمل عند (أهل الإرجاء) بأنه رأي لا قوام له من حجة، ولا يثبت امام البحث العلمي الموضوعي، والقول به مبعثٌ تسيبٍ وتحلُّلٍ من التكاليف الشرعية وهروبٍ من القيام بالواجبات، بحجة تَوَفُّرِ (الإيمان) - الذي يعني في مفهومهم المتهالك والمنقوض بالحُججِ الباهرة (الإيمان هو مجرد المعرفة أو التصديق)!!

المسألة الثانية: أثر الفكر الإرجائي في السلوك.

من المعلوم بالضرورة أن الفكر يظهر آثاراً على الجوارح سلوكاً وحركات، والسلوك تُمَثَّلُ ثمار الفكر والمعتقدات، والتلازم بين الفكر والسلوك أمرٌ بدهي، فلا انفصام بينهما، ولا انفصال، لذا كان المنطلق من الفهم السقيم عند(أهل الإرجاء) يقتضي تحقق(الإيمان) بمجرد المعرفة، أو التصديق، والسلوك طليق تحكمه الشهوات، وتوجهه الأهواء، وترسمه السياسات!!! وليس من برهانٍ يدل على ذلك أوضح من متابعة سلوكيات مَنْ يدَّعون الإسلام، ولا يُحَكِّمُونَ الإسلام في السلوك والمعاملات والسياسات، فتراهم ينتهكون المحرمات، مع انعدامٍ صارخ في تركهم للفرائض والواجبات، ويقطعون بأنهم من أصحاب الرضوان، وسكان الجنان، بحجة أنهم مؤمنون، وإيمانهم أقوى من رواسي الجبال! فدعواهم باطلة بغياب برهانها، ألا وهو العمل والسلوك، قال- تعالى-

¹ - ابن تيمية، الإيمان لابن تيمية، (ص: 145).

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) }
[الصف: 61: الآيات: 2، 3]. قال الشاعر:

والدعاوي ما لم تقم عليها م بيئات أصحابها أدياء⁽¹⁾.

وقال الشاعر ابو العتاهية:

وكلٌ يدعى وصلاً بسلمى وسلمى لا تقرُّ لهم بذاك

إذا اشتبكت دموع في جفونٍ تبين من بكى ممن تباكى

فأما من بكى فيذوب وجداً وينطق بالهوى من قد تباك

ولو أني استطعت كفتت طرفي فلم أبصر به.... حتى أراكا⁽²⁾.

فلو أنهم صدقوا الله - عز وجل - في إيمانهم لظهرت آثار الإيمان في سلوكهم ثماراً طيبةً،
والتزاماً بأحكام الشرع، ودعوةً جادةً حثيثةً لدين الإسلام الحنيف، وجهاداً في سبيل الله ، وأفعالٍ
برٍ ومعروفٍ، ونصيحةً لعباد الرحمن عز وجل!!

أما التسبب، والانفلات من كل الأوامر والنواهي التكليفية، الذي هو سِمَتُهُم، فما هو إلا حصادٌ
لازمٌ، ونتائجٌ حتميةٌ للفكر الإرجائي الضلالي، والذي طغى على عقولهم المعكوسة، وقلوبهم
المنكوسة في غياهب التيه، وظلمات الضلالة والهوى.

"... ففكر الإرجاء مثلاً، أبعد العقيدة عن مضمونها الحقيقي، ففصل بين القول والعمل، وأفسد
النفوس بعقيدة ترى أن ارتكاب جميع المحرمات، وترك جميع الطاعات لا يذهب شيئاً من
الإيمان من أجل ألا يقعوا في قضية التكفير بالكبيرة، شأن الخوارج وكان من آثار هذا الفكر أن

¹- الحلاج، (000 - 309 هـ = 000 - 922 م) الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث: فيلسوف، يعد تارة
في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في الملحدين. أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق (أو بتستر) وانتقل
إلى البصرة، وحجَّ، ودخل بغداد وعاد إلى تستر. وظهر أمره سنة 299هـ فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد
والإيمان. ثم كان ينتقل في البلدان وينشر طريقته سرا، وقالوا: إنه كان يأكل يسيرا ويصلي كثيرا ويصوم الدهر،
وإنه كان يظهر مذهب الشيعة للملوك (العباسيين) ومذهب الصوفية للعامة، وهو في تضاعيف ذلك يدعي حلول
الإلهية فيه. الزركلي، الأعلام، 260/2.

²- أبو العتاهية ، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (4/ 186، بترقيم الشاملة آليا).

رضي الناس بإبعاد الشريعة عن واقع الحياة والناس، وشجعت مبررات المرجئة الملاحدة والفسقة على ارتكاب المعاصي علناً، ما داموا لا يجدون رادعاً، وما دام فكر الإرجاء يحكم لهم بالإيمان ويستهنين بقضية المعاصي لأنها من الأعمال التي لا علاقة لها بالإيمان..⁽¹⁾.

وأخلص في النهاية، إلى أن الأثر السلبي للفكر الإرجائي في السلوك، قد تعدى سلوك الفرد إلى حال الأمة الإسلامية، بشكل عام، إلا من رحم الله - تعالى - فذهبت الأمة بمصائبه، التي من أظعها، التوطئة والتمهيد، لقبول فكرة (اللاينية) أو ما يُسمى ب (العلمانية) الطاغية اليوم على تفكير الأجيال، فالدين-حسب فهمهم- بينك وبين ربك، والدين في المسجد ولا علاقة له في شؤون الحياة، فدع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله!!!

فكانت الداهية الفكرية الكبرى، في الدائرة الأولى، وبل في النواة الصلبة، للمسلمين الملتزمين بالإسلام، العاملين من أجل عِزِّه ورفع رايته، بُبُرُوز وظهور أزمة العقل المسلم في الفكر، وفي التوجه في المسار لإعادة مجد الإسلام، وذلك باستلام زمام الريادة في مقدمة الأمم.

أجل... إنها أزمة العقل المسلم، التي تشغل العديد من المفكرين المسلمين في هذا العصر، فمنهم من كتب وألف في إحدى أزمت الأمة، مثل عبد الحميد أبو سليمان⁽²⁾ في كتابه (أزمة العقل المسلم)، والذي شخّص وطرح حلولاً للنقاش والدراسة والتداول، علّها تعود(بتغذية راجعة) تخدم أو تساهم في حل أزمة الأمة، حسب رأيه مرجحاً في كتابه أن أزمة الأمة اليوم هي أزمة فكر، فهذا الطرح أراه وجيهاً - في نظري- لأن تشتت الفكر يوصل إلى تشتت في الكلمة، فلزم منها انعدام الوحدة في الصف، فلزم منه التشتت في الرأي وفقدان(البوصلة) في التوجّه.

¹ - مجموعة من المؤلفين، نتائج البحوث وخواتيم الكتب، 2/ 366، بترقيم الشاملة آليا.

² - عبد الحميد أبو سليمان، ولد بمكة المكرمة عام 1355هـ / 1936م. تحصل في مكة على تعليمه الابتدائي والثانوي، وتخرج في مدرسة تحضير البعثات سنة 1374هـ/1955م.حصل على بكالوريوس التجارة في قسم العلوم السياسية عام 1378هـ / 1959م، من كلية التجارة بجامعة القاهرة . حصل على درجة الماجستير في العلوم السياسية من كلية التجارة بجامعة القاهرة، سنة 1381هـ/1963م.وحصل على درجة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة بنسلفانيا بفيلاذلفيا في الولايات المتحدة عام (1393هـ / 1973م).

الموسوعة الحرة ويكيبيديا .

المطلب الثالث: أثر الفكر الإرجائي في عدم نهوض الأمة وفيه مسألتان.

المسألة الأولى: أثر الفكر الإرجائي في عدم نهوض الأمة.

الساير لحال الأمة الإسلامية في مسألة نهوضها من كبوتها، يجد أن المُعَوِّقات التي تحول بين الأمة والنهوض ليست مُعَوِّقات مادية أو ندره بشرية، فالإمكانات المادية والثروات الطبيعية هائلة جداً، والعدد والعدة حَدَّتْ ولا حرج، وذلك الفضل من الله تعالى.

أما ما دُهِيت به الأمة الإسلامية، وأصابها من المقتل بـمكان، فهو الانحراف العقائدي، والذي بدأت آثاره منذ أن تسربت الأفكار الفلسفية الدخيلة إلى عقيدة المسلمين، ووجدت الفلسفات الفارسية، واليونانية مَحَلًّا لها في نفوسهم، فكان الانحراف في مُجَاراة الفلاسفة في تحكيمهم (العقل المجرد والمنطق) كْمُهَيْمِن على القبولِ أو الردِ لأية عقيدة.

والذي يعنينا في هذا المقام هو الفكر الإرجائي، وآثاره الفتاكة في عقيدة الأمة الإسلامية ونهوضها، والذي مَثَّلَ أحد هذه الانحرافات، والذي وضَّحَتْ طريق دخوله على أيدي(صنعيي) أبحار اليهود، ورهبان النصارى، وذلك في معرض البحث في نشأة الفكر الإرجائي في الفصل الأول من هذه الدراسة التحليلية، وأنه(أي الفكر الإرجائي) مَبَعَثٌ تَسْيُبُ وتراخٍ وخمول، وليس مبعث همةٍ وحيوية وحركة، وذلك لما مر معنا من بيان، فقوامه التأخير والإرجاء، والهروب من الواقع إلى آمالٍ وتطلعات في نهاية المطاف هي محسومةٌ بالنسبةِ إليه، فالجنة هي المأوى ما دام (يعرف الله) وبه يُصَدِّق على حد زعمه وفهمه!

وهذا الفهم رسَّخ في عقول وقلوب حامليه مفهوم (الأناية) والعيش في حدود شهوة الذات، دون الالتفات إلى أي تكليفٍ إلهي، وهنا تحكَّمت شهوات النفس في تسيير دفة مساره، وتحكَّمت الأهواء في مبدأ انطلاقه، وتربعت (المصلحة) على عرش سياساته،

فوجد نفسه (ميكافيلياً)⁽¹⁾ مبدؤه الغاية تبرر الوسيلة، والنفع الذاتي هو ما يُحدد علاقاته بالفرد والمجتمع فالنفع وتحقيق المصالح الذاتية فقط هي بوصلة الحراك لديه، بعيداً عن الحل أو الحرمة، فالذنب في النهاية مغفور، وجسده محرم على النار ما دام (موحداً) على حد مفهومه للتوحيد، فمهما اقترف من ذنوب وكبائر فهو محرّم الجسد على النار!!

فتراه يردد حديث النبي ﷺ (من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله؛ حرم الله عليه النار)⁽²⁾، دون فقهٍ منه للحديث، وبعيداً عن فهم الحديث الشريف من حيث الإطلاق والتقييد ، والإجمال والبيان، والإحكام والتفصيل، والعموم والخصوص، والمبهم والمفسر، والناسخ والمنسوخ، إلى غير ذلك من آليات الفقه والاستنباط للأحكام الشرعية من النصوص الشرعية، ولا عليه بعد ذلك من تعاملٍ بالربا لأن (المصلحة) تقتضي ذلك، وتحقيق المصلحة ضرورة، من باب فهمه العقيم بأن كل ما ينقصه (ضرورة) وقس على ذلك في كل المعاملات المالية والاجتماعية والسياسية، حتى بلغ الأمر بالبعض من (المتزعمين) لا يأبه بعقيدة الولاء والبراء، تحت مُصطلح (مصلحة الدعوة) هذا المصطلح الذي استُخلت به محارم الله بأدنى الحيل، وأصبح مفتاحاً عند فراخ المرجئة لكل الموانع والمغاليق الشرعية، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله تعالى بأدنى الحيل)⁽³⁾.

قال الألباني : "..... في الحديث الصحيح: «لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوا ثم باعوها وأكلوا أثمانها، وإن الله إذا حرم أكل شيء حرم ثمنه» هذا الحديث من الأحاديث التي قلما نسمعها من أسنة الخطباء والوعاظ وهو من الأحاديث المهمة جداً التي تحذر المسلمين أن يقعوا فيما وقع فيه اليهود من قبلهم، وحذرهم رسول الله ﷺ ، من أن يقعوا في مثل ما وقعوا

¹ - نيكولو دي برناردو دي ماكيافيلّي) بالإيطالية(Niccolò di Bernardo dei Machiavelli : 3) مايو 21 - 1469 يونيو (1527 ولد وتوفي في فلورنسا، ^[1] كان مفكراً وفيلسوفاً سياسياً إيطالياً إبان عصر النهضة ^[2]. أصبح ميكافيلّي الشخصية الرئيسية والمؤسس للتتنظير السياسي الواقعي، والذي أصبحت فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي. أشهر كتبه على الإطلاق، كتاب الأمير، ^[3] والذي كان عملاً هدف ميكافيلّي منه أن يكتب تعليمات لحكام، نُشر الكتاب بعد موته، وأيد فيه فكرة أن ما هو مفيد فهو ضروري، والتي كان عبارة عن صورة مبكرة للنفعية والواقعية السياسية. ولقد فُصلت نظريات ميكافيلّي في القرن العشرين. الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

² - مسلم، صحيح مسلم، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك، 57/1.

³ - النميري، أبو عبد الله أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميري الحرّاني الحنبلي (المتوفى: 695هـ) ، صفة الفتوى، باب صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، تحقيق الألباني، ص: 28، وقال حديث حسن، وأخرجه ابن بطة في جزء إبطال الحيل عن أبي هريرة إسناده جيد: آداب الزفاف (ص 120).

هم فيه في الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لنتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن!» أو قال: «فمن الناس!»⁽¹⁾.

وأقول محذراً- القول للألباني- : وهذا النوع من الارتكاب والاستحلال لما حرم الله عز وجل بأدنى الحيل قد وقع أيضاً فيه كثير من المسلمين في بعض معاملاتهم وعقودهم: من أشهر ذلك نكاح التحليل الملعون فاعله، في السنة الصحيحة بقوله ﷺ: «لعن الله المحلل والمحلل له»⁽²⁾ ومع ذلك فلا يزال في المسلمين اليوم بعض المتفهمة يجيزون نكاح التحليل رغم لعن النبي ﷺ فاعله كمثل ما سمعتم أنفاً..⁽³⁾.

وأما باب الردة المفتوح على مصراعيه، فلا يحرك في (فراخ المرجئة) ساكن، وجوابهم لك إذا اشتاط غضبك لله على المارقين بأقوالهم وأفعالهم، دعنا من (أصوليتك) فنحن دعاة لا قضاة فدع الخلق للخالق! فوحدة الأمة أولى من تفرقها، وهنا يتضح الأمر، ويستبين المخبوء، وهو أن الأهداف السياسية تتحكم في الدين، وليس الدين يحدد السياسات، والمعاملات والعبادات، والأخلاق وكل شؤون الحياة.

يقول مدحت آل فراج: "..انظر رحمك الله إلى قول: «بعض من يدعي العلم» وأمعن فيه النظر تجد أن هذه الصفة متطابقة تماماً على أهل الإرجاء الخبيث، الذين يريدون أن يغلقوا باب الردة ونواقض الإسلام، حتى لا يقوموا المقام الذي أمرهم الله به تجاه الردة والمرتدين، من البراءة منهم، وجهادهم حتى يرجعوا إلى الإسلام، أو يقتلوا حسماً لمادة شرهم»⁽⁴⁾.

¹ - البخاري، صحيح البخاري، باب ما ذكر عن بني اسرائيل، 169/4، رقم 3456.

² - الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، باب حرف اللام، رقم (5101)، 908/2.

³ - الألباني، موسوعة الألباني في العقيدة، باب بيان خطر الشرك، 141/2.

⁴ - آل فراج، مدحت بن الحسن آل فراج، فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد(ص: 71).

وأفهم من هذا الموقف هو الهروب من الواقع، والتصل من أعباء حمل التكاليف الشرعية، عند أهل هذا الفكر الخبيث، فكيف يساهم هذا النوع من الفكر في نهوض أمة، وهو عامل خمول وتقايسٍ عن حمل أعباء التكاليف الشرعية، من بذل جهدٍ وعطاء، وصبرٍ على تنغصٍ عيشٍ؟! هذا عند من تتوفر عنده النية في النهوض بالأمة على الأقل، فكيف بمن قبلته النفعية الذاتية، أو المصلحة الفتوية، أو المنجزات الحزبية، التي يسخر في سبيلها كل فهم!

وشيء آخر حينما تتقاطع المصالح مع الغير، تجد تغييراً للمفاهيم، واستبدالاً للأحكام، بحجة تغيير الأحوال، والفتيا تُقدر زماناً ومكاناً وشخصاً!

أجل... بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) رضي الله عنه، إنها كلمة حق أُريد بها باطل، كما قالها للخوارج في عصره، فما أشبه اليوم بالبارحة.

جاء في صحيح مسلم (.. حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، وَيُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ الْأَشَجِّ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْحُرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ، وَهُوَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ عَلِيٌّ: كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَفَ نَاسًا، إِنِّي لَأَعْرِفُ صِفَتَهُمْ فِي هَؤُلَاءِ، «يَقُولُونَ الْحَقَّ بِالْسِنْتِهِمْ لَا يَجُوزُ هَذَا، مِنْهُمْ، - وَأَشَارَ إِلَى حَلْفِهِ - مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَسْوَدُ، إِحْدَى يَدَيْهِ طُبِي شَاةٌ أَوْ حَلْمَةٌ تُدْيِي» فَلَمَّا قَتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انظُرُوا، فَانظُرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا، فَقَالَ: ارْجِعُوا فَوَ اللَّهُ، مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَجَدُوهُ فِي خَرِيَّةٍ، فَأَتَوْا بِهِ حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَأَنَا حَاضِرٌ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَقَوْلِ عَلِيٍّ فِيهِمْ "، زَادَ يُونُسُ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ بُكَيْرٌ: وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ عَنِ ابْنِ حُنَيْنٍ أَنَّهُ، قَالَ: رَأَيْتُ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ⁽¹⁾.

لَوْ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ{[الشورى:42، الآية 30]، فحرام الأمس حلال اليوم وحلال اليوم حرام الغد، وهكذا فأينما وُجِدَت المصلحة كان (الحلال)، أو الأولى، في فقه الأولويات، أو أهون الشرين وأخف الضررين، فسادت الميوعة إلى درجة فقدان الموازين، وغياب الأصول والقواعد، وانعدام الثوابت، وبطغيان هذا الفكر الخبيث، أضحي الجمع

¹ - مسلم، صحيح مسلم، رقم (1066)، باب التحريض على قتل الخوارج، 2 / 749.

الواحد، محاور شتى، وطرائق قدها، فكان الفشل تلو الفشل، وذهبت الريح، وتشتت الجهود، وتسلط الخصم، فحملة هذا الفكر المائع المميع لا يمكنه تحقيق مبعثٍ إلى نهوض، بل العكس، فقد تسبب بالفعل في الجناية على نهوض الأمة من كبوتها، وبقظتها من غفلتها، وهدايتها من غياهب التيه، الذي دُهِيت به من أصحاب الفكر الإرجائي الخبيث ، وأهل الأهواء، وكيد الخصوم والأعداء.

ولقد صدق الإمام ابن القيم:

".... مَا تَبْلُغُ الْأَعْدَاءَ مِنْ جَاهِلٍ ... مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ.

الهمة العلية من استعد صاحبها للقاء الحبيب وقدم التقادم بين يدي الملتقى فاستبشَرَ عند القوم { وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } [البقرة:2 الآية 223] تالله ما عدا عَلَيْكَ الْعَدُوِّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَوَلَّى عَنْكَ الْوَلِيُّ فَلَا تَظُنْ أَنَّ الشَّيْطَانَ غَلَبَ وَلَكِنَّ الْحَافِظَ أَعْرَضَ أَحْزَرَ نَفْسَكَ فَمَا أَصَابَكَ بَلَاءٌ قَطَّ إِلَّا مِنْهَا.."⁽¹⁾.

فغياب الهمة والتراخي والهوان والضعف، لن تحرك إلى نهوض، لسبب بديهي ووجيه، وهو أن فاقد الشيء لا يعطيه، ولا تُنال المعالي بالأحلام والعود!!

وبعد أن سلمنا أن عظام الأمور ليس لها إلا أهل العزائم، فلا بد للضعفاء من منحى يبرر ضعف همهم، ويبقي على ماء وجوههم، أمام مُصدِّقِيهم والمفتونين بهم، ألا وهو الإرجاء، في الموقف، والسلوك، والفتيا، في إطار (الميوعة والتفويض)، وهذا ما كان من رؤوسهم سابقاً، فكيف بفرأخهم ومقلديهم، الأضعف همّةً، واهون شأنًا.

".... فالإرجاء إذن مذهب سياسي - أو قل: موقف سياسي - اتخذ طابع البحث في أوليات العقائد مع استشراف تلك الموجة في بداية عصر الأمويين وظهور علم الكلام - كما بينا عوامل ذلك في مقدمة أسباب الاختلاف - كان موقفاً سياسياً من الحكام الظالمين، يوم أن كانوا لا يزالون يحكمون شرع الله، وإن تجاوزوا الحد وأفرطوا في الظلم، ثم استمر على ذلك النهج منهجاً

¹ - ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ، وهو تلميذ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الفوائد لابن القيم، ص: 68.

للضعاف ممن يريدون مهادنة الظالم وتبرير مواقف الضعف والخزي، حتى وإن تجاوز الظلم إلى الكفر، ومن هنا نرى أن المرجئة لم يكونوا هدفاً للسلطة الغاشمة الظالمة في عصر من العصور، بل كان منهم شعراء وعمال للحكام، كتأبب قطنة⁽¹⁾ الذي كان والياً ليزيد بن المهلب² على بعض الثعور، بل إنه مذهب يصلح أن يدعيه الحاكم نفسه ليكون برداً وسلاماً على كافة الطوائف المبتدعة، فالمرجئة - إذن - في صلح خفي ومهادنة غير مكتوبة مع الحاكم يتمتعون بالحرية في الحركة والقول جميعاً، بينما يُضرب على يد من سواهم من أهل السنة والجماعة، كما حدث لأئمة الفقه والحديث، كمالك وأحمد بن حنبل وابن تيمية، وكثيرين غيرهم ممن اتبعوا منهج السلف الصالح في الفهم عن الكتاب والسنة، وليست هذه هي الكلمة الأخيرة عن الإرجاء والمرجئة كما قدمت في أول المقال، ولكنها نفثة غلت في الصدر وارتج بها القدر، فلم يكن بُدّ من إظهارها!⁽³⁾.

لقد ثبت لنا فيما سبق أن الفكر الإرجائي مدعاة للتسيب والتحلل من المسؤوليات والقيم، ودعائه أسرى شهواتهم الذاتية، وهم عبيدٌ وخدمٌ لمن توفرت عنده مصالحهم من أصحاب السلطان، والجهات المنتفذة في الدول والحكومات، ولا قيمة لهم ولا حساب لدى مُستعمليهم، شأنهم (كدواب السواقي) فلا التفات إليهم بعد قضاء الحاجة منهم، بل و فوق هذا فهم يحملون عدداً من أسباب الانتكاس والسقوط للحضارات، تلك الأسباب المُمثلة في النواميس الريانية التي تتحكم في أدق التدبيرات لهذا الكون العظيم، أذكر أبرز ما لدى أهل الفكر الإرجائي من هذه النواميس التي تتسبب في هلاك الأمم، وانهايار الحضارات:

1- عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: { لِعَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى

¹- ثابت قُطنة، (000 - 110 هـ = 728 - 000 م) ثابت بن كعب بن جابر العنكي، من الأزد: من شجعان العرب وأشارفهم في العصر المرواني، الأعلام للزركلي (2/ 98).

²- يزيد بن المهلب (35 - 102 هـ = 673 - 720 م) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو خالد: أمير، من القادة الشجعان الأجواد. ولي خراسان بعد وفاة أبيه (سنة 83 هـ فمكث نحو من ست سنين، وعزله عبد الملك بن مروان، الأعلام للزركلي (8/ 189).

³- المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، 1/ 24.

كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) { [سورة المائدة : الآيات، 78- 80] وهذا ما لا يعني أهل الفكر الإرجائي من قريب ولا بعيد، وتحقق الطرد لفاعل هذا الذنب من رحمة الله - تعالى - مؤكدة وهل يكون فاعل هذا الذنب العظيم عامل نهوض لأمة ينتسب إليها؟! بل ما سيكون هو العكس.

2- عدم الترفع عن الأخلاق الذميمة.

عدم الترفع عن الأخلاق الذميمة من تسيبٍ فما فوقه من الذنوب التي لا تضر مع (الإيمان) - على حد زعمهم - والتي تكون سببا في هلاك الأمم والشعوب بسبب ظلمهم لأنفسهم - قال تعالى: { وَتِلْكَ الْفُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59) } [سورة الكهف: 59 الآية].

3- الغلو في الدين والقول على الله غير الحق.

قال الله - تعالى - { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77) } [سورة المائدة : الآية 77] ، وجاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: (هَاتِ الْفُطْ لِي، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصِيَّاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ)⁽¹⁾.

4- الاختلاف والتفرق في الدين.

قال -تعالى- : {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) } [سورة آل عمران: 105 الآية] وقد نهى رسول الله ﷺ عن الاختلاف والتنازع في الدين، وما حدث من بعض الصحابة من منازعة في القدر، ونهى الرسول ﷺ عن ذلك ، فقدُ (خرج رسول الله ﷺ ذات يوم، والناس يتكلمون في القدر فقال لهم: "ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم)⁽²⁾. وجاء في صحيح مسلم (حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ

¹ - عبد الجبار، صهيب عبد الجبار، المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (14 / 205) (س) 3057 [قال الألباني]: صحيح.

² - (م . ن) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (3 / 67) (حم) 6668.

فُضِيلُ بْنُ حُسَيْنِ الْجَحْدَرِيِّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبَاحِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، قَالَ: هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ(1).

5- التماهي مع أعداء الله - تعالى - وتقليدهم.

فكما جرى في طريق السير الى معركة حنين فيما يسمى في السيرة النبوية بحادثة السدرة، والتي كان المشركون يعكفون عليها، وينوطون بها أسلحتهم، وعندما مرَّ المسلمون بها في خروجهم مع الرسول ﷺ إلى حنين، طلبوا من الرسول ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط، فغضب الرسول ﷺ وكبرَّ الله ولام المسلمين على ذلك، وذكر لهم أنهم ساروا بطلبهم هذا على سنن أهل الكتاب من قبلهم، حيث قال اليهود لموسى -عليه السلام- بعد أن أنجاهم الله من فرعون، وأغرقه في اليم وجنده، ومروا على قوم يعبدون الأصنام اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، وهذا الأمر في المشابهة والتقليد للكفار من أهل الفكر الإرجائي، لا يخفى على أحدٍ عنده أدنى آثاره من علمٍ أو معرفة، عن أفكار وسلوكٍ أقطاب الفكر الإرجائي الخبيث، الذين كانوا - بما اقترفوا من مخالفات للسُنن الإلهية - سبباً رئيساً في انتكاسة الأمة وعدم نهوضها.

المسألة الثانية: أثر الفكر الإرجائي في عدم تقدم الأمة.

التقدم مَعَوْلُهُ الحركة والجد، وبذل الطاقة والجهد، من قِبَلِ الجمع والفرد، وهذا لا يكون دون وازِعٍ قلبي، أو باعِثٍ نفسيٍّ أو جهدٍ ذاتي، والتقدم إلى الأمام والرقى إلى المعالي، يحتاج إلى أصحاب الهمم العالية ولا بد، قال الله - عز وجل - في حق نبيه سيدنا موسى - عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام - {وَأَصْنَعْكَ لِنَفْسِي} [طه: 20 الآية 41]، مهمة من العظم بمكان، هي إزالة طاغوتٍ من أعظم طاغوت الأرض، وإزاحة طودٍ شامخٍ في الكفر والإلحاد، بل أعتى المردة في التاريخ البشري، وإنقاذ مستضعفين يُدَبِّحون أبناءهم، وتُستحيى نساءهم على أعينهم،

¹ - مسلم، صحيح مسلم (4/ 2053).

فخطب كبير قد ادلهم، ومهمة عظيمة، ليس لها إلا مثل نبي الله موسى عليه وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام.

قال المتنبى*:

على قدرِ أهل العزم تأتي العزائم..... وتأتي على قدر الكرام المكارم
فتعظم في عين الصغير صغارها... وتصغر في عين العظيم العظام⁽¹⁾.

فكانت مباشرة التغيير، مبدؤها تعاليم الإله الجليل، تسير وفق الوحي والتنزيل، فما أسرع أن تحوّل الحال وكان عظيم التغيير، فزال فرعون، وذهب سلطانه وسطوته، وتحقق وعد الله بالنصر والتمكين لجند الله وحزبه، قال -تعالى- { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174) وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (175) أَفَبِعَدَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ (176) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (177) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (178) وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (179) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (182) } [الصفات: 37 الآيات من 171-182].

والمُتأمل في دقائق هذه القصة القرآنية - مهمة نبي الله موسى - عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام، يجد أن سر التقدم نحو الغاية المحددة، والهدف المرسوم، يكمن في توفر المهمة العالية، والعزيمة الصادقة، لتحقيق هذا الهدف المنشود، ولا مساحة في هذه المسيرة للتراخي والتسويف، الذي هو السمة السائدة في الفكر الإرجائي الخبيث، يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - "... يَا مَخْنَثَ الْعَزْمِ أَيَّنَ أَنْتَ وَالطَّرِيقَ طَرِيقَ تَعَبٍ فِيهِ آدَمُ وَنَاحٍ لِأَجَلِهِ نُوْحٌ وَرَمِي فِي النَّارِ الْخَلِيلُ وَأَضْجَعُ لِلذَّبْحِ إِسْمَاعِيلُ وَبِيعَ يُوسُفُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ وَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ وَنَشَرَ

¹ - الجراوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي (المتوفى: 609هـ) الحماسة المغربية، باب سائر الأمداح، 1/ 530.

* - المتنبى، سبقت ترجمته، ص 52.

بِالْمُنْشَارِ زَكْرِيَّا وَذَبْحِ السَّيِّدِ الْحَصْرِ يَحْيَى وَقَاسَى الضَّرِّ أَيُّوبَ وَزَادَ عَلَى الْمِقْدَارِ بَكَاءَ دَاوُدَ
وَسَارَ مَعَ الْوَحْشِ عَيْسَى وَعَالَجَ الْفَقْرَ وَأَنْوَعَ الْأَدَى مُحَمَّدٌ ﷺ تَزَهُو أَنْتَ بِاللَّهُوِ وَاللَّعِبِ.

فيا دارها بالخيف ان مزارها ... قريب وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَال

الْحَرْبِ قَائِمَةٌ وَأَنْتَ أَعَزُّ فِي النَّظَارَةِ فَإِنَّ حَرَكَةَ رِكَابِكَ فَللهِزِيمَةٌ مِنْ لَمْ يُبَاشِرْ حَرَّ الْهَجِيرِ فِي
طِلَابِ الْمَجْدِ لَمْ يَقُلْ فِي ظِلَالِ الشَّرْفِ" (1).

نعم الحرب محتدمة، منذ أن أهبط آدم وزوجه- عليهما السلام- إلى الأرض، والحرب
مستمرة ومُستعرة، مع إبليس اللعين وجنده وحزبه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والحرب
سجال بين الفسطاطين، ولا بد لهذه الحرب الضروس من عملٍ دؤوب، وإعداد للعدد والعدة،
فكيف يا ثرى بمن أقصى العمل من قاموس عقيدته، وقدم التراخي والتسويق في مقدمة أولويات
إيمانه، وأرجأ مصير الأحوال ونتائجها إلى مآلاتها القدرية، فهل يُرجى من مثله وممن سايره
وقلده فيما ذهب إليه؛ أن يُكوّن عاملاً في التقدم والازدهار؟! لا وألف لا.

فطريق التكليف الشرعي وحمل الأمانة الإلهية هو طريق شاق حُفَّ بالمكاره، جاء في الحديث
الصحيح " حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ» (2).

وجاء في صحيح مسلم برواية أخرى " .. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ
سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، وَحَمِيدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ،
وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» (3)، ومثل هذا الطريق شقّ على أولي العزم من الأنبياء، حتى على سيد
الأنبياء محمد ﷺ، { وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ
الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75) } {الإسراء: 17 الآيات 74، 75}، أفلا
يحتاج هذا الجمل الثقيل إلى الجهد والعمل الدؤوب؟! وهل تخلف الأمة إلا أحد آثار هذا الفكر

¹ - ابن القيم، الفوائد لابن القيم، ص: 42.

² - البخاري، صحيح البخاري، باب حجب النار بالشهوات، 8 / 102.

³ - مسلم، صحيح مسلم، باب كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، 2174/4.

الإرجائي الخبيث؟ فبناءً على ما تقدم، وبعد البرهان من خلال هذا البحث العلمي، بأن الأمم تحتاج لأهل العزم كي تنهض وتتقدم، فلا بد لنا من وضع اليد على آثار الفكر الإرجائي السلبية على نهوض الأمة وتقدمها، والتي أكاد أن أخصها فيما يأتي من نقاط:

أولاً: الانهيار القيمي.

فبعد أن أصبح العمل هامشياً في فهم أهل الإرجاء، أصبحت القيم بدون قيمة، فلا فرق بين الصدق والكذب، وبين حفظ العهد والخيانة، وبين الخير والشر، والشيء الوحيد والمعتبر عندهم هو تحقيق مآرب الذات بأية وسيلة كانت فلا أمرٌ يُحرِّك ولا نهى يقيد، وهنا تضع معاني القيم، بل وتتهار المنظومة القيمية حينما تُضمّن الجنان بمجرد المعرفة والتصديق، ويؤمن الحساب والعقاب، وتتحكم المصالح، وتطغى الذاتية بشهواتها، وتذوب ال(نحن) في ال(أنا)، وهذا ما طغى على مفاهيم أهل الإرجاء وتمكن من عقولهم، فأخذوا يتبعون سنن من كان قبلهم كما تنبأ النبي ﷺ في الحديث الشريف (لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، فَلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ»⁽¹⁾، وفي رواية مسلم (لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» فَلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»⁽²⁾، أجل..، اتبعوهم إلى أن ردد البعض مقولة تشرشل (من أجل بلدي أتتحالف مع الشيطان)⁽³⁾.

ثانياً: التمهيد لانتشار(العلمانية).

إن ميوعة الفكر الإرجائي هيأت النفوس ومهدت السبل لانتشار فكرة (اللا دينية) أو ما يُسمى العلمانية، والتي أدت بالبعض من أبناء الأمة إلى التنكر لدين الله - تعالى - ومجارات الأمم

¹ - البخاري، صحيح البخاري، باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، (4/ 169).

² - مسلم، صحيح مسلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، (4/ 2054).

³ - تشرشل، ونستون ليونارد سبنسر تشرشل، 1874-1965، رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، قالها حينما سأله عن سبب تحالفه مع الاتحاد السوفيتي في عهد الرئيس السوفيتي استالين، بعد عداؤ دام أكثر من ثلاثين عاما، فقال(أتتحالف مع الشيطان من أجل بلدي)، الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مسائل ماركسية - 1 مقدمة حول الماركسية، بتصرف.

الأوروبية في مواجهة الكنيسة الوثنية، مع اختلاف الظروف الزمانية والمكانية لتلك الأمم عن ظروف أمة الإسلام، واختلاف الإسلام- دين الحق- الذي يجعل الأمر لله وحده، والرسول - عليهم وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام - مُبْلِغُونَ بِدَلِيلِ آيَاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الْآتِيَةِ، { مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ } [المائدة: 5 الآية 99] { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [النحل: 16 الآية 35] { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [النور: 24 الآية 54] { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ } [الشورى: 42 الآية 48] { قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [يس: 36 الآيات 16، 17] { وَإِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [العنكبوت: 29 الآية 18].

وتعليقاً مني على ما سبق، أقول: إن هذا الدين الحق - دين الإسلام الحنيف- يختلف جذرياً عن دين النصرانية الوثنية، التي تألّه فيها الباباوات ورجال الدين في الكنيسة، وجعلوا بأياديهم مفاتيح الجنان، ومواصد النيران، واستبدوا بأمرى الحجر والحرمان!! مخالفين بذلك أمر الواحد الديان، ولكن أهل الإرجاء حينما آمنوا بالعذاب وضمنوا الجنة لمن عرف أو صدق بالله - تعالى- أو نطق بالشهادتين، دون العمل بمقتضاهن تيسر الأمر أمام اعتناق العلمانية كمنهج حياة، فكانت الطامة الكبرى، بطغيان العلمانية، حتى أصبحت منهجاً عاماً، ورؤيى الدين في زوايا المساجد، بعيداً عن تحكيمه في جميع شؤون الحياة مخالفةً لأمر الله- تعالى- في مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف: 7 الآية 54].

ثالثاً: هزيمة الأمة.

أما عن هزائم الأمة على يد المفلسين من رصييد العمل، وأهل التسويف والتأخير والإرجاء فحدث ولا حرج، والحال لا يحتاج إلى تدليل، والسابر لأحوال الأمة الإسلامية فيما مضى، لا يجد هزيمة للأمة إلا ووقعت على أيادي من تسموا بالإسلام اسماً وتشكلوا به رسماً مع تفرغ منهم لكل مضمونٍ فيه، وهل الفكر الإرجائي إلا هذا، والعكس كذلك فما حصل من نصر للأمة إلا وكان سببه- بعد إذن الله تعالى- أهل الإيمان والعزم، وأهل العمل والجِدِّ والجهاد، وأسوق بعض الشواهد والبراهين لكل صاحب عينٍ باصرة وأذنٍ واعية، فأقول:

أ- ضياع الأندلس.

لم يكن ليذهب سلطان المسلمين ودولتهم في الأندلس، بعد عظيم عزِّ ودولة، إلا نتاج سيطرة روح الأنانية وانهيار منظومة القيم؛ عند ملوك الطوائف آنذاك، والتاريخ خير شاهد على ذلك .. ولما كثرت ملوك الطوائف اختلفت الكلمة، وتباينت الآراء، وانشقت العصا، فصار أهل الدين في أيدي عدوهم قتلاً ونهباً وأسراً⁽¹⁾.

ب- انهيار الخلافة الإسلامية (الدولة العثمانية).

وذلك بسبب استبدالهم همّ القوم والقطر بالهم العام للإسلام والمسلمين وطغيان العلمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك وهو من أصل يهودي، من يهود " الدونمة " الذين هاجروا من المغرب إلى البلقان بأمر من قيادتهم السرية، وادعوا الإسلام قبل تلك الأحداث كلها بمائة وخمسين عاماً، واستوطنوا بالقرب من دار الخلافة ليقبموا بدورهم حين يجيء الوقت المحدد لهذا الدور، وجاء "كمال أتاتورك" المتسمي بمصطفى ليزيل الخلافة الإسلامية وليمهد لإقامة الدولة اليهودية في حين غفلة من المسلمين " (2) وهو ما أشرنا إليه من طغيان ال(أنا) على ال(نحن) بعد انهيار المنظومة القيمية، وما ذلك إلا بسبب الفكر الإرجائي الخبيث ومفاهيمه.

¹ - مقديش، محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، 1/ 429، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ.

² - قطب، محمد بن قطب بن إبراهيم، تطلعات إلى المستقبل في مستهل القرن الهجري الجديد، (ص: 101).

ج- ضياع فلسطين.

أما ضياع فلسطين فهو دليلٌ أظهر من الشمس في رابعة النهار دور أهل الإرجاء في التعاون مع الأعداء ، فبعد أن حصلت بريطانيا على فلسطين كحصّة لها من اتفاقية تقسيم الشرق الأوسط (سايكس بيكو) سنة (1904) بينها وبين فرنسا وبسطت عليها انتدابها وأخذت تُحضر لإقامة ما يسمى (دولة إسرائيل) ففتحت باب الهجرة على مصراعيه لليهود، وحاربت أية هبة أو حركة أو تجمع جهادي إسلامي، وغضت الطرف عن الدعوات والتوجهات العلمانية والشيوعية نُفعلُ معاول الهدم في دين الأمة وبنيتها القيمية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تركت المجال مفتوحاً أمام العصابات اليهودية للبناء التنظيمي والإعداد والتسلح، فكانت النتيجة قيام (دولة المسخ) من سُذّاذ الآفاق ونفايات المجتمعات البشرية (إسرائيل) سنة 1948 م، تحقيقاً لوعده بلفور المشؤوم في 2 نوفمبر 1917م.

وهنا هبّ المتطوعون المجاهدون من أبناء أمة الإسلام يتدافعون للجهاد في فلسطين، فكان جزاء هؤلاء المجاهدين السجون بعد عودتهم لأقطارهم، على أيادي زعماء العلمانية (الأشواوس)!

وبعد هذه الشواهد الثلاثة التي أوردتها، لا أريد من مطالع لهذا الكتاب أن يظن أن هذه الأمور تجري بمجرد الصدفة من ودون مكرٍ وتدبير بل الأمر هو نتاج ما يجري من كيد وتخطيط في دهاليز وأروقة عُرف العمليات في عواصم أعداء الإسلام؛ من اليهود والنصارى، وإليك الدليل:

فمن خلال قراءتك لأحوال العالم الإسلامي، والعالم العربي، بل في كل قطرٍ إسلامي، وما ترى ما هو عليه من حال لا يحسد عليه، فترى الانقسام في الصف الواحد، والتفرق بين الجمع، والاختلاف في الكلمة، والافتتال النزاع..، يتأكد لديك أن ما يجري الآن هو عمل بمبدأ سابق أُسْتُعمل سابقاً من قِبَل أعداء الإسلام مع ملوك الطوائف في الأندلس وهو سياسة عامة، يُعْمَلُ بها في جميع الأقطار العربية والإسلامية.

إشارة أرسطاطاليس* (382 . 322 ق. م) (1).

"..... فلما اطمأن بها، قال لمؤدبه ارسطاطاليس: انى قد وترت اهل الارض جميعا لقتلى ملوكهم، واحتوائى على بلدانهم وأخذى أموالهم، وقد خفت ان يتضافروا على اهل ارضى من بعدى، فيقتلونهم ويبيدونهم لحنقهم على، وقد رأيت ان ارسل الى كل نبيه وشريف، ومن كان من اهل الرياسة فى كل ارض، والى أبناء الملوك فاقتلهم.

فقال له مؤدبه: ليس ذاك رأى اهل الورع والدين، مع انك ان قتلت أبناء الملوك واهل النباهة والرياسة كان الناس عليك، وعلى اهل أرضك أشد حنقا من بعدك، ولكن لو بعثت الى أبناء الملوك واهل النباهة فتجمعهم إليك، فتتوجهم بالتيجان، وتملك كل رجل منهم كوره (2) واحده، وبلدا واحدا، فإنك تشغلهم بذلك، بتنافسهم فى الملك، وحرص كل واحد على أخذ ما فى يدي صاحبه، عن اهلاك بلادك، فتلقى بأسهم بينهم، وتجعل شغلهم بأنفسهم، فقبل الاسكندر ذلك منه، وفعله، وهم الذين يقال لهم ملوك الطوائف (3).

وتعليقاً منى على ما سبق من إشارة لأرسطاطاليس أقول: وهل يجرى فى أقطار العالم الإسلامى اليوم غير ما حوت هذه الإشارة؟! فلا تعجب أخى المسلم من تعدد (الزعامات) فى القطر الواحد، ولا تعجب من الخصومات والافتتال بين أفراد الحزب الواحد، ولا تعجب من القتال بالسلاح بين أبناء الدعوة الواحدة، ولا تعجب مما يجرى فى أروقة وقاعات تجمع الزعماء العرب (جامعة الدول العربية) فهل يحصل فيها غير ما أشار به أرسطاطاليس!!!!!!

¹ - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الفتح الرياني من فتاوي الإمام الشوكاني، 6262/12، هامش حقه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق،

* - أرسطاطاليس: ومعناه محب الحكمة، ويقال الفاضل الكامل. وهو أرسطاطاليس بن نيقوماخس بن ماخامرون. ومن ولد اسقليبادس الذي اخترع الطب لليونانيين. وكان اسم أمه افسيطياء، وترجع إلى اسقليبادس، وكان من مدينة الليونانيين تسمى اسطاغاريا. وكان أبوه نيقوماخس مطبياً لفيليس أبي الأسكندر. وهو من تلاميذ أفلاطون. عاش ما بين (382 . 322 ق. م). من مصنفاته: الجدل. العبارة أو التفسير. السماء والعالم.

² - الكورة : الصقع والمدينة، هكذا فى هامش كتاب الأخبار الطوال، ص 38، الدينوري.

³ - الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (المتوفى: 282هـ)، الأخبار الطوال، (ص: 38-39)، تحقيق: عبد المنعم عامر.

وهنا سؤال يطرح نفسه: ما هو الباعث علي ما يجري بين الزعماء والقادة؟

والجواب: إنها الأناية المفرطة الجامحة في نفوس من تسموا بالمسلمين، وأعرضوا عن العمل بأحكام الإسلام، لأنها في مفهومهم الإرجائي، لا يضر الذنب بعد أن توفرت (المعرفة بالله والتصديق بوجوده) حسب مفاهيم أهل الفكر الإرجائي ودعاة التسيب، فعمدوا إلى تحقيق المآرب الشخصية من مقعد وكرسي ومسمى فارغ من المضمون، فالأناية التي طغت على العقل والفكر والثقافة، هي التي ورثها الفكر الإرجائي ومفاهيمه العقيمة، من تقديم لمصلحة الذات، والنظر من زاويتها وبوتقتها الضيقة وحسب، هي السبب الرئيس في هذه الكارثة، وما كان ذلك ليكون لولا انهيار منظومة القيم، بسبب الفكر الإرجائي الخبيث { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } [الأنعام: 6 الآية: 112].

د- الانهيار الاقتصادي.

لا أريد أن أدلل على هذا الانهيار الاقتصادي إلا بدليل واحد يكون في شكل سؤال بعد مقدمة:

فأمة الإسلام أمة ذات ثراء، وذلك بما رزقها الله- تعالى- من ثروات طبيعية من بترول وغاز ، وشواطئ مديدة من اغنى شواطئ العالم بالثروة السمكية مثل شواطئ عمان والمغرب العربي، وصحراء يمكن استغلالها في الطاقة الشمسية ، وأنهاراً يمكنها أن تغذي الأمة بالطاقة الكهربائية، وارض خصبة يمكنها أن تُمثل سلة للغذاء العالمي، وهذا لا ينكره إلا عديم دراية.

والسؤال هنا: لماذا أمة الإسلام أمة متخلفة في المجال الاقتصادي والصناعي، تسير في ذيل الأمم، ولا تملك التصرف فيا تملك إلا بإذن من السادة، ووفق إملاءات الموجه لسياساتها، والجواب السافر في وضوحه هو: إنها اللامبالاة، وعيش المتاع الذاتي وثقافة الفردية الطاغية على الفكر والتوجهات، بعد أن فقدت القيم مكانتها في النفس والثقافة.

ه- فساد الإعلام.

أما الإعلام، وما أدراك ما الإعلام في مكانته وتأثيره، فهو أقوى الأسلحة عند الأمم التي تحترم ذاتها وكيونيتها، فهو إعلام ناقد ببناء، لا محاباة فيه لزعيم أو تكتل أو مراكز قوى، وقوة الإعلام

تكمُن في استقلاليته، وحينما يفقد الإعلام الاستقلالية يكون إعلام خاص موجه، لا يخدم سوى رسالة مُموله، فيفقد تأثيره في أوساط الجمع من الأمة، وتطغى عليه الفردية، فيصبح اعلام تبريريّ ترفيعي، وليس اعلام ناقد وبنّاء.

والناظر في اعلامنا يجد أنه وُجِدَ لخدمة (الزعيم المُلهَم) في الأقطار العربية وتبرير سياساته، بغض النظر عن التوفيق أو عدمه فيها، فلا تقديم بين يديه، فله الشعب وله القرار - ولا أعم - بل أستثني من عصمهم الله ببطانة صالحة، تتصحهم فيقبلون وتبين لهم الحكم الشرعي فيلتزمون ، وإن جانبوا الصواب يؤوبون ويستغفرون، فمن وجدهم فليبشر الأمة بوجودهم !!!

".. في سنة تسعة وسبعين ذهب وفد من مصر بلغ عددهم مائة شخص وقابلوا أعضاء الكونجرس فأضافوهم على طعام، وقبل أن يخطب قاطعه عضو في الكونجرس وقال له: قف، الطعام الذي أكلوه هؤلاء المصريون من أين هو بالضبط؟ قال له: ماذا تعني؟ قال: يعني: نحن لا ندفع ضرائب الأمريكان وتأتي الوفود لتأكلها، نحن ندفعها لخدمة الشعب الأمريكي.

فقال لصاحب المراسم: أجبه، فقال له: هذا الطعام تيرعت به الشركة الفلانية، شركة من شركات الدعاية، هي التي أطعمت الوفد الرسمي المصري، فقال له: أكمل خطبتك.

ولو عدنا إلى التاريخ لعرفنا أن سعداً قال لـ عمر بن الخطاب حين قام يخطب: لا سمع ولا طاعة، فقال عمر: لماذا يا سعد؟! قال: لأنك تلبس ثوبين ونحن نلبس ثوباً واحداً، فقال عمر: قم يا عبد الله بن عمر! وأخبرهم من أين جاء الثوب الثاني، فقال عبد الله: إن أبي رجل طوال، فأعطيته ثوبي ليرقع به ثوبه" (1)*.

أما أن يقف مسلّم على التباس فهم حول قطعة قماش، ويقول للملهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وعلى ملئ من الناس لا سمعاً ولا طاعة.... حتى بين ابن عمر - رضي الله

¹ - عبد الكافي، د. عمر عبد الكافي شحاتة ، داعية مصري معاصر، مقتطفات من السيرة، 22/ 9، بتريّم

الشاملة آلي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

* - ملاحظة: هذه الرواية عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وردت في كتاب أعلام الموقعين، 2/ 123، وغيره ، ولكن على لسان سلمان الفارسي وليس على لسان سعدٍ - رضي الله عنهم - دون إسناد من ابن القيم.

عنهما- له الأمر، فمثل هذا عقم رحم الأمة في هذا الزمان أن ينبج من أمثاله بصورة عامة، وأستثني من رحم الله من حالات فردية، لا تأخذ نسبة في عداد إمة الإسلام.

ومبدأ الفساد في الإعلام مردّه - وفق نظري- هو نحو هذا الإعلام النّحو التجاري الصرف، الذي غايته الربح العائد على صاحب الإعلام، أو مؤسسته الإعلامية، وهذا ما تتجلى فيه الذاتية بأشع صورها وأشكالها، أو نحوه المنحى (التوجيهي) بمعنى أنه مُوجّه لا يملك شيئاً من أمره، فيكون العامل فيه، عاملٌ في اعلام، وهذا لا مُعَوَّلَ عليه في تقدم أمة، أو حمل رسالة، وليس مثل هذا رجل اعلام ذو رسالة عظيمة، طلق الذاتية بتأً، ونذر نفسه لرسالته وأمته، ومفاهيم الفكر الإرجائي لا تنتج مثل هذا النوع من الرجال، فتتاجها عبّاد الذات وشهواتها، وليس رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه دون تبديل أو تغيير.

قال تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا}{الأحزاب: 33 الآية 23، 24}.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وسيد خلق الله أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليته، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، وبعد.

فهذه الرسالة العلمية بعنوان: (أثر الفكر الإرجائي في واقع الأمة المعاصر) تُمَثِّلُ مني جهد المُقِلِّ، وحصيلة العافي على موائد الكرام من جهاذة العلماء، الذين أحسبهم مخلصين لدينهم وأمتهم - ولا أزكي على الله أحداً- فما وُفِّقْتُ إليه من صوابٍ فمن فضل الله عليّ، وما جانبت فيه الصواب فمن نفسي، وأستغفر الله منه، وإنني أُقدِّمُ سالف شكري لكل من أسدى إليّ نقداً علمياً بحجة وبرهان، أو أزجي إليّ نُصْحاً يبتغي به وجه الواحد الديان، وقد خرجت من خلال هذا البحث الموضوعي الدقيق إلى نتائج أصيغها في النقاط الآتية:

- 1- معنى الإرجاء في الاصطلاح، هو قصر الإيمان على التصديق، الذي تقول به المرجئة.
- 2- المعرفة في الفكر الإرجائي، تقتضي بأن لا يضر معه ذنب، وبعدمه لا تنفع طاعة.
- 3- الفكر الإرجائي لم يأخذ صبغة الكتلة، أو التجمّع الذي يحتويه إطار من القواعد والأصول، كما هي الفرق، وإنما هي فكرة لمفهوم (الإيمان) عند ثلّة من أهل الزيغ والأهواء، تدخل في أُطر فكريّة متباينة الأفكار، ومختلفة في المفاهيم.
- 4- حدوث بدعة الإرجاء، كان آخر عهد الصحابة- رضي الله عنهم- وقد تصدى لها كبار التابعين.
- 5- رأس الإرجاء، وأول من قال به كمفهوم يقوم على فصل العمل عن الإيمان، هو الجهم بن صفوان، فهو مَنْ أَصَلَ وَقَعَدَ فِي أَنْ (الإيمان) هو مجرد المعرفة وحسب!!.
- 6- الكنيسة وكهناتها عبّادُ الصليب!! هم مصدر هذه الأفكار الخبيثة، والتي ورثتها بدورها عن أحبار يهود.

7- خلاصة القول في تعريف الإيمان عند السلف: الإيمان بمفهومه المطلق، يعني السماع والانقياد، وتلقي الوحي للتطبيق، وعيشه حياةً في الواقع، بشكل عام، وأما إذا أخذ الإيمان مفهوم الخصوصية، فيعني ما انعقد عليه القلب وظهرت آثاره على الجوارح ظاهرةً جليّةً ولا بد.

8- خلاصة القول في مفهوم الإيمان عند المتكلمين، هي أنهم حينما يطلقون الإيمان يشمل كل مأمورٍ به، وكل منهيٍّ عنه بأمر الشارع، وحينما يخصصونه يحصرونه في التصديق وحسب.

9- أحدُ عوامل ظهور المرجئة هي ردة الفعلِ المعاكسة لظهور الخوارج.

10- العمل شرطٌ في تمام وكمال الإيمان عند المتكلمين، بينما المرجئة لا يعتبرون العمل ركناً ولا شرطاً لتحقيق الإيمان، فشتان بين الفهمين.

11- الإرجاء الذي وُسمَ به الإمام أبي حنيفة النعمان - رحمه الله- هو (إرجاء الفقهاء) الذي لا يخرج صاحبه من دائرة أهل السنة والجماعة، والطائفة المنصورة بإذن - الله تعالى- غير أن الحق- وهو مفهوم السلف للإيمان- أحق أن يُتبع، فهو أولى وأحرى بالإتباع، وأقوم وأحكم وأسلم للإتباع.

12- تضعيف العلماء لأبي حنيفة - يرحمه الله- في رواية الحديث النبوي- زُعم توثيق البعض له- لا يقدح في مكانته العلمية في الفقه، ولا يخفض من منزلته وإمامته فيه، بدليل تراثه الفقهي، وصدق النبي ﷺ إذ يقول: (رب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه..). قال الألباني: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات⁽¹⁾.

¹-الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المتوفى: 1420هـ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، 1/ 761، أخرجه أحمد (5 / 183) واللفظ له والدارمي (1 / 75) وابن حبان (72، 73، - موارد) وابن عبد البر في " الجامع " (1 / 38 - 39) عن شعبة حدثنا عمر ابن سليمان من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه. أن زيد بن ثابت خرج من عند مروان نحواً من نصف النهار، فقلنا: ما بعث إليه الساعة إلا لشيء سأله عنه، فقمت إليه فسألته فقال: أجل سألنا عن أشياء سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله ﷺ يقول، فذكره. الأخير منه من هذا الوجه، وقال البوصيري في " الزوائد " (1/252) وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات، وروى ابن ماجه (2 / 524 - 525) الشطر " هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة بنحوه، ورواه الطبراني بإسناد لا بأس به " انتهى كلام الألباني.

13- الإيمان والتصديق، يزيد وينقص ويقوى ويضعف، وذلك تردداً بين درجات اليقين، ولا يلزم من ضعفه ريب أو شك وكفر.

14- مقولة (لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا يرفع مع الكفر طاعة)، هي مقولة لا تستحق كبير جهدٍ وعناء، وذلك لتناقضها، فهي تنقض نفسها بنفسها عند العقلاء، وأصحاب الفهم السليم، وأما أصحاب الفهم السقيم، فقد كُفينا مئونة مناقشتهم، فلا حيلة فيهم، ولو تناطحت بين أيديهم الجبال ، فلا هم من العقلاء فينفعهم البيان، ولا هم من أصحاب العقول المستريحة، فيسعمهم السير على منهج الأعيان.

15- جعلُ العمل شرطاً في الإيمان عند مرجئة الفقهاء، وليس ركن من كينونة وبنية الإيمان، ينعكس سلباً على آثار الإيمان بشيء من السلبية والتراخي والتسويق واللامبالاة.

16- برد اليقين لا سبيل إليه بنظريات المنطق، ولا بعلم الكلام والجدل، ولكن سبيله العلم والذكر والدعاء، لقوله-تعالى- {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد:13 الآية : 28].

17- الفلسفة وعلم الكلام هما داءان فتاكان، ما ابتليت بهما أمة وحالفها الفلاح، ويكفي شهادة أهلها وأصحابهما بذلك.

18 - أثرُ الفكر الإرجائي في الإيمان آثاراً جليّةً، ملخصها فيما يأتي من نقاط:

- أ- الفكر الإرجائي مصدرٌ للحيرة، ومبعثٌ للتردد والشك والزندقة والمروق من الدين الحنيف.
- ب- الفكر الإرجائي باعث قلق وشقاء نفسٍ، وعدم هدوء بال ، ومفارقة لبرد اليقين والطمأنينة.
- ج- الفكر الإرجائي حادٍ- بصوتٍ عالٍ- لإحلال روح الإتكالية واللامبالاة في إيمان الفرد والجماعة، وداعياً للتهاون والنسيب تجاه أوامر الله- تعالى- ونواهيه.
- د- الفكر الإرجائي سبب رئيس في تبيد العزيمة، ونشنت الرأي، والإخلاق لإملاءات الهوى، وإهمال جانب الالتزام بالعمل الذي أُخرج من حقيقة الإيمان وفقاً لمفهوم فكر الإرجاء المُتهافت.
- هـ- الفكر الإرجائي ماحقٌ للفروق العقدية بين دين الإسلام الحنيف، وبين باقي الممل والنحل الباطلة، واعترافٌ ضمنيّ بها، فإبليس (اللعين)، وفرعون وجنودهما، وأبو جهل وأبو لهب ومن شاكلهم ووافقهم، وكل من عرف الله معرفة مجردة عن الطاعة والالتزام فهو (مؤمن)!!!

19- الأثر السلبي للفكر الإرجائي في السلوك، قد تعدى سلوك الفرد إلى حال الأمة الإسلامية بشكل عام، إلا من رحم الله-تعالى- فذهبت الأمة بمصائبه، التي من أفضعها التوطئة والتمهيد، لقبول فكرة (الفصل دينية) أو ما يُسمى بـ(العلمانية) الطاغية اليوم على تفكير الأجيال، فالدين- حسب فهمهم- بينك وبين ربك، والدين في المسجد ولا علاقة له في شؤون الحياة، فدع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله!!!

20- تسبب الفكر الإرجائي في تخلف الأمة الإسلامية وتراجعها، وحال دون نهوضها وتقدمها.

21- الفكر الإرجائي تسبب في الانهيار القيمي، وانتشار العلمانية، وهزيمة الأمة، وضياع الأندلس، وانهيار الخلافة، وضياع فلسطين.

22- ليست أزمة الأمة الإسلامية المعاصرة أزمة عدد وُعدد، بل هي أزمة عقلٍ وأزمة فكر.

23- الفكر الإرجائي، المائع المميع لا يمكنه تحقيق مبعثٍ إلى نهوض، بل العكس، فقد تسبب بالفعل في الجناية على نهوض الأمة من كبوتها، وبقظتها من غفلتها، وهدايتها من غياها، التي، الذي ذهبت به.

24 - المرجئة في صلحٍ خفي ومهادنة غير مكتوبة مع الحاكم يتمتعون، بالحرية في الحركة والقول جميعاً، بينما يُضرب على يد من سواهم من أهل السنة والجماعة، كما حدث لأئمة الفقه والحديث، كمالك وأحمد بن حنبل وابن تيمية، وكثيرين غيرهم ممن اتبعوا منهج السلف الصالح في الفهم عن الكتاب والسنة.

25 - حركة الاستشراق والعلمانية واليهود، هم أبرز القائمين على حراك النشر والترويج للفكر الإرجائي في العصر الحديث، فقد جندوا كل الطاقات المالية والإعلامية، وما يملكون من نفوذ وتأثير، أضف إليهم مؤسسات (دينية) وشخصيات (إسلامية) ممن باعوا آخرتهم بدنياهم.

التوصيات: أوصي بإيلاء التخصص العلمي في مجال العقيدة والفكر الإسلامي اهتماماً أكثر، من قِبَل العلماء المتخصصين في علم العقيدة، وأن يبذلوا المزيد من الجهود في تشجيع طلبته وتذليل العقبات أمامهم، وتيسير تحصيله، وذلك لِعِظَم غاياته، وشدة الحاجة إليه في هذه الأيام خاصةً، فهو الأساس في سنة الله - تعالى- الكونية في التغيير.

فهرس الآيات القرآنية

الآية القرآنية	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه..	البقرة	2	27	73
واستعينوا بالصبر والصلاة....	البقرة	2	75	76
وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما ..	البقرة	2	80	15
والذين آمنوا وعملوا الصالحات...	البقرة	2	82	42
وما يعلمان من أحد حتى يقولاً....	البقرة	2	102	74
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما ..	البقرة	2	146	56
وقدموا لأنفسكم واتقوا الله.....	البقرة	2	223	107
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله...	البقرة	2	256	60
وإذ قال إبراهيم أرني كيف تحي	البقرة	2	260	94
ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار.....	آل عمران	3	24	15
وقالت طائفة من أهل الكتاب	آل عمران	3	72	19
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا....	آل عمران	3	103	30
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا...	آل عمران	3	105	109
فاخشوهم فزادهم إيماناً.....	آل عمران	3	173	44
فمنهم من آمن به ومنهم من صد....	النساء	4	55	57

الآية القرآنية	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك....	النساء	4	65	27
إن الله لا يغفر أن يشرك به...	النساء	4	48	74
ودوا لو تكفروا كما كفروا....	النساء	4	89	25
ومن يعمل من الصالحات من ذكر..	النساء	4	124	98
ومن يتولهم منكم فإنه منهم....	المائدة	5	51	74
قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم..	المائدة	5	77	109
لعن الذين كفروا من بني اسرائيل...	المائدة	5	78	108
ما على الرسول إلا البلاغ....	المائدة	5	99	114
فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات.	الأنعام	6	33	56
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا....	الأنعام	6	112	118
إن ربكم الله الذي خلق السموات و...	الأعراف	7	54	114
ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها	الأعراف	7	56	87
قالوا أرجه وأخاه.....	الأعراف	7	111	9
الذين يتبعون النبي الأمي....	الأعراف	7	157	56
إن الذين كفروا ينفقون أموالهم...	الأنفال	8	36	25
وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا....	الأنفال	8	46	95
فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة....	التوبة	9	11	98

الآية القرآنية	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
قل إن كان آبائكم وأبنائكم....	التوبة	9	24	29
ولئن سألتهم ليقولن إنما	التوبة	9	65	74
قل أبالله وآياته.....	التوبة	9	66	74
أيكم زادته هذه إيماننا.....	التوبة	9	124	44
فذاكم الله ربكم الحق.....	يونس	10	32	87
وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا	النحل	16	35	114
ولا تتقضوا الأيمان بعد توكيدها...	النحل	16	90	73
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها....	النحل	16	91	73
ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم..	الإسراء	17	74	112
قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب..	الإسراء	17	102	56/55
ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو..	الإسراء	17	19	98
وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا....	الكهف	18	59	109
الرحمن على العرش استوى...	طه	20	5	92
فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار...	طه	20	88	14
ولا يحيطون به علماً.....	طه	20	110	92
ويدعوننا رغبا ورهبا.....	الأنبياء	21	90	87
والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة	النور	24	39	59

الآية القرآنية	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
لقد انزلنا آيات مبينات.....	النور	24	45	25
قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول...	النور	24	54	114
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم...	النمل	27	14	56
وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة...	القصص	28	77	87
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله....	الرعد	28	28	122/94
وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم...	العنكبوت	29	18	114
فأمن له لوط....	العنكبوت	29	26	56
تتجافى جنوبهم عن المضاجع..	السجدة	32	16	87
ومن أظلم ممن ذُكِرَ بآيات ربه....	السجدة	32	22	88/74
ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا....	الأحزاب	33	22	44
من المؤمنين رجال صدقوا.....	الأحزاب	33	24/23	120
اليه يصعد الكلم الطيب.....	فاطر	35	10	92
قالوا ربنا يعلم إنا إليكم مرسلون....	يس	36	17/16	114
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين.....	الصافات	37	171	111
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي...	ص	38	75	36
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير..	الشورى	42	11	../36/31
شرع لكم من الدين ما وصى...	الشورى	42	14/13	51

الآية القرآنية	اسم السورة	رقم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت ...	الشورى	42	30	106
فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا.	الشورى	42	48	114
ثم جعلناك على شريعة من الأمر..	الجاثية	45	18	51
والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما	محمد	47	2	99/94
ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله ..	محمد	47	9	74
هو الذي أنزل السكينة على قلوب	الفتح	48	4	44
إن هذا لهو حق اليقين	الواقعة	56	95	57
كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تعلمون	الصف	61	3/2	101
وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً..	الطلاق	65	12	58
ومن يتوكل على الله فهو حسبه.....	الطلاق	65	3	94
ويزداد الذين آمنوا إيماناً.....	المدثر	74	31	44
فأما من أعطى واتقى....	الليل	92	5	5
ألهاكم التكاثر.....	التكاثر	102	8-1	57

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	راوي الحديث النبوي	طرف الحديث النبوي
70	ابو داود وغيره	اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل.....
67	البخاري ومسلم	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...
110	مسلم	انما اهلك من كان قبلكم.....
98	البخاري ومسلم	الإيمان بضع وسبعون شعبة.....
58	مسلم وغيره	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان.....
88	البخاري	جاء ثلاثة رهط إلى
112	البخاري	حجبت الجنة بالشهوات.....
112	مسلم	حفت الجنة بالمكاره.....
58	مسلم وغيره	ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً.....
121/40	احمد وغيره	رُبَّ مبلغ أوعى من سامع
70/65	الطحاوي وغيره	عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي....
5	البخاري	فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض.....
43	أحمد وابن حبان	لا إيمان لمن لا أمانة لله.....
71	البخاري	لا يرث المسلم الكافر.....
104	ابن بطة	لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود.....
113/104	البخاري و مسلم	لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر
104	ابو داود وغيره	لعن الله المحلل والمحلل له.....
54	مسلم	الله أشد فرحاً بتوبة عبده
58	ابن تيمية	ليس المخبر كالمعاین.....
49	ابن الجعد وغيره	ليس بين العبد والكفر ترك الصلاة.....
44	البخاري	ما رأيت من ناقصات عقل ودين....
70/66	البخاري ومسلم	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد....
61	مسلم	من الوفاء؟ أو من القوم
12	مسلم	من أصبح منكم اليوم صائماً.....

رقم الصفحة	راوي الحديث النبوي	طرف الحديث النبوي
104	مسلم	من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رول الله.....
12	ابن خزيمة	من قال لا إله إلا الله وجبت له الجنة.....
11	مسلم	ناد في الناس من قال لا إله إلا الله دخل الجنة..
70	المنذري	وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.....
61	مسلم	هل تدرّون ما الإيمان؟.....
94	البخاري ومسلم	يذكر الله على كل أحواله.....

فهرس الأثار

رقم الصفحة	قائله	طرف الأثر
15	ابن عباس	اتقوا الإرجاء فإنه شعبة من النصرانية
61	عمر رضي الله عنه	أخطأت استك الحفرة.....
63	ابن عباس رضي الله ..	أراهم سيهلكون أقول قال رسول الله صلى الله عليه ..
97	ربيعي ابن عامر	الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من يشاء من عبادة...
68	عمر رضي الله عنه	فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال
68	ابو بكر رضي الله عنه	فهل ترون غير ذلك.....
6	الحسن بن محمد بن علي	قد سمعت مقالكم ولم أر شيئاً أمثل من.....
107	علي رضي الله عنه	كلمة حق أريد بها باطل.....
15	محمد ابن علي	ما ليلٌ بليل ونهار بنهار أشبه من المرجئة باليهود .
68	أبو بكر رضي الله عنه	والله لو منعوني عقلاً.....
15	مجاهد بن جبر	بيدؤون فيكونون مُرجئة ،ثم يكونون قدرية ثم....
88	رابعة العدوية	يدللوننا كأننا أطفال.....
55	علي رضي الله عنه	يموت العلم بموت حملته.....

فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم الصفحة	اسم العلم
59	ابن ابي العز الحنفي
90	ابن الفارض
107	ابن القيم
89	ابن عربي
117	أرسطاطاليس
34	الأشعري
16	الألوسي
40	الألباني
76	الباقلاني
86	البدوي
113	تشرشل
80	جولدتسهير
86	الجيلاني
101/89	الحلاج
14	الحسن بن محمد بن علي (زين العابدين)
86	الديسوقي

رقم الصفحة	اسم العلم
87	رابعة العدوية
86	الرفاعي
95	السفاريني
29	سيد سابق
79	شاخت
102	عبد الحميد أبو سليمان
24	عبد الحميد كشك
99	عبد الله ابن احمد ابن حنبل
83	فولتير
86	القطب
48	اللكنوي
9	الماتريدي
24	الماسونية
104	مايكافيلي
12	المرجئة
14	المسيري
50	الهضبي

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1- ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، 1417هـ - 1997م، عدد الأجزاء: 2، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

2- ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي المعروف بابن بطة العكبري (المتوفى: 387هـ)، إبطال الحيل، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1403، عدد الأجزاء: 1.

3- ابن جبرين، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين (المتوفى: 1430هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر الكتاب: دروس بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

4- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، 1426هـ، عدد الأجزاء: 10.

5- ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: - عدد الأجزاء: 1.

6- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] مجموع الفتاوى.

- 7- ابن تيمية، **الزهد والورع والعبادة**، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة، الناشر: مكتبة المنار - الأردن، الطبعة: الأولى، 1407، عدد الأجزاء: 1.
- 8- ابن تيمية، **الإيمان**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، 1416هـ/1996م، عدد الأجزاء: 1، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].
- 9- ابن تيمية ، **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م ، عدد الأجزاء: 6، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] .
- 10- ابن تيمية، **جامع الرسائل**، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء - الرياض، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2001م، عدد الأجزاء: 2، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].
- 11- ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان ، لطبعة: السابعة، 1419هـ - 1999م عدد الأجزاء: 2.
- 12- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م، عدد الأجزاء: 18 (17 جزء ومجلد فهرس).
- 13- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولى، 1406 - 1986، عدد الأجزاء: 1، اعتمدنا على: نسخة محمد عوامة طبعة دار الرشيد بحلب الطبعة: الأولى 1406هـ.

14- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: 13.

15- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، حجة الوداع، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، الناشر: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، 1998.

16- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

17- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ)، صحيح ابن خزيمة، حققه وعلق عليه وخرجه أحاديثه وقدم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 2.

18- ابن خليفة، محمد بن خليفة بن علي التميمي، مقالة التعطيل والجعد بن درهم، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1997م.

19- ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلمي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، المحقق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م، عدد الأجزاء: 2 (في مجلد واحد) [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

20- ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م، عدد الأجزاء: 8.

21- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) ، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم ، المؤلف: الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، عدد الأجزاء: 1 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

22- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: 1387هـ، عدد الأجزاء: 24، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

23- ابن عبد الوهاب، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ ، عدد الصفحات: 336، عدد الأجزاء: 1، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيّل بالحواشي].

24- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، تقريب التدمرية، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، الطبعة: الأولى، 1419هـ ، عدد الأجزاء: 1.

25- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ) ، تاريخ دمشق، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م، عدد الأجزاء: 80 (74 و 6 مجلدات فهارس) .

26- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، متن القصيدة النونية، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1417هـ ، عدد الأجزاء: 1.

- 27- ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م، عدد الأجزاء: 1.
- 28- ابن القيم، الفوائد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973 م عدد الأجزاء: 1.
- 29- ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م، عدد الأجزاء: 4 .
- 30- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق : علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988 م .
- 31- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(المتوفى: 273هـ)، - وماجة اسم أبيه يزيد - سنن ابن ماجة، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية ، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، عدد الأجزاء: 5 .
- 32- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) ، لسان العرب، الناشر: دار صادر- بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ ، عدد الأجزاء: 15.
- 33- أبو حنيفة، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: 150هـ)، الفقه الأكبر(مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، المؤلف: ينسب لأبي حنيفة، الناشر: مكتبة الفرقان - الإمارات العربية ، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م ، عدد الأجزاء: 1.
- 34- أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ، عدد الأجزاء: 4 .

35- أبو الحارث الغزي، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي،
مُسُوَعَةُ الْقَوَاعِدِ الْفِقْهِيَّةِ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 142هـ-
2003م.

36- أبو نعيم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني
(المتوفى: 430هـ)، تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان ، تحقيق : سيد كسروي حسن الناشر: دار
الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ-1990م، عدد الأجزاء: 2.

37- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم،
الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ) ، صحيح الجامع الصغير وزياداته ، الناشر: المكتب
الإسلامي، عدد الأجزاء: 2 .

38- الألباني، صحيح وضعيف سنن الترمذي برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني
- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

39- الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الناشر: مكتبة المعارف
للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: 6، عام النشر: ج
1 - 4 : 1415 هـ - 1995 م، ج 6 : 1416 هـ - 1996 م، ج 7 : 1422 هـ - 2002.

40- الألباني، موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني «موسوعة
تحتوي على أكثر من (50) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد» ، صَنَعَةُ شادي
بن محمد بن سالم آل نعمان، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق
التراث والترجمة، صنعاء - اليمن ، الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010 م، عدد الأجزاء: 9،
(الكتاب إهداء من مؤلفه، جزاه الله خيراً)، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

41- الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته ، الناشر: المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: 2.

42- الألباني ، تخريج العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر:
المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة: الثانية، 1414 هـ.

43- البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، الناشر: مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1416هـ/ 1996م، عدد الأجزاء: 1.

44- الأثري، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 1، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

45- الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م عدد الأجزاء: 3، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

46- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م، عدد الأجزاء: 2.

47- الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله شاکر محمد الجنيد، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1413هـ، عدد الأجزاء: 1.

48- الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي التثاء الألوسي (المتوفى: 1342هـ)، فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله)، تقديم وتعليق: علي بن مصطفى مخلوف، الطبعة: الأولى، 1422هـ، عدد الصفحات: 160.

49- آل فراج، مدحت بن الحسن آل فراج، فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، الناشر: دار الأخيار، عدد الأجزاء: 1.

50- آل مندوه، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 66 درسا] شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة.

51- الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: 631هـ)، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، عدد الأجزاء: 1 .

52- الباقلائي، أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خُداداد الكرجي، الباقلائي، البغدادي (المتوفى: 489هـ)، الاعتقاد القادري، كتبه وجمع الناس عليه: الخليفة القادر بالله (المتوفى: 22هـ) دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف.

53- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ ، عدد الأجزاء: 9 .

54- البرهامي ، ياسر حسين محمود برهامي، قراءة نقدية لكتاب ظاهرة الإرجاء، نوع الملف: وورد ، أعدده للنشر: منتدى البراحة
التحميل/ http://www.geocities.com/abou_elfarag/reading/ :

55- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: 741هـ) مشكاة المصابيح، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثالثة، 1985، عدد الأجزاء: 3 .

56- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) سنن الترمذي، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5) الناشر: شركة

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م ، عدد الأجزاء: 5 أجزاء .

57- التميمي، محمد بن خليفة بن علي التميمي، مقالة التعطيل والجعد بن درهم، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1997م، عدد الأجزاء: 1 .

58- الجراوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي (المتوفى: 609هـ) (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت ، الطبعة: الأولى، 1991م، عدد الأجزاء: 2.

59- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(المتوفى: 816هـ) كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403 هـ -1983م.

60- الجليند، محمد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة : - عدد الأجزاء: 1.

61- جريشه والزيق، علي محمد جريشه - محمد شريف الزييق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة 1399هـ-1979م ، عدد الأجزاء: 1 .

62- الجويني، الإمام الجليل إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، المتوفى سنة (478) هجرية ، رواية أبي بكر بن العربي عن الغزالي عن المؤلف، العقيدة النظامية، تحقيق وتعليق : محمد زاهد الكوثري، وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة السابقة، سنة النشر 1412 هـ 1992م، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث 9 درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر، ت 3930847.

63- الحازمي، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي ، الشرح الميسر لزاد المستنقع - كتاب الطهارة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي ،

<http://alHazme.net>] الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 16 درسا]، عدد الأجزاء: 12.

64- الحازمي، الشرح الميسر لقواعد الأصول ومعاقد الفصول، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي <http://alHazme.net>] الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 9 دروس] .

65- الحوالي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، دكتوراه بإشراف الأستاذ: محمد قطب، 1405 هـ - 1406 هـ، الناشر: دار الكلمة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ / 1999 م .

66- حجازي، د. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: 1 .

67- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تاريخ بغداد وذيوله، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديلمي، للذهبي، ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار، المستفاد من تاريخ بغداد، لابن الدمياطي، الرد على أبي بكر الخطيب البغدادي، لابن النجار، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، 1417 هـ، عدد الأجزاء: 24 .

68- الخلف، سعود بن عبد العزيز الخلف، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، الناشر: * الطبعة: 1420هـ-1421هـ، عدد الأجزاء: 2.

69- الخميس، محمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، الناشر: دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: 1.

70- خير، بسطامي محمد سعيد خير، مفهوم تجديد الدين، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م

71- **الدوسري**، عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الدوسري (المتوفى: 1399هـ) ،
الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، الناشر: مكتبة دار الأرقم، الكويت ، الطبعة: الأولى، 1402
هـ - 1982 م ، عدد الأجزاء: 1 .

72- **الدينوري**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، **المعارف**
تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1992
م ، عدد الأجزاء: 1 .

73- **الدينوري**،(المتوفى: 276هـ)، **الشعر والشعراء**، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر:
1423 هـ، عدد الأجزاء: 2 .

74- **الذهبي**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى:
748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط،
الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405هـ/ 1985 م، عدد الأجزاء: 25 (23 ومجلدان
فهارس).

75- **الذهبي**، (المتوفى: 748هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي
، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1963
م ، عدد الأجزاء: 4.

76- **الذهبي**،(المتوفى: 748هـ)، **مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه**، تحقيق وتعليق : : محمد
زاهد الكوثري، أبو الوفاء الأفعاني، الناشر: لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد الدكن
بالهند ، الطبعة: الثالثة، 1408هـ، عدد الأجزاء: 1 .

77- **الرازي**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى:
666هـ) ، **مختار الصحاح**، (ص: 318) المحقق: يوسف الشيخ محمد.

78- **رشيد رضا**، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن
ملا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**،
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م، عدد الأجزاء: 12.

- 79- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار/مايو 2002 م .
- 80- السباعي، مصطفى بن حسني السباعي(المتوفى:1384هـ)، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع - المكتب الإسلامي. عدد الأجزاء: 1. أعدّه للمكتبة الشاملة / توفيق بن محمد القرشي، غفر الله له ولوالديه.
- 81- سعد، د. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2002 م، عدد الأجزاء: 3، (في ترقيم مسلسل واحد)، أعدّه للشاملة/ محمود الجيزي - عفا الله عنه.
- 82- السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188هـ)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - 1402 هـ - 1982 م، عدد الأجزاء: 2.
- 83- السلمي، عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net> الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 5 دروس].
- 84- السلمي، شرح رسالة العبودية لابن تيمية، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 24 درسا].
- 85- سيد سابق، سيد سابق(المتوفى: 1420هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، العقائد الإسلامية، عدد الأجزاء: 1، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].
- 86- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطي والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح

الكبير للنبهاني)، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية)، طبع على نفقة: د حسن عباس زكي ، عدد الأجزاء: 13.

87- الشرييني، عماد السيد محمد إسماعيل الشرييني، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها، الطبعة: الأولى / 1422 هـ - 2002 م ، عدد الأجزاء: 1، رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 14185 / 2001، التقييم الدولي: 977-336-52-. [الكتاب مرقم آلياً]، جمعه ورتبه وفهرسه الفقير إلى الله عبد الرحمن الشامي، ويسألكم الدعاء.

88- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني(المتوفى: 548هـ)، الملل والنحل، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: 3.

89- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني(المتوفى: 1250هـ)، الفتح الرباني من فتاوي الإمام الشوكاني، 6262/12، هامش حقه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن، عدد الأجزاء: 12. ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي].

90- الشوكاني، نيل الأوطار ، تحقيق: عصام الدين الصباطي ، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م، عدد الأجزاء: 8 ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] .

91- صاحب، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: 385هـ) ، المحيط في اللغة ، [الكتاب، مرقم آليا غير موافق للمطبوع].

92- صبح، عبد المجيد حامد صبح، الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع والترجمة، المنصورة - مصر الطبعة: الثانية، 1424 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 1.

93- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ) الوافي بالوفيات ،المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت عام النشر: 1420هـ - 2000م، عدد الأجزاء: 29.

94- صقر، شحاتة محمد صقر ، الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان ، الناشر: دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي ، عدد الأجزاء: 1.

95- الصلّابي، علي محمد محمد الصلّابي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثانية، 1429 هـ - 2008 م ، عدد الأجزاء: 2.

96- الصلّابي، علي محمد محمد الصلّابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، لناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

97- الصغير، فالح بن محمد بن فالح الصغير، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، عدد الأجزاء: 1.

98- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، (صلة تاريخ الطبري

99- الطحاوي، شرح معاني الآثار، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى - 1414 هـ، 1994 م، عدد الأجزاء: 5 (4 وجزء للفهارس).

100- الطويان، عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان، جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، 1419هـ/1999م ، عدد الأجزاء: 2.

101- عبد الكافي، د. عمر عبد الكافي شحاتة، داعية مصري معاصر، مقتطفات من السيرة ، 22/ 9، بترقيم الشاملة آلي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

102- عبد الله ابن أحمد، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي (المتوفى: 290هـ) ، السنة، المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم - الدمام ، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م، عدد الأجزاء: 2، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج].

103- عبد الجبار، صهيب عبد الجبار، المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة، عدد الأجزاء: 22، عام النشر: 2013. لم يطبع الكتاب بعد.

104- العبود، صالح بن عبد الله العبود، الكتاب: عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1424هـ/2004م، عدد الأجزاء: 2، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيّل بالحواشي].

105- العجلان، فهد بن صالح العجلان، معركة النص، الناشر: مركز البيان للبحوث والدراسات، الطبعة: الأولى (ج 1 / 1433 هـ، ج 2 / 1434 هـ)، عدد الأجزاء: 2.

106- العرجاني، سالم بن محمد بن مطرف العرجاني، الأقوال الخفية للمرجئة المعاصرة، الطبعة الأولى 1432هـ. لم يذكر صاحبه دار النشر، ولا سنة النشر.

107- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيّات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ، الطبعة: الأولى، 1412 هـ ، عدد الأجزاء: 1.

108- عسيري، أحمد بن علي الزامل عسيري، منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ، عام النشر: 1431 هـ ، عدد الأجزاء: 1.

109- العقل، ناصر بن عبد الكريم العلي العقل، شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net> ، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 19 درسا].

110- العقل، ناصر بن عبد الكريم العقل ، (القدرية والمرجئة) الأجزاء (19-22) جمعت في مجلد واحد بعنوان (دراسات في الأهواء والافتراق والبدع)، سنة النشر 1418-1997، رقم الطبعة 1، الناشر ،مركز الدراسات والإعلام ، دار إشبيلية، الرياض.

111- العقل، ناصر بن عبد الكريم العلي العقل، شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>]الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 36 درسا].

112- علماء نجد، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، 1417هـ/1996م، عدد الأجزاء: 16.

113- العمري، أكرم بن ضياء العمري، موقف الاستشراق من السنة والسيره النبوية، الناشر: الجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة. كلية الدعوة، عدد الأجزاء: 1، أعده للمكتبة الشاملة / توفيق بن محمد القرشي، غفر الله له ولوالديه.

114- عواجي، د. غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، 1422 هـ - 2001 م ، عدد الأجزاء: 3.

115- عوتبي، أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي(العُماني الإباضي) نسبة الى عَوْتَب وهي منطقة في صُحار كانت تسمى في القديم: عوتب الخيام المتوفى: 511 هـ)، الإبانة في اللغة العربية، المحقق: د. عبد الكريم خليفة، د. نصرت عبد الرحمن، د. صلاح جرار، د. محمد حسن عواد، د. جاسر أبو صافية ، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان ، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م ، عدد الأجزاء: 4، أعده للشاملة/ فريق رابطة النساخ برعاية (مؤسسة السبيعي الخيرية) ،[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

116- الغامدي، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الإيمان بين السلف والمتكلمين، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1432هـ/2002م ، عدد الأجزاء: 1 .

117- الغفيص، يوسف بن محمد علي الغفيص، شرح الطحاوية، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net> . [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 31 درسا].

118- الغفيص، يوسف بن محمد علي الغفيص ، شرح لمعة الاعتقاد ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، <http://www.islamweb.net> [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 20 درسا].

119- الغنيمات، عبد الله بن محمد الغنيمان ، شرح فتح المجيد ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، <http://www.islamweb.net> .

120- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م ، عدد الأجزاء: 6 ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو مذيل بحواشي المحقق].

121- الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، 1423هـ/2002م، عدد الأجزاء: 2، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي].

122- الفوزان، الموقع الرسمي للشيخ الفوزان، بيان الفوزان.

123- قبش، أحمد قبش بن محمد نجيب، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع].

124- قطب، محمد بن قطب بن إبراهيم، تطلعات إلى المستقبل في مستهل القرن الهجري الجديد، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السنة الثالثة عشرة - العدد التاسع

والأربعون - محرم - صفر - ربيع الأول 1401هـ/1981م، عدد الأجزاء: 1 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي].

125- كشك، عبد الحميد كشك 1933، - 1996- عالم وداعي مصري كفيف، يلقب بفارس المنابر ومحامي الحركة الإسلامية' ويعد من أشهر خطباء القرن العشرين في العالم العربي والإسلامي. له أكثر من 2000 خطبة مسجلة. خطب مدة أربعين سنة دون أن يخطئ مرة واحدة في اللغة العربية، من إحدى خطب الشيخ، ويكيديا.

126- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت سنة النشر: عدد الأجزاء: 1.

127- الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني وُلد الكليني في النصف الثاني من القرن الثالث بقرية كُلين على بعد (38) كيلو متراً من مدينة ري، الواقعة في جنوب العاصمة طهران صاحب كتاب أصول الكافي، أجلّ كتب الأصول عند الشيعة الإمامية يقع في 26 مجلداً . ويكيديا.

128- الكوراني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (المتوفى: 893هـ)، غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني، من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس، دراسة وتحقيق: محمد مصطفى كوكسو (رسالة دكتوراه)، الناشر: جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية - تركيا، عام النشر: 1428 هـ - 2007 م، عدد الأجزاء: 1.

129- الالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: 418هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، 1423هـ / 2003م، عدد الأجزاء: 9 أجزاء.

130- اللكنوي، محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات (المتوفى: 1304هـ)، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثالثة، 1407هـ، عدد الأجزاء: 1.

- 131- لوقا، انجيل لوقا، نسخة الكنيسة الكاثوليكية، المطبعة الكاثوليكية.
- 132- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، التوحيد، تحقيق: د. فتح الله خليف، الناشر: دار الجامعات المصرية - الإسكندرية، عدد الأجزاء:..
- 133- الماتريدي، (المتوفى: 333هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، عدد الأجزاء: 10.
- 134- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م.
- 135- متى، انجيل متى، نسخة الكنيسة الكاثوليكية، المطبعة الكاثوليكية.
- 136- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].
- 137- مجلة البيان، (238 عددا)، تصدر عن المنتدى الإسلامي، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، (رقم الجزء، هو رقم العدد. ورقم الصفحة، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في العدد المطبوع) ، تنبيه: الأعداد بعد الـ 200 ترقيمها غير موافق للمطبوع .
- 138- المَحَلِّي، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (المتوفى: 864هـ) ، شرح الورقات في أصول الفقه ، قدّم له وحققه وعلّق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة ، صف وتنسيق: حذيفة بن حسام الدين عفانة ، الناشر: جامعة القدس ، فلسطين، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م ، عدد الأجزاء: 1.
- 139- المحمود، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الأولى، 1415 هـ / 1995 م.

140- مرقس، انجيل مرقس، نسخة الكنيسة الكاثوليكية، المطبعة الكاثوليكية.

141- المزني، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاءي الكلبى المزني (المتوفى: 742هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق : د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1400 - 1980 عدد الأجزاء: 35.

142- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، عدد الأجزاء: 5.

143- المسيري، دكتور عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عدد الأجزاء: 7 ، [الكتاب مرقم آليا] أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء .

144- المروزي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (المتوفى: 294هـ) السنة، تحقيق: سالم أحمد السلفي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، الطبعة: الأولى، 1408 ، عدد الأجزاء: 1. [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج].

145- المقدم، سلسلة الإيمان والكفر، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net> ، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 29 درسا].

146- مقديش، محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ ، الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، 1988 م ، عدد الأجزاء: 2 ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] .

147- ملتقى أهل اللغة، الكتاب: تم تحميلة في: رمضان 1435 هـ = يوليو 2014 م رابط الموقع: <http://ahlalloghah.com> .

148- **مناهج جامعة المدينة العالمية، البلاغة 1 - البيان والبديع، كود المادة: LARB4093**

المرحلة: بكالوريوس، المؤلف: الناشر: جامعة المدينة العالمية، عدد الأجزاء: 1.

149- **المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: 656 هـ)، مختصر صحيح مسلم «لإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري»**، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: السادسة، 1407 هـ - 1987 م، عدد الأجزاء: 2 (في ترقيم مسلسل واحد).

150- **نتائج البحوث وخواتيم الكتب، المؤلف: هذه نتائج وخواتيم رسائل علمية وأبحاث لمؤلفين مختلفين تحوي خلاصات ما فيها، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، عدد الأجزاء: 4، تم تحميله في/ ربيع الأول 1433 هـ.**

151- **نجيب، أحمد قيش بن محمد نجيب، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع].**

152- **الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط، ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1420 هـ، عدد الأجزاء: 2.**

153- **النميري، أبو عبد الله أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميري الحراني الحنبلي (المتوفى: 695 هـ)، صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1397، عدد الأجزاء: 1.**

154- **النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676 هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: 4.**

155- **نويهض، عادل نويهض، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»**، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م، عدد الأجزاء: 2

(في ترقيم مسلسل واحد) أعدده للشاملة/ أبو ياسر الجزائري ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو ضمن خدمة التراجم].

156- الوفيات والأحداث، المؤلف: عضو ملتقى أهل الحديث / الباحث - غفر الله له - قال المؤلف: هو ملف مختصر للأحداث والوفيات عبر التاريخ. . . . ، آخر تحديث بتاريخ: 20 ربيع الأول 1431 هـ، [الكتاب مرقم آليا، الملف غير مطبوع].

157- الوكيل، أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل، مثل النبال بمعجم الرجال الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني، جُمع من كتب: الشيخ أبي إسحاق الحويني، الناشر: دار ابن عباس، مصر ، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م ، عدد الأجزاء: 4.

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	إقرار
ب	الشكر والتقدير
ت	ملخص الرسالة.....
ج	Abstract.....
1	المقدمة.....
5	التمهيد.....
7	الفصل الأول الفكر الإرجائي.....
8	المبحث الأول تعريف الفكر الإرجائي ونشوؤه.....
8	المطلب الأول تعريف الإرجاء.....
13	الخلاصة في معاني الإرجاء.....
13	المطلب الثاني نشأت الفكر الإرجائي وأسباب انتشاره.....
14	الإرجاء عند أهل الكتاب.....
14	نشأة الفكر الإرجائي عند المسلمين.....
18	أسباب انتشار الفكر الإرجائي.....
26	المبحث الثاني منهج العلماء في تعريف الإيمان.....
26	المطلب الأول الإيمان عند السلف.....
30	خلاصة القول في الإيمان عند السلف.....
30	المطلب الثاني الإيمان عند المتكلمين.....
32	مفهوم الإيمان عند المتكلمين.....
34	من رؤوس المتكلمين.....
38	الخلاصة في الإيمان عند المتكلمين.....
39	المطلب الثالث الرد على من نسب الإرجاء إلى أبي حنيفة النعمان.....
41	مفهوم الإيمان عند أبي حنيفة.....
43	الخلاصة في تعريف الإيمان.....

44 ما تُسبب إلى أبي حنيفة من الإرجاء.....
47 تحرير القول في تعريف مرجئة الفقهاء.....
53	الفصل الثاني الرد على الفكر الإرجائي وبيان آثاره وطريق الخلاص.....
54المبحث الأول ردود العلماء على الأفهام الخاطئة للإيمان في الفكر الإرجائي.....
56المطلب الأول رد العلماء على من قصر الإيمان على مجرد المعرفة.....
57الرد على من زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.....
59الرد على من قال لا يضر مع الإيمان ذنب.....
61المطلب الثاني الرد على من فصل بين الإيمان والعمل.....
62رد آخر على من فسّر الإيمان بالتصديق.....
65بين مذهب السلف وبين مذهب المرجئة.....
69المطلب الثالث موقع الإرجاء من نواقض الأيمان.....
70حكم الإرجاء المطلق.....
70حكم الإمام أبي حنيفة في الجهم بن صفوان رأس المرجئة.....
70حكم الإمام بن خزيمة فيمن أنكر الاستواء على العرش.....
71حكم الإمام بن عبد الوهاب فيمن أنكر الصفات.....
71إرجاء الفقهاء.....
73هل القول بالإرجاء ينقض الإيمان.....
77جماع القول في حكم الإرجاء.....
77المطلب الرابع دور الاستشراق والعلمانية والفكر الصوفي في نشر الفكر الإرجائي....
77دور الاستشراق.....
81العلمانية ودورها.....
85دور الفكر الصوفي.....
86من رؤوس الفكر الصوفي.....
91المبحث الثاني أثر الفكر الإرجائي في عقيدة الأمة.....
91أثر الفكر الإرجائي في الإيمان.....
91الأثر على الفرد في العقل والفكر.....
94الأثر على الفرد في القلب والذكر.....

95الأثر على وحدة الكلمة.....
97الخلاصة في أثر الفكر الإرجائي في الإيمان.....
98المطلب الثاني أثر الفكر الإرجائي في العمل والسلوك.....
98أثر الفكر الإرجائي في العمل.....
100أثر الفكر الإرجائي في السلوك.....
103المطلب الثالث أثر الفكر الإرجائي في عدم نهوض الأمة وعدم تقدمها.....
103أثر الفكر الإرجائي في عدم نهوض الأمة.....
110أثر الفكر الإرجائي في عدم تقدم الأمة.....
121الخاتمة.....
125فهرس الآيات.....
130فهرس الأحاديث.....
132فهرس الآثار.....
133فهرس الأعلام.....
135قائمة المصادر والمراجع.....
157فهرس المحتويات.....

تم بحمد الله - تعالى - وفضله